القصة
في أدب الأطفال

تأليف

الدكتورة مهجة كامل درويش

(مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية)
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م


مطبعة السعادة
ميدان احمد ماهر - شارع الجداوى رقم ١٢
ت ٩٠٧٣٧٩
س ت ١١٩٩٧٠

الإهداء

إلى منبع الحب والعطف والحنان .

إلى من ربياني صغيراً ورعياني كبيراً .

إلى من تعبا ليريحاني وشقيا ليسعداني .

إلى من برضائهما عني أتقدم وبدعائهما لي أنجح .

إلى أبي وأمي .

أهدي هذا البحث المتواضع اعترافا مني ببعض أفضالهما عَلَيَّ قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً) .

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين . .

وبعد فالأطفال من أعظم النعم التى أنعم الله بها علينا وهم محتاجون منا إلى الكثير لرعايتهم والعناية بهم وتثقيفهم حتى يشبوا أقوياء أصحاء نفسيا وجسمياً وتربوياً ، وسبيل تكوين الشخصية القوية البناءة هو تعهدها منذ الطفولة بالتنمية والعطاء . . وقد أجمع علماء التربية وعلم النفس على أهمية المراحل الأولى للنمو وأنها من أقوى العوامل فى تكوين مزاج الطفل وشخصيته وتثبيت عقيدته وتكوين أخلاقه وهى التى توجه ذكاءه وفيها يتقرر أسلوب حياته المستقبلة .

وقد فطن الإسلام منذ خمسة عشر قرنا إلى أهمية الطفولة ووجه إليها عناية خاصة تبدو فى حرصه على تكوين الأسرة واستقرارها واختيار الزوج والزوجة الصالحين وفى تقريره لحقوق الأبناء ورعايتهم وتنشئتهم تنشئة سليمة ووضع الخطط لتربيتهم وتعليمهم وإسعادهم . . وكان أنس رضى الله عنه يقول : ٢
« ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ونتيجة للعناية الفائقة التى أولاها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للطفولة رأينا المسلمين الأولين يتعهدون أبناءهم بالتربيـة والتعليم ، ورأينا أبناء الأجيال الإسلامية الأولى يشبون أصحاء نفسيا وعقائديا وتربويا .

فالإسلام فطن إلى قيمة العقل وأن السبيل إلى تكوين المواطن الصالح هو تعهد الطفولة بالرعاية منذ نعومة أظافرها لذا فقد عنى بتقديم العلم إلى الأطفال وحثهم على طلبه وعلى اكتساب الفضائل الخلقية والدينية . . والإسلام جعل الطفل يلائم بين مطالب الحياة الدنيا وما ينبغى تحقيقه من أجل الآخرة . . قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » . . وعناية الإسلام بالتعليم وإعداد النشىء إعداداً سليما وفتح المدارس تتضح جلية واضحة منذ الصدر الأول للإسلام . . فقد عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنشر التعليم . وكانت قاعات الدوس هى المساجد ، وكان اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعلمين عظيما فكان يبعث كبار الصحابة مع وفود العرب ليعلموا الناس حدود الله وشرائعه ، وقد جعل عليه السلام تعليم الأسرى بابا من الفداء . ولم يقتصر التعليم على الصبيان بل كان للبنات حظ من التعليم منذ العهد الأول للإسلام واستمرت العناية بالتعليم بعد عهد الرسول فخفلت العصور الأولى بالكثير من المعلمين الذين قاموا بتدريس ألوان المعرفة المختلفة فى الدين واللغة والأدب ، وأنشئت المدارس ووضع العلماء الشروط التى يجب توافرها فى المعلمين . . وكان من أهم هذه الشروط أن يكون مؤدب ، الصبى عاقلا ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان وقوراً رزيناً غير كزولا ، جامد حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة . . وعليه ألا يمتهن نفسه أو يقبل امتهانها فرسالته عظيمة فى رفعة شأن النشىء وكما قال المعلم الشاعر :

ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى ... لأخدم من لاقيت لكن لاخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما

وعلى المعلم أن يتسم بالتـواضع ويتجنب الـكبر والعجب والافتخـار . قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم « من ازداد علماً ولم يزدد لله تواضعا وللجبال رحمة وللعلماء مودة لم يزدد من الله إلا بعدا .... »

وقد كانت عناية العلماء الأوائل بالطفل فى السنوات الأولى من حياته عناية بالغة ، وذلك لأهمية هذه الفترة فى تقويم نشأته واكتسابه العادات والصفـات اللازمة لرقيه وسعادته وقـد حرص إخوان الصفـا فى القرن الرابع الهجرى على تعليم الأحـداث الذين لم تلوث أفكارهم بمعتقـدات فاسدة وآراء غـير صحيحة لأنهم رأوا أن الطفل صحيفـــة بيضاء قابلة لـكل ما يطبع عليها من مؤثرات ومتى لوثت هـذه الصحيفة كان من الصعب تنظيفها ومن أجل ذلك دعوا إلى عدم الإشتغال بإصلاح المشايخ الهرمة « الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة فإنهم يتعبونك ثم لا ينصلحون ، وإن صـلحوا قليلاً فلا يفلحون » .

وقد استغلت جماعة إخوان الصفا استعداد الطفل للتأثر بالإيحاء عن طريق الأشعار والوعظ والذم والتقليد، والمنافسة والإستعانة بالشعر والقصص فى تهذيبه من الناحية الوجدانية . .

وكانت وسائلهم لذلك الوعظ والتلقين وذلك ببيان الصـالح والطالح من الأمور وحفظ محاسن الأشعار والأخبار من النصائح والإستعانة بميول الطفل الغريزية واستعداده للتأديب عن طريق ميله للمدح والإطراء وخوفه من اللوم والذم . وتشجيع الطفل يؤدى إلى خلق الرغبات البناءة فى نفسه ولذلك فقد نصحوا المعلم باستخدام الرفق مع من يعلمه والشفقة عليه وقلة الضجر من إبطاء فهمه ورداءة حفظه وضيق الصدر من تلقينه له وقلة الطمع فى أخذ العوض منه وقلة المنة عليه بما يعلمه .

وقد اهتموا باختيار المعلم وحددوا ما ينبغى أن يتوافر فيه من صفات خلقية ودينية وعلمية .

والامام الغزالى ٤٥٠ — ٥٠٥ نظرات صائبـــــة فى تعليم النشء فقد اهتم بتكوين العادة لما لها من الأثر فى تكوين الأخلاق واهتم كثير بتأثير القدوة ومراعاة الاستعداد عند الصبيان ووضع كثيرا من القواعد فى معاملتهم كما عنى بواجبات المعلم وما يجب أن يحرص عليه فى تعليمه للصبية ، وقد ضمن الغزالى كتبه آراءه التربوية . . ففى إحياء علوم الدين يبدأ بالحديث عن فضل العلم والتعلم ويعتمد فى التدليل على وجهة نظره بالأمثلة والشواهد من القرآن الكريم والمأثورات وهو يرى أن الغاية من العلم هى السعادة ويحاول الربط بين الغرض الدينى والدنيوى ويتحدث عن آداب المتعلم والمعلم ويدعو إلى التفرغ لطلب العلم وإخلاص المتعلم نفسه بالتواضع وإلقاء السمع وأن يحذر فى بداية طلبه للعلم عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة . . فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويبعده عن الإدراك والاطلاع . . ويدعو إلى المعرفة الإجمالية بالعلوم المختلفة والاشتغال بالأهم والتخصص فيه حتى إذا ما استوفاه انتقل إلى غيره . . أما وظائف المعلم فأولها الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه وألا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به شكرا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب إليه ويتحدث عن العلوم التى يجب على المعلم إتقانها . . وهكذا . وفى رسالته : أيها الولد التى كتبها ليجيب بعض تلاميذه عن مسائل سبق وأن وجهت إليه بدأ بمقدمة طويلة فى العلم وفضل العمل به كما تحدث عن واجبات المتعلم وفوائد العلم وصفات المربى وقرر أن التربية هى إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة .

كان هذا حال القرون الإسلامية الأولى بالنسبة للعناية بالنشء وتربيته وتعليمه ،

وجه الإسلام أنظارهم إلى أهمية الطفل فعرفوا قدره وعنوا به وحرصوا على تنشئته تنشئة سليمة ثم تعقدت وسائل الحياة وعنى الناس بمظاهر الحياة الكاذبة الزائفة وغفلوا عن الحقائق الواضحة ومن أهم ما غفلوا عنه فى غمرة الالتفات إلى أساليب الرياء والخادعة كان أطفالهم ، ومرت الأمة العربية والإسلامية بفترات ضعف وانحدار أهمل فيها تعليم الصغار .. وفى هذه الأثناء التفتت الأمم الأجنبية إلى ما فاتنا وأدركت قيمة الطفولة وأهمية العناية بها .. وبدأت تفكر فى أجدى الوسائل فى بناء شخصية الطفل ونضوجها وعنيت بدراسة نفسيته ووسائل تربيته .. ثم توصلت إلى أن إحدى الوسائل فى تربية الطفل هى العناية بأدبه وبث حب القراءة والاطلاع على هذا الأدب فى نفسه فشرعت تنشىء له ما يلائمه وما يتفق مع مراحل نموه المختلفة .. وتشجع على الكتابة للنشء إلى أن صار لهذا النوع من الأدب مكانة واضحة فى الآداب الأوربية فى العصر الحديث .

ومن أهم صنوف أدب الطفل وأجداها القصة سواء أكانت منظومة أو منثورة فمن طريقها يكتسب الطفل المعرفة والقدوة ويتهذب خلقه وينمو عقله وتثبت عقيدته وقصص الأطفال يجب أن يحسن إعدادها بحيث تتلاءم مع معارف الطفل وعقليته .

وقد تأثر الأدب العربى بقصص الأطفال فى الآداب الأجنبية فترجم وعرب الكثير من هذه الآثار ثم ألف الكثير متأثراً بالتراث العربى القديم والمصادر الإسلامية مع تبسيط هذه الآثار بحيث تؤدى الغاية المنشودة منها .

ولعل البعض لا يوافق على عملية الأخذ عن الأمم الأجنبية لاختلاف البيئة والدين وما يصحبهما من اختلافات أخرى .. ولكن الأطفال لا يختلفون عن بعضهم البعض بل إن أغلب الاطفال يتسمون فى سن واحدة بنفس

السمات ولا داعى للتعصب المقيت الذى قد يبعدنا عن آثار قد تساعد فى بناء شخصية أبنائنا .

ولكن متى نشأت قصص الأطفال فى الأدب العربى .. هل هى فن حديث لم يعرف إلا بعد اتصالنا بالغرب . أم أن لها جذوراً تمتد إلى قرون سابقة .

هذا هو مدار هذا البحث .. فهذه الدراسة تعنى بتتبع نشأة قصص الأطفال والعوامل المؤثرة فيها .. وتطورها ومصادرها وخصائصها وما يميزها عن قصص الكبار .

وبعد فهذه الدراسة جزء من مجهود قام ويقوم به الذين يعنون بالطفولة وأدبها والذين يؤمنون بدور الأدب فى تكوين شخصية الطفل رجل المستقبل ومحقق آمال الأوطان .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وإليه المصير .

الفصل الأول

بين أدب الكبار وأدب الأطفال .

تعريف الأدب لغة واصطلاحاً . . معنى أدب الأطفال .

أركانه الأساسية . . الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار .

العوامل المؤثرة فى أدب الأطفال .

أهمية أدب الأطفال .

بين أدب الكبار وأدب الأطفال

موضوع هذا البحث يعنى بأحد الأجناس الأدبية التى لاقت انتشاراً واسعاً ، ونجاحاً عظيماً لدى الكبار والصغار على السواء ألا وهو فن القصة .

وسأتتبع فى دراستى بمشيئة الله نشأة هذا الفن وتطوره فى أدب الأطفال ، والحقيقة التى يثبتها الباحثون كل يوم أن أى علم من العلوم أو أى فن من الفنون لا ينشأ كاملاً ولا يظهر ما بين يوم وليلة .. بل لا بد من أن يمر بمراحل وأطوار متعددة حتى يمكن الإعلان عن وجوده ، وعند الإعلان عن هذا الوجود يأخذ هذا العلم أو ذاك الفن إسمه وتحدد عناصره وأركانه التى تميزه عن سواه . وفى هذا الوقت فقط تظهر عناية المؤرخين والدارسين بدراسته والتعرف على خصائصه ومميزاته .

وفى البداية أرى أن هناك أمرين لا بد من التعريف بهما . أولهما : أدب الأطفال وهذا الاصطلاح يعد حديثاً وإن كان مضمونه قد عرف قبل ذلك بفترات طويلة . بل إن هذا المضمون أقدم مما يتصور الكثيرون فهو معروف منذ وجدت الأمومة والطفولة فى الحياة وهو حاجة فطرية وضرورية لنمو العلاقات الروحية والتربوية بين الآباء والأبناء . وقد زادت العناية بهذا النوع من الأدب فى العصر الحديث نتيجة لعوامل التطور والتحضر مما أدى إلى إطلاق هذه التسمية عليه .

وأدب الأطفال يرتبط بأدب الكبار من وجوه كما أنه يختلف عنه من وجوه أخرى .

أما لفظة الأدب فتعنى معنيين : أدب النفس وأدب الدرس . والمعنى الثانى

يوضح الأول ويكمله . وقد مرت هذه اللفظة بتاريخ طويل حيث بحث الباحثون ونقب اللغويون ، وافترض بعضهم أن الأصل اللغوى لهذه اللفظة تتعلق بما يعرف بالعادة أو السلوك .. فهى فى أصلها دأب . وهذه الكلمة مشتقة من الجمع وليس من المفرد فالجمع آداب . قال الأستاذ نالينو (وكثر استعمال الآداب جمعا للدأب حتى نسى العرب أصل هذا الجمع وما فيه من قلب وخيل إليهم أنه جمع لا قلب فيه فأخذوا منه مفرده أدبا لا دأبا وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة[١] .

وإذن فقد استعملت هذه اللفظة بمعنى العادة أو السنة أو السلوك الحسن وهى تتضمن معنى الحث على اتباع مكارم الأخلاق .

وفى لسان العرب[٢] (أصل الأدب الدعاء ومنه قيل للصنيع يدعو إليه الناس مدعاة ومأدبه ، والأدب الذى يتأدب به الأديب من الناس سمى أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح .

وفى الحديث .. إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته ، وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه فهو دعوة إلى اتباع الخير والبعد عن الشر) .

وأصحاب هذا الرأى يرجعون أصل اللفظة إلى الدعوة إلى الولائم ثم يحاولون إيجاد مناسبة بين المعنى اللغوى الأول ومعنى الأدب إذ كان داعيا إلى اتباع مكارم الأخلاق.

وفى المحيط[٣] الأدب محركة الظرف وحسن التناول وأدب فلان علمه فتأدب.

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١ : ١٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ومادة أدب .
(٢) لسان العرب مادة أدب — ٣
(٣) القاموس المحيط مادة أدب .

وفى المعجم(١) الوسيط أدب أدبا صنع مأدبة . . وأدب القوم دعاهم إلى مأدبته ، وأدب فلان راضه على محاسن الأخلاق والعادات ، ودعاه إلى المحامد ، وأدب القوم على الأمر جمعهم عليه وندبهم إليه ، وأدب فلان أدبا راض نفسه على محاسن الأخلاق وحذق فنون الأدب ، وأدبه راضه على محاسن الأخلاق ولقنه فنون الأدب وجازاه على إساءته .

وتأدب تعلم الأدب ، يقال تأدب بأدب القرآن أو أدب الرسول احتذاه ، والتأديب التهذيب - والأدب رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى لذى الصناعة أن يتمسك به كأدب الكاتب وأدب القاص والجميل من النظم والنثر وكل ما أنتجه العقل من ضروب المعرفة .

فأدب النفس ما كان داعيا إلى مكارم الأخلاق والفضائل . أما أدب الدرس فهو ما كان تعليما وتلقينا لفنون الأدب وأصوله وقواعده . .

ومن ذلك إطلاق ابن المقفع اسم الأدب الصغير والأدب الكبير على كتابيه لاشتمالها على أصول وقواعد تجعل من يتمسك بهما فاضلا ذا خلق كريم ، ومن يقرأ كتاب الأدب الصغير يشعر أنه يقرأ كتابا فى تهذيب النفس والخلق ، وابن المقفع يبدو حكيما فى كتابه وحكمه تتسم بالناحية الإنسانية .

ويصلح أكثرها لكل زمان ومكان وهى إلى جانب ذلك تعد من جوامع الكلم المنتزعة من صميم الحياة لخبرات طويلة فى سعى الإنسان نحو الأفضل ، ومن كلام ابن المقفع فى مقدمته [قد وضعت فى هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية أبصارها وإحياء

---

(١) المعجم الوسيط ١ : ٥

التفكير وإقامة التدبير ودليل » على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إنشاء الله][1] .

والأدب عند صاحب العقد يعني التعليم والتهذيب والحث على مكارم الأخلاق يقول أبو عمر أحمد بن محمد في باب آداب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم[2] [أول ما نبدأ به أدب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لأمته ثم الحكماء، والعلماء وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها فقال (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) فنهاه على التقتير كما نهاه عن التبذير . . وأمر بتوسط الحالتين . . وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كتابه الحكم ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات فقال (خذ العفو، وأمر بالمعروف، وأعرض عن الجاهلين) ففي أخذه العفو صلة من قطعه والصفح عمن ظلمه ، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم ، وصون اللسان عن الكذب وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن مجاراة السفيه ومنازعه اللجوح . ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه باللين في عريكته والرفق بأمته . .

قال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن . فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم[3] .

ومن باب أدب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة

---

(١) الأدب الصغير ٣٧ ط / بيروت .
(٢) العقد الفريد ٢ : ٢٢٨
(٣) سورة فصلت آية ٣٤ ، ٣٥

وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام (أوصانى ربى بتسع وأنا أوصيكم بها أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية . . والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا)(١) .

ثم يذكر أقوالا للخلفاء والحكماء فى الأدب وفضله فنها ما يروى لعلى بن أبى طالب (من حلم ساد ومن ساد استفاد ومن استحيا حرم ومن هاب خاب ، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته ، ومن كابر فى الأمور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تعمق فى العمل مل ، ومن صاحب الأنذال حقر ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء أتهم ومن حسن خلقه سهلت له طرقه ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه ، ومن خشى الله فاز ، ومن استعاد الجهل ترك طريق العدل ومن عرف أجله قصر أمله .

ومما سبق يتضح أن ابن عبد ربه يرى أن لفظة الأدب تعنى التعليم والتهذيب بالحث على اتباع مكارم الأخلاق ، فالأدب هو السلوك المحمود وتلقين هذا السلوك إلى الآخرين .

وهذا المعنى هو ما توصل إليه الباحثون فى أبحاثهم ولاءموا بين أصل لفظة الأدب وبين المعنى التهذيبى التعليمى الأخلاقى وقد تحدد ذلك المعنى التهذيبى لمادة الأدب منذ أوسط القرن الأول للهجرة . . وإلى الآن مع تعديل بسيط يتناولها ضيقا وسعة خلال العصور المختلفة إلى عصرنا الحالى .

(١) العقد الفريد : ٢ : ٢٩

والأدب بهذين المعنيين هو أساس دراسة أدب الطفل ، فأدب الأطفال فيه حث على اتباع الفضائل وتلقين لها بأسلوب محبب إلى النفس يمتع الطفـل ويرق ذوقه إلى جانب الفائدة التعليمية التى يحققها، وتحقيق الفائدة هى الغرض الأساسى من هذا الأدب بشرط اختيار الطريقة المناسبة التى تحبب الطفل فى اتباع الفضائل، وتبعده عن الرذائل .

والأدب فى أضيق تعريفاته يطلق على مأثور الشعر والنثر .. وقد وضعت تعريفات متعددة توضح خصائص الأسلوب الأدبى إحداها إنه الكلام الصادر عن تجربة الأديب فهو يعبر عن حقائق أدبية وعواطف إنسانية، وهذا الكلام يتسم بالتنسيق والتجميل .

وأصول الأدب أربعة[1] أولها الأفكار أو الحقائق أو المعانى، وعلى قدر كثرة الحقائق وسمـو غاياتها وصحتها ووضوحها تـكون قيمـة الأثر الأدبى ، والأدب فى عصور ازدهاره كانت قيمته تقاس بقـــــدر ما فيه من معارف وثقافات ودليل ذلك ما نجده عند كبار الأدباء فى العصر العباسى .. عصر الثقافة والنضج العقلى .. فأكثر الشعراء كانوا من أصحاب المعانى كأبى تمام والمتنبى وأبى العلاء .. كما أن أهمية الجاحظ ترجع إلى اتساع ثقافاته .

وصحة الأفكار الأدبية معناها مطابقة الأدب لغرض الفن ، قال صاحب العمدة عن الشاعر[2] [فأول ما يحتاج إليه الشاعر بعد الجد الذى هو الغاية والـكفاية وحسن التأتى والسياسة وعلم مقاصد القول ، فإن نسب ذل وخضع ، وإن مدح أطرى وأسمع وإن هجا أخل وأوجع ، وإن فخر حب ووضع ، وإن

---

(١) عن كتاب : أصول النقد الأدبى د . أحمد الشاب .
(٢) العمدة ١ : ١٣٣

وإن عاتب خفض ورفع وإن استعطف حن ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان ليدخل إليه من بابه ويدخله فى ثيابه .. فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذى تفاوت فيه الناس وبه تفاضلوا] .

والعنصر الثانى هو العاطفة وهى أهم ركن فى أركان الأدب وبها يتميز عن العلم وهى الانفعال الذى يؤثر فى الأديب حين كتابته أو نظمه ، والعاطفة القوية تسند الفكرة القوية فتؤديا معاً إلى خلود الأثر الأدبى مثال ذلك قول البحترى :

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها بنات الزمان أرصدت لبنيه
متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه[1]

فالعاطفة عاطفة السخط من أحوال الدنيا ومصائبها .. وهذه حقيقة فعنصر الحقيقة ساعدته العاطفة ليؤديا المعنى على أكمل وجه .

والخيال هو العنصر الثالث فى الأدب .. ومن الصعب إيقاظ العواطف بدونه فهو اللغة التى تصور العواطف ، والخيال هو الصورة التى تستند عليها الصورة الأولى وغالبا ما يأتى للايضاح مثال ذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود[2]

والأسلوب هو العنصر الرابع فى أصول الأدب وهو وسيلة أداء المعانى وطريقة التعبير عن الحقائق والمشاعر والتجارب .

---

(١) ديوان البحترى .
(٢) ديوان أبي تمام .

وأدب الطفل لا ينفصل عن الأدب بمعناه العام بل هو يندرج تحته فهو فرع من فروعه يخضع لنفس المقاييس ، ويجب أن يلاقى نفس العناية فى نقده وتقويمه مع ملاحظة مراعاة عدة فروق بين الأدبين وترجع هذه الفروق إلى أسباب منها :

أولا : قارىء الأدب فهناك فرق كبير بين الطفل والرجل أو المرأة فى الإدراك وفى التفكير وفى الخيال ويجب على كاتب الأطفال مراعاة هذا الأمر والعناية بكل ما يفكر فيه الطفل فى أحلامه ويقظته ، ومعالجة هذا الأدب بطريقة تتناسب مع عقلية الطفل وخبرته البسيطة فى الحياة ، فالاختلاف الأول يرجع إلى اختلاف الجمهورين واختلاف قدراتهما الذهنية والخيالية والعاطفية . وعلى هذا يجب الملاءمة بين ما يتقبله الطفل ومالا يتقبله .

ثانيا : والغاية التعليمية التهذيبية من أهم ما يفرق بين أدب الصغار وأدب الكبار فعلى الرغم من أن الأدب بمعناه العام يحث على مكارم الأخلاق فإن كثيرا من الأدباء والنقاد قد اتجهوا بالأدب وجهات تبعده عن معناه الأول . وقد نادى هؤلاء الأدباء بتصوير الأدب للحياة والواقع واختلفوا فى تعريف معنى الواقعية ، والحقيقة أن الواقعى يصر على عرض أوصاف الطبيعة البشرية كما تتراءى فى الحياة العادية دون الشاذة وكما نلحظها ونعرفها فى حدود القوانين المألوفة[1] .. ولكن البعض أخذ من المجتمع الحياة الشاذة ليصورها وأطلق عليها اسم الواقعية .. وبطبيعة الحال فإن هذا ينافى الأخلاق الفاضلة مثال ذلك القصص المكشوفة أو صنوف الأدب الذى تدعو إلى الرذيلة وهذه الإتجاهات معروفة منذ العصر الجاهلى فى بعض شعر أمرىء القيس . وقد عرفت أيضاً فى عصر بنى أمية فى كثير من نقائض جرير والفرزدق وشعر عمر بن أبى ربيعة

---

(١) أصول النقد الأدبى الشايب ص ٢٣٤

وشاعت فى شعر أبى نواس وبشار بن برد وأمثالهما فى العصر العباسى .. كما كثر الدعاء فى العصور التالية لذلك العصر إلى تصوير الأدب ، للحياة بخيرها وشرها ، وقد زاد المحصول اللغوى والإنتاج الأدبى عن هذه اللاأخلاقيات ، وكان المجتمع العربى والإسلامى فى أشد الغنى عن أمثالها ، وهذه المعانى والموضوعات إن قبلت على مضض فى الأدب بمعناه العام فإنها غير مقبولة بالنسبة لأدب الأطفال ، ويجب أن نضع فى اعتبارنا ونصب أعيننا الهدف التعليمى حين الكتابة للأطفال ، وأن تكون الفكرة التى تكتب للطفل تحمل قيمة هامة من القيم الإنسانية .. كما أن العاطفة ينبغى أن تقسم بالخير ولا بد للعمل الطيب أن يجد ثمرته طيبة ولا بد للشر من جزاء يوافقه .

وأدب الأطفال يؤثر فيه البيئة والزمان والجنس والثقافة وتؤثر فيه الآثار السابقة القديمة والحديثة .. التى يمكن أن تؤدى إلى نضج هذا النوع من الأدب فهى تراث غنى ورصيد ضخم عن خبرات البشرية ولا يمكن أن يبنى أدب من العدم وإنما الخبرات السابقة هى ما تساعد على تكوينه .. ثم يأتى الجديد الذى حدث نتيجة لعوامل التطور والدراسة فيؤدى إلى كماله .. فالجديد من القديم فى كل العصور ولا يمكن أن يخلق فن من العدم وما نراه اليوم هو تراث مئات بل ألوف السنوات الماضية وخبرات الملايين من البشر ، والأدب العربى فى فترات ازدهاره اعتمد أولا على جمع تراثه القديم وتدوينه وشرحه مثال ذلك ازدهار الأدب ونضجه فى العصر العباسى فقد اطلع الشعراء على التراث العربى القديم شعراً ونثراً وعنوا عناية شديدة بدراسته وفهمه واقتبسوا الكثير مما ورد فيه من معان وأفكار ، ونفس الأمر حدث إبان النهضة الحديثة فقد عنى الأدباء والنقاد والمؤرخون عناية شديدة بالتراث القديم بل إنهم حاكوا نماذج كثيرة منه .. وهذه الظاهرة ليست قاصرة على الأدب العربى بل نجدها

واضحة فى كل الآداب العالمية الشرقية منها والغربية . . فنجد الأدب الغربى فى عصر النهضة يطلع على الآداب القديمة ويحاكى الآداب اليونانية واللاتينية القديمة وقد نبه نقاد الغرب إلى ضرورة الاستفادة من التراث القديم حيث قالوا إن سبيل إنماء اللغات الحديثة هو الرجوع إلى القديم والاقتداء به . وهذه العوامل عامة مشتركة بين أدب الأطفال والأدب بمعناه العام .

وهناك عوامل خاصة لها أكبر الأثر فى أدب الأطفال وعلى أديب الأطفال مراعاتها :

أولا :

الأديب الذى يكتب أو ينظم للطفل فعليه يقع العبء الأكبر فى استجابة الطفل ومتعه وتعليمه وكلما كان بسيطا فى معالجته كلما كان أسهل وأسرع وصولا إلى قلوب الأطفال ، وعلى كاتب الأطفال أن يسترجع طفولته ليرى ما يمكن أن يحبه الأطفال ويعلمهم عن طريقه وما يمكن أن يبغضونه فيتجنبه ويبتعد عنه .

كما أن عليه أن يشترك فى كل شىء متصل بحياتهم حتى يتعرف على أحلامهم وأفكارهم وما يثير انفعالاتهم وما يحثهم على العمل .

والحقيقة أن أمير الشعراء أحمد شوقى يمكن أن ينال لقب أمير الشعراء بجدارة فى أناشيد وقصص الأطفال فهو قريب من الأطفال ناجح فى استمالتهم إليه .. وهو بالتالى ناجح فى تعليمهم وإفادتهم إلى جانب امتاعهم وتسليتهم فهو مثلا يعلم الأطفال النظافة عن طريق حيوان يأنسون إليه ويحبونه وهو القط .. يقول شوقى حاثا على النظافة معلماً ، الطفل بعض خصائص القطة وفائدة وجودها فى المنزل[1] .

---

(١) الشوقيات جـ ٤ ديوان الأطفال .

هرتى جد أليفة   وهى فى البيت خليفة
هى ما لم تتحرك   دمية البيت الظريفة
فإذا جاءت وراحت   زيد فى البيت وصيفة
شغلها الفأر .. تنقى الر   ف منه والسقيفة
ومن الأثواب لم تملك   سوى فرو قطيفة
كلما استوسخ أو   ى البراغيث المطيفة
غسلته وكوته   بأساليب لطيفة
صيرت ريقتها الصا   بون والشارب ليفة

وفى النهاية يأتى بنصيحة للطفل يمكن أن تتقبل فى هذا الوقت حتى يصبح الطفل ، كقطته نظيفا .

لا تمون على العين   ولا بالأنف جيفة
وتعود أن تلاقى   حسن الثوب نظيفة
إنما الثوب على الإنسان عنوان الصحيفة

وأمير الشعراء يعرف قيمة الأم بالنسبة للطفل ومدى تعلقه بها .. ولذا فهو يحبب الطفل فى المدرسة عن طريق أنشودة تتحدث فيها المدرسة عن نفسها وحديثها ملؤه الحب والحنان ، حتى ليشعر الطفل أنها أمه الثانية التى تهدهده وتدلله وتسهر على راحته .

وهو يعلم الطفل قيمة المدرسة ، ويحاول أن يبعد الرهبة منها بغرس حبها فى قلبه وإغرائه بالذهاب إليها ليلهو ويلعب ويقابل أترابه وليستفيد مما تقدمه له من علم وسعادة يقول شوقى[١] :

(١) الشوقيات . ديوان الأطفال : ص ١٩٦ جـ ٤

أنا المدرسة اجعلنى كأم ، لا تمل عنى
ولا تفزع كمأخوذ من البيت إلى السجن
كأنى وجه صياد وأنت الطير فى الغصن
ولابد لك اليوم وإلا فغدا منى
أو استغن عن العقل إذن عنى تستغنى
أنا المصباح للفكر أنا المفتاح للذهن
أنا الباب إلى المجد تعالى أدخل على اليمن
غدا ترتع فى حوشى ولا تشبع من صحنى
وألقاك بإخوان يدانونك فى السن
تناديهم بيا فكرى ويا شوقى ويا حسنى
وآباء أحبوك وما أنت لهم بابن

فعلى كاتب الأطفال حتى يضمن وصوله إلى قلوب الأطفال أن يقوم معهم بدور الطفل الواعى الذى خبر الحياة وعرف كيف يعالج المشكلات ويعلم الفضائل وينهى عن الرذائل وكل ذلك مع إدخال السعادة إلى نفوس الأطفال .

ثانيا : ربط أدب الأطفال بأصول التربية وعلم النفس والأدب عامة مرتبط بعلم النفس ، فما الأثر الأدبى إلا تعبيراً عن تجارب كان لها أثر فى نفسية صاحبه فصدر عنه ما نظم أو كتب تعبيراً عن خوالج نفسه ، والكتابة للأطفال تحتاج إلى عالم بنفس الطفل وحنايا هذه النفس حتى تؤدى الغاية منها . . فالطفل فى مراحل نموه المختلفة يتطور إدراكه وتتلون عواطفه فتقوى فى بعض الجوانب كما يصيبها الضعف والإهمال فى جوانب أخرى .

ولذا فقد قسم علماء التربية وعلم النفس حياة الطفل إلى مراحل نمو

مختلفة ، وحددوا ما يلائم كل مرحلة من هذه المراحل ، فما يلائم طفل الثالثة لا يلائم طفل التاسعة ، وما يلائم طفل الخامسة هو غير ما يلائم طفل الثامنة . . . وهكذا .

وهذا التقسيم له أثر كبير فى أدب الأطفال ومراعاة أذواقهم وما يميلون إليه فى فترات نموهم المختلفة .

والطفل عادة يبدأ الاستمتاع بسماع القصة حين يبلغ الثانية من عمره ويبدأ كذلك فى الابتهاج بالقصص من أجل معانيها ، وخيال الطفل فى هذه السن خيالا خصباً ، وهو مشتق من الواقع . . فالكرسى ينقلب رأساً على عقب ليصبح حصاناً أو عربة والصندوق يصير فرناً كالذى تطبخ فيه أمه ، والعروسة تصير رضيعاً يرضع اللبن . . ويأخذ حماماً ويلبس الملابس ، ولعب الطفل فى هذه السن تكرار لنشاطه فى حياته الواقعية[1] ، غسيل ولبس ، وأكل وذهاب إلى السوق وركوب السيارة أو الأتوبيس ، وهذه الأشياء تصنع مادة غنية للقصص ، وقد قرر علماء النفس أن الطفل منذ استمتاعه بالقصة يدخل الطور الواقعى المحدود بالبيئة ويستمر حتى الخامسة تقريباً ، وهو فى هذه المرحلة يدرك ما حوله فى المنزل والحضانة والشارع ، فيعرف أفراد أسرته بمميزاتهم المختلفة كالوالدين والإخوة والأخوات ، ويدرك العلاقة بينهم ويختلط بالأطفال . . ويرى حوله حيوانات تتحرك ولها خصائص مميزة وألوان متشابهة وغير متشابهة وتصدر عنها أصوات وحركات مختلفة . . لذلك كانت أنسب القصص فى بدء هذا الطور هى القصص التى تدور حول البيئة الواقعية المحدودة التى تستغرق

---

(١) فى أدب الأطفال ، الحديدى ص ٨٧ .
فن الكتابة للأطفال ، أحمد نجيب .

اهتمام الطفل وتشغله بالكشف عنها . . والطفل فى هذه المرحلة ينشد الأمان والدفء العاطفى فى علاقته بالكبار . . ومن أجل ذلك يود أن يكون قريباً من الوالدين أو المُدَرسة وقت حكاية القصة ، والقصة التى تحكى عند النوم تهدأ بها خبرة الطفل بالأدب فى المنزل ، ومن ثم يتحتم أن يسود فيها العدل ، وأن تكون نهايتها سعيدة . . مثال ذلك قصة « أم الضفيرة » تأليف جورج البهجورى (عدد كلماتها ٢٩٦ كلمة) ، فبطلة القصة (طفلة صغيرة هى أم الضفيرة ، ولها صديقان العصفور بلبل والقطة بسبسة ، اصطحبت الطفلة صديقتها فى نزهة بحديقة عامة واشتركوا فى الغناء واللعب واستأجروا قارباً فى نزهة فى البحر ، وأثناء العودة جاء ولد شرير حاول صيد العصفور بالنبلة فتصدت له القطة فخاف وهرب ، وعادوا إلى البيت فرحين ثم ناموا فى سعادة) .

والقصة تحتوى على عناصر جذابة بالنسبة للأطفال الصغار منها الرسوم الملونة الكبيرة والحيوانات والصور المألوفة كالقط والعصفور والمشاركة فى اللعب وفى النزهة فى البحر ثم التصدى للشىء المثير والنهاية السعيدة .

وفى هذه السن يجب أن تجنب الأطفال الحكايات المفزعة والمخيفة كقصص الجنيات والسحرة والأشرار لأنهم ما زالوا معدومى الخبرة بالحياة فى هذا العالم وتغلب عليهم السذاجة فيصدقون كل ما يحكى لهم وهم يعتقدون فى قوة السحرة والأشرار وخوارق الجنيات حين تحكى لهم القصص قدراتهم الخارقة . . وهذا يؤدى إلى أن يعيشوا فى فزع ورعب فى يقظتهم وأحلامهم ، والإشارة إلى الموت قد تأتى خلال قصص هذه المرحلة غير أنه يجب ألا يفسر على أنه نهاية قاسية لأن الطفل لا يدرك ما هو ، وإنما يعتبره وسيلة مناسبة لا يعاد الشخص فترة من الفترات ، والقصة هنا لا تحتاج إلى عقدة أو مشكلة ، بل أنها تمتلىء باللهو الذى يفهمه الأطفال كما أنها تدخل البهجة على نفوسهم بما تحويه من أصوات

حيوانات يحبونها ونهاية سعيدة وهم يحبون أن يسمعوا فى نهايتها [توته توته فرغت الحدوته ، أو وعاشوا فى تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات] .

والطفل فى الثالثة أكثر تركيزاً وهو يعرف ما يمتلكه ويحرص عليه كما أنه مدرك للتفاصيل التى تميز الأشخاص المحيطين به . . فالجدة لا بد أن تكون عجوزاً وبواب العمارة لونه أسود ، وبائع الآيس كريم معه مزمار ، والأم تلبس مريلة متى كانت فى المطبخ ، ويوم الجمعة عطلة تجتمع فيه الأسرة . . وهكذا .

والطفل فى سن الثالثة يحب أن يكون هو محور القصة ، والصور عنصر هام فى قصص الثالثة للإيضاح ، ويجب عدم عرض أكثر من صورة فى وقت واحد على الطفل حتى يتعرف على الشىء الذى بالصورة الأولى ويحدده ، ويمكن استخدام اليد والتعبيرات الأخرى ليتعرف الطفل على الحركة المناسبة لكل شعور . فالحزن يمكن أن يصور برأس منحن ، والدهشة برفع اليد ، وتحمل الألم بالضغط على الأسنان ، والفرح بالقفز والتصفيق[1] . . وهكذا .

والأطفال فى سن الرابعة يبدءون التفكير فى النماذج ، وهم فى هذه السن مستعدون للقصص بشكلها الكامل فهم يستطيعون ربط الأفكار ببعضها . . ولذا يمكن أن تنسج لهم أحداث القصة بحيث تكون عقدة بسيطة وسهلة ويجب أن تكون العلاقة بين أحداث القصة واضحة وضوحا تاما ، وقصص أطفال الرابعة يمكن أن تقدم لهم حول الأشخاص والحيوانات والأشياء غير المتصلة بهم اتصالا مباشراً بشرط أن تكون مألوفة لديهم . . والأطفال فى سن الرابعة ينطقون كل شىء وهم يمتحنون الشعور الإنسانى لما يحيط بهم ويفكرون فى أن كل ما يحيط بهم حتى الجماد لديه رغبات ودوافع مثلهم تماما .

---

(١) فى أدب الأطفال : الحديدى .

وقد تعترض بعض نظريات التربية على قصص الحيوانات والجماد التى تتكلم ظنا أن ذلك تضليلا للطفل، ولكن حديث الحيوانات والأشياء المتصلة بهم مقبول لدى الأطفال وهم يعلمون أنها لا تتكلم حقيقة ولكنها وسيلة للتعبير عن الشعور والرغبات[١] . . والأطفال فى هذه السن يحبون قصص الشقاوة ويندمجون فى الأعمال التى يقوم بها الولد الشقى وينشرحون بتخليصه من المأزق ويبتهجون لنجاته .

وسن الخامسة هى السن الجادة التى يكون الأطفال فيها مستعدين للتعلم وإنجاز الأعمال . . وهذه السن شغوفة بالمعلومات الجديدة متعلقة بمعرفة كل ما يمر بها من أمور الحياة ، ولذا نجد أطفال الخامسة يحبون القصص التى تعطيهم المعلومات وتقدم لهم المعرفة بطريقة تناسبهم ، وهم أيضا ولوعين بالقصص التى تشرح أحاسيسهم ، وشعورهم كإحساس الفرحة بالإنجازات التى يقومون بها وإحساس المتعة بتحمل المسئولية وكالشعور بخيبة الأمل أو الفشل وثورات الغضب . . والطفل فى هذه السن يميل إلى التمثيل ومن السهل أن يندمج فى أى موقف ومن أجل ذلك فالقصص على نمط التمثيليات أو المسرحيات فيها جاذبية خاصة لهم . . وهم يمثلونها فى لعبهم ويمكن إشباع هذه الرغبة فيهم عن طريق التمثيل بالعرائس[٢] .

والطفل فى سن السادسة والسابعة يكون فى سن القراءة والدراسة ويطول انتباهه ويطرأ عليه حب التخيل فيما وراء الطبيعة الواقعية التى عرفها بنفسه فيتخيل شيئا غير مألوف فى بيئته . . ولهذا يجنح إلى بيئة الخيال التى تظهر فيها الجنيات العجيبة والساحرات والعماليق والأقزام والملائكة وغيرها

---

(١) فى أدب الأطفال : الحديدى .
(٢) فى أدب الاطفال : الحديدى .

من الشخيات الغريبة التى تتضمنها القصص الخيالية كقصص ألف ليلة وليلة وأساطير الشعوب[1] .

وطفل هذه السن يعنى بالمواقف الفكاهية ويقرأ جهراً لمجرد اللهو والتسلية كما أنه يفضل القصص التى تنتهى بالمفاجآت . . وفى نهاية هذه الفترة يبدأ فى تكوين جماعات من الأصدقاء فى المدرسة والحى وذلك لكى يستقبل عن عن الكبار ولذا فهو فى حاجة إلى قصص تعالج هذا النوع من الحياة الإجتماعية .

وأبطال هذه القصص يمكن أن يكونوا من الأطفال أو الكبار أو الحيوانات والطيور فقصة (حبة القمح) مثلا تعلم التعاون وتنهى عن بعض الصفات الذميمة كالأنانية والطمع واغتصاب حق الغير .

ومن أمثلة القصص التى تصلح لهذه الفترة قصة الفأرة الطباخة . وهى تبدأ بأميرة جميلة تعيش وحدها فى بيت وتقوم بمتطلبات الحياة اليومية معتمدة على نفسها فتطبخ لنفسها وتغسل ثم تتقدم منها فأرة تعرض خدماتها . . ومن خلال ذلك تشبع حاجات أطفالها إلى الغذاء الشهى غير أن إغداق الحنان والحب وتقديم الغذاء لأطفال الفأرة لم يكن بطريقة سليمة من الوجهة الأخلاقية ، وعقدة القصة تحل بمقترح من الأميرة أن يشتغل الأطفال مقابل تمتعهم بالغذاء والمأوى . . ويتم توزيع العمل عليهم وتنتهى القصة نهاية سعيدة .

العمل . . فالتعب . . فالأكل . . والنوم وهى تشتمل على درس أخلاقى هو تحريم السرقة والتشجيع على العمل إذ أنه الطريق إلى أشباع الرغبات ،

---

(١) القصة فى التربية : ١٧

والقصة تشبع كثيرا من حاجات الأطفال الأساسية كالحاجة إلى الطعام والمأوى كما أن بها نوعا من الحراك الإجتماعي فمن طريق العمل يتحقق الهدف[1] .

ويجب أن تعطى لأطفال هذه السن الأمثلة والقدوة فى اختيار الأصدقاء وهم يختارون كتبهم بأنفسهم . . ويحبب إليهم الذهاب إلى المكتبة المدرسية دون وصاية من الكبار . . وعلى الكبار مناقشتهم فيما يقرءون حتى يشعروا بالاهتمام ويحتاج الطفل فى هذه السن إلى الأمن والدفء العاطفى حتى لا يشعر بفقدان التوازن وهو ينشد الاستقلال عن الكبار .

والطفل فى الثامنة والتاسعة تزداد قدرته على التركيز وتزيد عنايته بالقراءة ويظهر الفرق بوضوح بين البنين والبنات فى الاهتمامات وبالتالى فيما يحتاج إليه كل منهما من أدب وتزداد الحساسية للنقد عند الأطفال وينمو الضمير وتقوى إمكانيات التعاون والعمل فى جماعات . . وتزداد العناية باقتناء الكتب ويتقبلها الأطفال كهدايا ويستمتعون بكتب المسلسلات وتبدأ عنايتهم بقصص الأسرار والغموض والأشباح كما تتسع اهتماماتهم بالآخرين وتقل أنانيتهم ويشغفون بالتراجم وقصص السيرة الذاتية والحياة فى الماضى عند شعبهم وشعوب الأمم الأخرى ، كما يهتمون بكتب المعلومات التى تجيب عن كل تساؤلاتهم .

والأطفال فى سن العاشرة والحادية عشر وهى السن التى تسبق مرحلة البلوغ وفيها يختلف أدب البنين عن أدب البنات وهم يقضون أوقاتها طويلة فى القراءة، وطفل هذه المرحلة فى حاجة إلى أدب يعالج الأحداث والمشكلات من وجهات نظر مختلفة ، وهو فى حاجة إلى الإرشاد كيف ينقد الآراء المنحرفة والمغرضة والمنحازة ، وفى حاجة دائما إلى التشجيع ، ويبدأ فى اتخاذ القدوة والمثل الأعلى

---

(١) الأطفال يقرءون : هدى برادة وآخرون .

من أشخاص آخرين غير الوالدين . وقد يختبر موقفه بتحدى سلطتهما . . ولذا فهو فى حاجة إلى أدب يزوده بفهم العلاقات المتميزة فى الأسرة ومدى الفائدة التى يجنيها من انضمامه تحت لوائها وإلى أدب يساعده على اختيار القدوة والمثل. وهو يهتم بعواطفه الخاصة ويبحث عن القيم ويحاول فهم مشكلات العالم وهو بحاجة إلى أدب يزوده بكل ما يساعده على التوصل إلى ما يريد . . وهو يفكر فى مستقبله ، وعليه أن يتعرف أصول ومميزات كل مهنة والصعوبات التى يمكن أن يجدها بها ، وفى هذه السن يميل إلى الواقع ويبعد عن الخيال إلى حد ما ، ويظهر ضده حب السيطرة وغريزة المقاتلة . . ولذا يطلق على هذا الطور طور المغامرة والبطولة والقصص التى يميل إليها هى قصص المخاطرات والمغامرات والشجاعة والعنف والتعرض للهلاك ، غير أن بعض هذه القصص قد تكون أهدافها غير شريفة كأن تشجع على اللصوصية مثلا مما يؤدى إلى انحراف الطفل ، ومن أجل ذلك يجب الحذر عند اختيار فكرة القصة . . فلا بد أن تكون ذات دوافع شريفة وغايات محترمة كقصص صلاح الدين الأيوبى ، وطارق بن زياد وخالد بن الوليد وجميلة بو حريد وقصص الرحالة والمكتشفين للبترول والصحراء والقارات ومجاهل العالم .

وهذا النوع ليس مقصورا على الحقيقة بل يشمل الخيال أيضا كقصص أبى زيد الهلالى والسندباد(١) .

وليس معنى تقسيم مراحل نمو الأطفال إلى أقسام أنه من الحتم اشتراك كل الأطفال فى هذه المرحلة فى ذات الميول والاتجاهات ولكن المراد هو أن عددا كبيرا من الأطفال يشتركون فى أكثر هذه الخصائص والميول .

---

(١) القصة فى التربية .

ثالثا :

ربط أدب الأطفال بالواقع وتصويره للمجتمع الذى يعيش فيه الطفل عن طريقه تصوير الطبائع والأخلاق والعلوم والمخترعات وتحبيبه فى الجد والاجتهاد والعمل المثمر الشريف بطريقة مبسطة يستفيد ويستمتع بها الطفل من ذلك نشيد الفلاح :

أنا الفلاح فى مصرا أرد ترابها تبرا
فلا تُبقى يدى نقوا بواديها ولا قفرا
فمن نخلى لكم رطب ومن كرمى لكم عنب
ومن حقلى لكم قصب وقطنى يجلب اليسرا
سأحييها زراعات بماشية وآلات . .
وأكثر من نقابات وأنهض نهضة كبرى
وأحفظ ذلك الوادى ثمرات آبائى وأجدادى
وأسلمه لأولادى عزيزا سائدا حرا

رابعا :

ومن أهم العوامل التى تساعد على نجاح أدب الأطفال وتحقيقه غايته اللغة المناسبة ، واللغة المناسبة هى اللغة السهلة الخالية من التعقيدات ، والتى يمكن أن توصل الأفكار إلى عقول الصغار بسهولة ويسر . فعلى كاتب الأطفال أن يراعى هذه الناحية . . وعليه أن يسأل نفسه عمن سيقرأ قصته أو قصيدته . . . الخ . وعن مستواه اللغوى ، قبل أن يشرع فى الكتابة وإذا ما توصل إلى إجابات عن هذه الاسئلة سوف يحدد الخط اللغوى الذى يسير فيه[1] .

(١) فى أدب الأطفال ص ٢٦١ - ٢٦٢

(٢) القصة فى التربية : ٣٧

وكاتب الأطفال الناجح هو الذى يتجنب الألفاظ الغريبة ومجاز الأسلوب وتعقيده ويجعل أسلوبه جملا قصيرة بحيث يدع الفرصة للقارىء والسامع كى يدرك الحوادث ويتخيلهـا ويختار من الألفاظ ما يثير المعـانى الحسية دون مبالغة أو إسراف فى الزركشة والتفصيل ، ومن الضرورى لراوى القصة ، أن يجعل لغته وأسلوبه اللذين يسرد بهما قصته مناسبين لقدرة السامعين اللغوية . . وعليه أن يغير من أسلوب القصة وأن يبسطه إذا كان أعلى من مستوى جمهور السامعين[1] . .

وبطبيعة الحـال فالأمر ليس وقفا على القصة ولـكنه يشمل كل المجالات الأدبية التى يستمتع بهـا الطفل ويتعلم عن طريقها . ويجب أن يلاحظ أن أمر اللغة ليس وقفا على الأثر المـكتوب ولـكنه يشمل الآثار المروية شفاها وذلك أن الطفل يفهم الأثر فى مرحلة متقدمة جـدا ولـكنه لا يستطيع قراءته إلا حين بلوغه سن القراءة والدرس حوالى السادسة أو السابعة من عمره .

وقد فـكر كثير من الأدباء والتربويين فى أمر اللغة التى يكتب بها للطفل هل هى العامية أم الفصحى . . وانقسموا فى ذلك إلى فريقين :

أما الفريق الأول : فيفضل العامية لقربها من إدراك الطفل وهو يحاول إثبات صحة هذا الرأى بأدلة منطقية واعتمادا على أصول تربية الطفل . ويرى أن الطفل[2] يبـدأ السنين الأولى من حياته وهو لا يعرف إلا لغة الـكلام على حين تدخل لغة الـكتابة فى حياته مع بداية تعلمه القراءة والـكتابة ولـكنه لا يصل إلى درجة معقولة من التمكن فى مجال استعمال اللغة الجديدة

(١) القصة فى التربية ٣٧ ، ٣٨
(٢) فن الـكتابة للأطفال : أحمد نجيب ص ١٧٢

إلا بعد بعد عدة سنوات من الدراسة الجادة المثمرة ، ولهذا فإن اللغة المسموعة فى مجال أدب الطفل تكون فى حياته أسبق من اللغة المكتوبة ، وتظل منفردة بالسيطرة على هذا المجال سنوات جوهرية طويلة فى حياة الطفل . .

وفى هذه السنوات تبدأ صلته بقصصه الجيلة الشائقة من خلال صوت الراوى وتعبيراته ونبرات صوته التى يتفنن فى استغلالها ليظل مستحوذا على انتباه الطفل الذى يبقى بدوره مشدودا إلى ما فى عالم القصة من متعة وخيال وجمال . .

واللغة ليست مجرد الألفاظ والكلمات التى تكتب أو تقال وأنما لها علاقة كبيرة بالتفكير بل أنها كما يقولون جوهر التفكير حتى أن الإنسان إذا ما تأمل نفسه وجد أنه لا يستطيع أن يفكر تفكيرا مثمرا إلا إذا صاغ أفكاره فى عبارات أو جمل أو غيرها من وسائل التعبير كالرسم مثلا . . ولكن استعمال اللغة فى هذا الشأن هو الأساس الغالب ، ومن النصائح المألوفة فى مجال تعليم اللغات الأجنبية أن يحاول المتعلم التفكير باللغة الأجنبية التى يريد الكتابة بها ، وهى نصيحة تقال للدارس الذى يفكر باللغة العربية مثلا ويصوغ أفكاره فى عبارات اللغة العربية ثم يترجمها إلى اللغة الأجنبية فتبدو غريبة إلى حد ما عن أسلوب اللغة الأجنبية فكرا وكتابة .

ويخرج أنصار هذا المذهب إلى أن استعمال الطفل للغة معينة فترة طويلة يصبغ تفكيره ، بلون أو ألوان خاصة بحيث يكون لهذا أثره على اللغة الثانية التى يتعلمها فيما بعد ، وبنفس الطريقة إلى حد ما فإن اعتماد الطفل على لغة الكلام وحدها سنوات طويلة من حياته الأولى يترك فى نفسه

آثارا معينة بحيث يحدد ارتباطات خاصة بين تفكيره ولغة الكلام وبحيث تكون هذه اللغة المسموعة أوثق صلة بتفكيره من اللغة المكتوبة عندما يبدأ فى تعلمها . فالطفل يكون أقرب إلى نفسه أن يفكر بلغة الكلام وهو يقرأ بلغة الكتابة .

فأصحاب هذا الرأى يرون أن الأنجح أن يكتب للأطفال باللغة العامية فهذه اللغة لها مقوماتها المسموعة كاللهجة والنبرات والمؤثرات الصوتية المختلفة التى لا تقوى عليها لغة الكتابة فاللغة العامية لها أسلوبها الخاص الذى يعرفه كل من مارس إلقاء القصة وعرف كيف يستأثر بانتباه الأطفال ويستحوذ على عقولهم ومشاعرهم من خلال قصته .

ومن أمثلة الفروق بين اللغتين فى القصة المكتوبة تكتب « قال الأرنب » وعند إلقاء القصة تقول « الأرنب قال » ، وفى القصة المكتوبة تكتب « وظل الثعلب سائرا حتى وصل إلى الغابة » ، وعند إلقاء القصة تقول « والثعلب فضل ماشى ماشى لحد ما وصل للغابة » وعلى هذا نجد أن وضع يمشى ويمشى بدلا من سائرا فى الجملة الأولى سيجعلها أقرب إلى لغة الكلام فتصبح الجملة وظل الثعلب يمشى ويمشى ، ولغة الكلام تستعمل أصوات الحيوانات والطيور وما إليها . والكتابة بأسلوب الكلام يمكن أن يلجأ إلى هذا أيضا فنقول فى لغة الكلام البطة قالت كواك كواك ، أنا لا أحب الثعلب ، بدلا من قولنا قالت البطة كلا أنا لا أحب الثعلب ، وفى لغة الكلام يشعر الراوى أنه يحدث جماعة من الأطفال أمامه ويخلق بينه وبينهم أنواعا من التعاطف أو المشاركة الوجدانية وهو يستعمل ضمائر المخاطبين وكلمات معينة مثل ياسلام شوفتوا إزاى، وبعدين يا أطفال تعرفوا الأرنب لما شاف الأسد قال له إيه ، ويمكن أن يتحول هذا إلى شىء من مناظر للكتابة بأسلوب الكلام ، وهكذا نجد أن للغة الكلام أسلوبا

يختلف عن أسلوب لغة الكتابة بصرف النظر عن مجرد اللهجـــة والنبرات والمؤثرات الصوتية .

فهذا الفريق يرى أن الكتابة فى المراحل الأولى بلغة الكلام أوقع إلى نفوس الأطفال وإلى أسلوبهم فى التفكير ومتابعة أحداث القصة بطريقة أيسر ، وفى هذه الحالة يضاف إلى تأثير العين المبصرة أثر الأذن الخفية التى تحسن سماع اللغة الصامتة ، والكلام الباطن غير المسموع الذى يجول فى نفس الفرد وهو يفكر ويتخيل حين يقرأ قراءة صامتة ومن الظواهر المعروفة فى علم النفس أن أعضاء النطق الشفتين واللسان والحنجرة يعتريها نشاط حركى خفى دقيق يصاحب عمليات التفكير والتذكر والتخيل وما إليها . وقد أجريت تجارب ركبت بها أقطاب كهربائية على بعض أعضاء النطق عند بعض الأشخاص فأمكن أن تسجل على أجهزة خاصة متصلة بمحركات مؤشرا يدل على وجود نشاط دقيق خفى يعتريها عندما يقوم الشخص موضع التجربة بعمليات تذكر أو تخيل أو قراءة صامتة . . وكثيرا ما يكون تفكير الإنسان حديثا بينه وبين نفسه بأسلوب الكلام الباطن والأطفال فى قراءتهم للقصص قراءة صامتة يفكرون ويتخيلون مستعملين فى معظم الأحيان لغة الكلام الصامت . . فإذا لجأ كاتب الأطفال إلى الكتابة لهم بأسلوب الكلام المسموع فإنه يعين فكر الطفل وخياله على السير فى نفس الطريق ، ولهذا تزيد من مقدرة أحداث القصة على استثارة الخيال المقرون بالكلام الباطن أى أن أسلوب الكاتب يكون قوة مساعدة للطريقة التى يفكر بها الطفل ويتخيل . .

وعلى النقيض من هذا إذا لم تكتب القصة بأسلوب ينسجم مع طريقة الطفل فربما يمثل أسلوبها عاملا معاكسا لطريقة تفكيره وتخيله أو يعوق متابعته لأحداثها مما يبعد بها عن الأسلوب المناسب للطفولة ، فإذا أضفنا إلى هذا أن

الأطفال يغلب عليهم لونان من التفكير هما التفكير الحسن أو التعلق بالأشياء المحسوسة والتفكير بالصور أى الصور الحسية وأن تفكيرهم لم يرتفع بعد إلى مستوى التفكير المعنوى .. ولم يصل إلى القواعد العامة والنظريات المطلقة فإننا نجد أنهم عند قراءة القصة يستعينون بتكوين صور بصرية أى أنهم يتصورون رؤية ما يقرءون وكأنه ماثل أمامهم يرونه بأبصارهم ، وإذا استطعنا أن نجعلهم يصورون صوراً سمعية أيضا لما يقرءون بحيث يتصورون سماع مايقرءون وكأنه يتحدث إليهم فيسمعونه بآذانهم فإننا نكون قد استعملنا حاسة أخرى تعين على تجسيم الأسلوب وتعميق أحداث القصة فى نفوس قرائها من الأطفال . . وحسن استغلال الكتابة بأسلوب لغة الكلام المسموعة وأحكام الاستفادة من الأذن الخفية التى تستطيع أن تسمع لغة الكلام الباطن الصامتة يساعدان على تكوين صور سمعية تصاحب الصور البصرية أثناء قراءة الطفل للقصة مما يساعد على تعميق عملية اندماج الطفل فى القصة وأحداثها[١] .

فاللغة العامية يحتاج إليها الطفل فى قصصه خاصة فى مراحل النمو الأولى ثم يتدرج رقى هذه اللغة مع نمو الطفل . .

وأما أصحاب الرأى الثانى : فيفضلون اللغة الفصحى وذلك « لتكون قنطرة يعبر عليها الطفل من شاطىء الأسلوب البسيط الساذج إلى القدرة على معالجة التراث العربى الأصيل أو طريقا يصل الطفل من المرحلة الإبتدائية تدريجيا إلى تراثه الأدبى فى المرحلة الجامعية فيتدرج من الحكايات السهلة فى لفظها وأسلوبها ومعناها إلى القصص التى تعالج مشكلات الحياة بأسلوبها الرصين وعباراتها الأدبية المتقنة فى نهاية المرحلة الثانوية . . فإذا ما وصل إلى الجامعة وكان عليه

---

(١) فن الكتابة للأطفال : أحمد نجيب .

أن يدرس التراث العربي في أصوله ألفه وأقبل عليه لأنه كسر الحواجز والعقبات التي تقف حجر عثر بين أطفالنا وشبابنا وبين تراثنا العربي من صعوبة اللفظ والأسلوب »[١] .

وبعد استعراض الرأيين أرى أن اللغة التي ينبغي أن يكتب بها للطفل يجب أن تكون ، لغة سهلة وسطا بين اللغة العامية واللغة الفصحى وتكون أقرب إلى الفصحى ولكن بلا ألفاظ معقدة أو مجازية أو اصطلاحات غامضة حتى نضمن قربها من إدراك الطفل فيفهم المراد منها بلا صعوبة . . وهنا تكون هذه اللغة قد أدت وظيفتها ، ويجب البعد عن الألفاظ السوقية حتى لا يتعودها الطفل ويستعملها فيفسد ذوقه، كما يجب الابتعاد عن الألفاظ التي تحمل مضامين عميقة أو تدل على معنويات حتى لا تجهد ذهنه، وعلى الكاتب أن يتخير الألفاظ التي تدل على المحسوسات لأنها أكثر ما يناسب الطفل في مراحل نموه الأولى .

خامساً :

الدين من أهم العوامل المؤثرة في أدب الطفل والدين أمر فطرى في النفس البشرية منذ نعومة أظافرها ، وعاطفة التدين هي تلك العاطفة التي تتكون تدريجيا في نفوسنا وتتجلى منذ الطفولة في نزعة الطفل إلى استطلاع الكون والبحث عن طبيعة الأشياء . كما تظهر في ابتهاجه بجمال الطبيعة وفي حبه البرىء لمن يحنو عليه ونزاهته في التعبير عن شعوره ، ويمكننا أن نجعل الطفل يصل إلى معرفة الله عن طريق الحق والجمال ، فالحق هو الله ، ومن أسس العاطفة الدينية

---

(١) في مرآة التاريخ : كامل الكيلاني .

التراحم والتعاطف ، ومعنى ذلك أن يأنس الإنسان إلى أخيه يحب له ما يحبه لنفسه ويسعى إلى خدمته كما يسعى إلى خدمة نفسه ويتعاون معه فيما يؤدى إلى خير المجتمع الإنسانى ، والشعور الدينى هو ذلك الشعور الذى يدفعنا إلى أن نشفق على الضعيف ونغيث الملهوف ونواسى المكروب ، وهو الشعور الذى يدعونا إلى المغفرة والتفاهم والإحسان . . قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)[1] .

وقال تعالى : (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر)[2].

وقال جل شأنه (وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى)[3] .

والحب هو أهم ما ينبغى أن يتعلمه الطفل وهو الأساس الأول للأدب الدينى حب الله وحب الخير وحب الإنسانية جمعاء .

وغرس حب الله وحب الدين فى نفس الطفل عن طريق الأدب هو من أجدى الوسائل فى تنشئة الطفل تنشئة صالحة ، وإذا استطاع الأدب تحقيق هذه الغاية فقد نجح فى أداء رسالته . . وقد كثرت الدعوة إلى حب الله وطاعته وطاعة الوالدين فى أناشيد الأطفال فمن ذلك أنشوده بعنوان « طاعة الله والوالدين منها » :

أطع الإله كما أمر   واملأ فؤادك بالحذر

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣ ، ١٣٤
(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩
(٣) سورة البقرة آية ٨٣

وأطـع أباك لأنه رباك فى عهـد الصغر
واخضع لأمك أرضها فعقوقها إحـدى الـكبر
فإذا مرضت فإنهـــا تبـكى بدمع كالمطر[1]

ويجب فى المراحل الأولى غرس حب الأديان عموماً فى نفوس الأطفال . . فالأديان من عند الله ، والاختلاف بينها إنما هو كالاختلاف بين أجناس الناس وألوانهم . . يقول د. الحديدى[2] : (والذين يتخذون من أدب الأطفال وسيلة لغرس عقيدة دينية خاصة فى قلوب الناشئة يجب أيضاً أن يتخذوه وسيلة من وسائل احترام الأديان الأخرى وأن يتحولوا عما كان يحدث من قبل من تعميق الـكراهية للأديان المخالفة لعقيدتهم ، أو الاستخفاف بها وازدرائها ، وألا يتعرضوا فى مراحل الطفولة المبـكرة إلى المقـارنة بين الأديان أو إظهار الفروق بينها ، بل تصور على أنهـا أديان من عند الله ، ويختلف فيهـا الناس كما يختلفون فى جنسياتهم ولغاتهم ، ويجب عدم التعمق فى المعنويات الدينية فى أدب الأطفال خاصة فى السن المبـكرة لأن الطفل يقتنع أكثر بكل ما هو محسوس ملموس ، وضرر العناية بالمعنويات قد تـكون أكثر من نفعها ، فالطفل لأنه لا يرى الله يرسم له صورة مخيفة . . فهو يخضع له جميع البشر وهو يأخذ جدته التى يحبها فيحرمه منها . . وهو الذى يخلق الزلازل والسيول والقحط والحريق ويميت البقرة أو الجاموسة التى تدر اللبن ، ثم هو الذى جعل هذا الطفل فقيراً وجيرانه أغنياء . . ومن هذه الأشياء تتـكون صورة الله فى تفـكير الطفل ، والأفضل تعريف الطفل بالله عن طريق المحسوسات فالله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض والجبال والأنهار وواهب الحياة والنعم وهو وحده

---

(١) النصح المبين فى محفوظات البنين .
(٢) أدب الأطفال .

الذى يملك الثواب لمن يستحقه والعقاب المذنب فى الدنيا والآخرة ، وهذه المعرفة تجعل الطفل يراقب الله فى سره وجهره ويرجو رحمته ويخاف عذابه ويحبه ويخشاه) والقصص الدينى ينمى الأفكار والمواهب ويقوى الإرادات والعزائم ويصقل الروح ويربى الوجدان فقصص الأنبياء والصالحين تضمن للطفل المتعة إلى جانب تعريفه بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو مجتمعه ووطنه وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وأبطال الإسلام توجه الطفل إلى القدرة الصالحة وتدفعه إلى حب الجهاد والبذل فى سبيل الله والوطن ، وإذا ما غرس التدين فى نفس الطفل تمكن منه وأصبح خلقا ثابتا فيه . . وكل ما فى القرآن الكريم من فضائل وأخلاق وأوامر ونواه هى أفضل ما يمكن أن يقدم كأفكار لأدب الطفل ، ولأن الطفل لا يستطيع أن يفهم كل ما فى القرآن ويستوعبه عن طريق دراسة آيات القرآن وهو على الطريقة الواحدة فإن غرس هذه المعانى والقيم فى نفسه يحتاج إلى تنوع فى الأسلوب .. وهذه مهمة كاتب الأطفال فعليه أن يتخير ويقتبس من هذه المبادىء والتعاليم والفضائل ويعرضها فى مجالات شائقة متعددة بحيث يستمتع الطفل بها ، ويتعلم منها وعليه أن يركز فى عرضه لهذه القصص على مواطن العبرة والعظة والهدف الذى ترمى إليه دراسة قصص القرآن ونفس الأمر يقال بالنسبة للأناشيد أو المسرحيات أو التمثيليات الدينية .

أهمية أدب الأطفال :

تنبع أهمية أدب الطفل من أهمية الطفل الذى هو عماد المستقبل ومجدد حضارات الأوطان وهو أدب نبيل الغاية يهدف إلى نفع الطفولة ، وهذا الأدب يصل الطفل بالحياة ويهيىء له الفرص للتعرف على ذات نفسه وإمكانياته وهو يبعد عنه شبح الخوف والفزع الذى يتهدد العالم فى عصرنا الحاضر بالهلاك

والدمار ، ويجعله يعيش بعيداً عن القلق الذى يجتاح العصر ويؤثر على نفسيات الآباء والأمهات التى تؤثر بالتالى فى نفوس الأطفال مما يساعدهم على الإخلاص والتفانى فى العمل من أجل مستقبل أفضل وهو يبث فيهم روح التعاون وحب المشاركة ويوسع من مداركهم ويعرفهم بأنماط عديدة من البشر حقيقية وخرافية ويمكنهم من فهم التطور البشرى بطريقة تتلاءم ومراحل نموهم المختلفة كما أنه يدربهم على الصلات الاجتماعية ويعرفهم بطبقات المجتمع المختلفة فيكون بذلك جسراً بينهم وبين الآخرين وأدب الأطفال كالأدب العام مرآة للمجتمع ويعكس للطفل وجهة نظر المجتمع فى الفترة التى كتب فيها ، وهو أدب متطور بتطور المجتمع ويتغير تبعا لتغير وجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية .

والطفل يحتاج إلى كل المجالات الأدبية ليتعلم عن طريقها ، يحتاج إلى القصة والمسرحية والأغنية والنشيد والأوبريت ، يحتاج إلى الحقيقة كما يحتاج إلى الخيال ، وبكل هذه الأساليب يستمتع ويستفيد ، وتتكون معلوماته ويتعرف على النظم السياسية والتقاليد الاجتماعية .

والأدب يرقى من ذوق الطفل وينمى قدراته ويغرس العواطف النبيلة فى نفسه عن طريق بث حب الوطن وسرد تاريخه وقصص البطولات السابقة ، كما أنه يوجه النشء إلى نوع معين من التعليم كالتعليم الزراعى أو الصناعى أو غيرهما بإظهار مزايا هذا النوع أو ذاك ، عن طريق القصص ومجالات الأدب الأخرى .

وهو أدب متنوع يعنى بمراحل نمو الطفل ويتخير له ما يلائمه فى سنوات عمره المختلفة ويميز بين ما ينتفع به كل من الولد والبنت وما يوافق ميولهما فى سنوات الطفولة المتأخرة .

ومن الطبيعى أن يكون هذا الأدب متنوع الأغراض متعدد الفنون ، والأجناس الأدبية المعروفة بالنسبة للأدب العام هى نفسها موجودة لدى الأطفال مع مراعاة أن يكون الهدف ، التعليمى فى المرتبة الأولى على أن يحاول الأديب دائما إخفاء هذا الهدف وراء ستار التسلية والإمتاع .

وسنقتصر فى هذا البحث المتواضع على دراسة فن واحد من فنون أدب الأطفال ، وهو أكثر هذه الفنون شهرة وأوسعها انتشاراً ذلك هو القصة . .

وهناك أسئلة كثيرة يمكن أن تدور فى أذهاننا بشأن قصة الطفل هل هى فن حديث أم عرفت منذ القديم . . وفى أى عصر ظهرت على وجه التحديد وما أشكالها وما أغراضها ومعانيها . . وقبل كل هذا ما هى القصة ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التى سنحاول أن نجد لها إجابة على الصفحات التالية .

الفصل الثانى

قصص الأطفال فى الآداب القديمة . . والأدب الجاهلى .

١ — انتشار القصة .

٢ — معنى « القصة ، الأسطورة ، الخرافة ، المثل ، الأقصوصة ، الحكاية » .

٣ — قدم وجود القصة « القصة فى الآداب القديمة ، القصة فى الأدب الجاهلى » .

القصة أكثر الأجناس الأدبية انتشارا في أدب الكبار والصغار على السواء، وأوسعها مجالا لتصوير الحياة بكافة وجوهها ، وهي أكثر الأنواع الأدبية تأثيرا بالنسبة للوعي الأخلاقي لأنها تدمج القارىء في الحياة المثلى التي يتصورها الكاتب .. كما أنها تهب المعرفة بقدر لا يستطيعه أي نوع سواها ، وتبسط الحياة الإنسانية في سعة وامتداد وعمق وتنوع ، وهي أقل الأجناس الأدبية قيوداً وأقربها إلى قلوب وعقول الأطفال يستمتع بها الطفل قبل أن يستوى نطقه ويكتمل إدراكه فنلاحظه يبدأ الاستماع إليها والاستمتاع بها منذ الثانية من عمره ولا ينام إلا على صوت أمه أو مربيته .. وهي تروى له قصص المساء . ونراه متجاوبا مع أحداث القصة ووقائعها يتابعها ويستفسر من حين لآخر عن معنى كلمة أو يطلب شرحا لموقف لم يفهمه .. فالقصة تشغل الطفل وتسعده وتوسع من مداركه وتعلمه الكثير ، وهي فن مفيد له غايات مفيدة وأهداف نبيلة .. كما أنها أداة من أفضل الأدوات في تربيته وتعليمه ثم هي أقدر الآثار الأدبية على بث الأخلاق الحميدة، وهي تمثل الأخلاق وتصور العادات وتهذب الطباع وتدفع الطفل إلى التمسك بالفضائل وتنفره من الرذائل .. هذا إلى جانب أنها أدب إمتاعي .

والقصة وجدت في كل الكتب السماوية .. فقد وردت في التوراة وجاءت في الإنجيل كما جاء الكثير منها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وقد وجهت الأمم جميعها عناية خاصة إليها فوجدناها في آداب الأمم الشرقية والغربية على السواء .

وقبل أن أخوض في دراسة القصة في أدب الأطفال أرى لزاما على أن أوضح معنى القصة ومعاني بعض الألفاظ التي يحمل مضمونها قصصا مثل الأسطورة والخرافة والمثل والحكاية والأقصوصة .

واسم القصة مشتق من القص[1]، وهو التتبع قال تعالى « قال لأخته قصيه »[2] أى تتبعى أثره على ما انتهى إليه أمره ، ويقال خرج فلان قصصاً فى أثر فلان وقصا وذلك إذا اقتصى أثره ، ومن ذلك قولهم قص الأثر أى نظر فيه واقتفى آثاره وشواهده ، والقصة بالكسر الأمر والحديث والخبر والقصص والأخبار المتتابعة قال تعالى « إن هذا لهو القصص الحق »[3] وقال جل شأنه « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »[4] كما قال سبحانه وتعالى « ولما جاءه وقص عليه القصص »[5] « نحن نقص عليك أحسن القصص »[6] ، « فلنقصن عليهم بعلم »[7] ، يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون[8] ، فاقصص القصص[9] ..

وقد أطلق العرب اسم القصة على الحديث والسمر والخرافة والخبر ، والقاص من يأتى بالقصة على وجهها كأن يتتبع معانيها وألفاظها وفى الحديث (إن بنى إسرائيل لما قصوا هلكوا) وفى رواية (لما هلكوا قصوا) أى اتكلوا على القول وتركوا العمل فذلك كان سبب هلاكهم ، أو العكس لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص ، وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا[10] .

فالقصة تتبع الأخبار والحوادث وترويها فى ترتيب منطقى يوضح تسلسل

---

(١) المحيط ، تاج العروس . اللسان .
(٢) سورة القصص آية ١١
(٣) سورة آل عمران آية ٦٢
(٤) سورة يوسف آية ١١١
(٥) سورة القصص آية ٢٥
(٦) سورة يوسف آية ٣
(٧) الأعراف آية ٧
(٨) سورة النمل آية ٧٦
(٩) سورة الأعراف آية ٧٦
(١٠) تاريخ العروس ٤ / ٣٣٢

الأحداث إلى أن تصل هذه الأحداث إلى النتيجة التى هدف إليها القاص، وهى دائما نتيجة سببية للأحداث التى مرت بها القصة، والقصة تبدأ وتنتهى فى حدود زمنية معينة ويمكن أن تتناول حادثة واحدة بكل ملابساتها أو تتناول مجموعة من الحوادث بالتفصيل، والقصة غير مقيدة بطول معين . وهذا يساعد الكاتب على أن يلم بجميع ملابساتها وجزئياتها . كما أن هذه الحرية تجعله غير محدد بعدد الشخصيات أو كمية الأحداث .

وأى قصة تعتمد على الحوادث[١] والشخصيات والحبكة[٢] والحوار والبيئة ثم الأسلوب وهذه العناصر مرتبطة ببعضها البعض وتتفاوت أهمية كل عنصر منها حسب طبيعة القصة ولونها الفنى[٣] .

ومن أهم عناصر القصة الأسلوب الفنى أو الصورة التعبيرية التى يصوغ بها الكاتب قصته وهى تتضمن اللغة والعبارات والصور البيانية وما إليها من عناصر الصياغة .. وفى هذا الأسلوب تظهر براعة القاص فى العرض وفى التأثير[٤] ، وطريقة عرض القصة وترتيب الحوادث فى مواضعها وتحريك الشخصيات فى مجالها وصحة رسمها . يشعر القارىء بواقعية الحياة التى تجرى فى القصة وواقعية شخصياتها ، وبالتالى يؤدى إلى نجاحها .

(١) الحوادث : مفردها حدث والحدث هو اقتران فعل بزمن والقصة لاتقوم إلا به.

(٢) الحبكة : هى الرباط بين أحداث القصة وهى التى تؤدى إلى وحدة العمل القصصى وترابطه والحبكة فى القصة تجعل القاص يخلق من فوضى الحياة نظاما منسقا، وهى عملية اختيار وتقديم وتأخير للحوادث ، فالقصصى يختار الحوادث الصالحة ويضع هذه قبل تلك بحيث يجىء السياق والتتابع موفيا بالغرض المقصود ولو خلت القصة من الحبكة لا تعد قصة فنية .

(٣) دراسات فى القصة العربية الحديثة : محمد زغلول سلام ص ٦

(٤) نفس المرجع .

والقصة قد تكون شعرا كما أنها قد تكون نثرا ، وفى العصر الحديث غلب النثر على القصص .. وهذا مما قلل قيودها .

والأقصوصة .. نوع من القصص يشترك مع القصة فى اعتمادها على أسلوب السرد أو الحكاية ولكنها تختلف عنها فى طبيعتها ومجالها فهى تدور حول محور واحد ولا تشمل من حياة أشخاصها إلا فترة محددة أو حادثة خاصة أو حالة شعورية معينة ولا تقبل التشعب والاستطراد إلى ملابسات كل حادثة وظروف كل شخصية إذا كان ذلك يبعد النظر عن الشخصية الأساسية أو الحادثة الأساسية . (والأقصوصة تعتمد على دقة التصوير وقوة الإيحاء قبل أن تعتمد على الحادثة أو الشخصية)[1] .

والأقصوصة ملائمة للأطفال فى مراحل نموهم الأولى لقلة شخصياتها ووحدة حدثها ولالتزامها بطول محدد سواء بالنسبة للشعر أو النثر .

وقد مرت القصة بمراحل كثيرة وأطوار متعـــددة ومن محاولاتها مرحلة الأساطير والخرافات والأمثال والحكايات .

والأساطير :

هى الأباطيل والأكاذيب التى لا نظام لها وهى جمع أسطورة وأسطيرة وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب ، وسطر علينا أتانا بالأساطير وقص علينا الأساطير[2] .

قال الراغب[3] الأصفهانى فى قوله تعالى : « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم

---

(١) النقد الأدبى . أصوله ومناهجه : سيد قطب .
(٢) تاج العروس .
(٣) عن كتاب المفردات فى غريب القرآن : الراغب الأصفهانى .

قالوا أساطير الأولين[١] . أى شيء كتبوه كذبا وفيما زعموا نحو قوله تعالى : « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا »[٢] .

والأسطورة إخراج لدوافع داخلية فى شكل موضوعى ، وهى فى الدراسات الأدبية نوع من القصص الشعبي تعبر عن التجارب البدائية للانسان وتعنى بالحديث عن موقف الإنسان من قوى الطبيعة ، ومن الآلهة الخيالية كما تخيلتها القدماء وموقفه من الكائنات الواقعية . . والأسطورة تراث ثقافى تملكه كل الشعوب وهى توضح ثقافة شعب فى فترات معينة وغالباً ما تكون مجهولة المؤلف ثم يتبناها المجتمع فتصير نتاجا له . . وقد تقبل الإنسان هذه الأساطير كحقيقة فى ثقافة الإنسان الأول ، وبالأساطير يمكن التعرف على كثير من عادات الشعوب وأخلاقهم كما أنها توضح الكثير من جوانبهم النفسية .. وقد كثرت البحوث حول الأسطورة واختلفت الآراء فى تفسيرها اختلافا بلغ حد التعقيد ويمكن رد هذه الاختلافات إلى نظريات أربع[٣] :

أولها :

النظرية الطبيعية وترى أن الأساطير نشأت ليفسر بها الإنسان ما يصادفه من الظواهر الطبيعية التى يخاف منها ويعجز عن تفسيرها كالصواعق والرعد والزلازل والبراكين والسيول ، وقد فسرت كل هذه الظواهر تفسيرا دينيا . . ومن هنا كان لليونان إله للصواعق ، وإله للبحر ، وإله للبراكين وآلهة للخير وأخرى للشر ، وكأن العرب يعتقدون أن هناك ملكا موكولا إليه أمر المطر فيغربل الماء حين يشاء لينزل قطرات.

(١) سورة النحل آية ٢٤ (٢) سورة الفرقان آية ٥
(٣) الأساطير : أحمد كمال زكى ، الحكايات الخرافية : ترجمة نبيلة إبراهيم .

ثانياً :

نظرية التفسير الدينى ، وترى أن الأساطير فى أصلها مجموعة من القصص الدينية عرفتها الشعوب على مر الأيام وورد ذكرها عند كل شعب فى كتبه السماوية أو على لسان كهانه وسدنة معابده ثم أضيف إليها وغير فيها حتى بعدت عن مجرد الحقيقة الدينية إلى الأسطورة ومن هنا وجد تشابه بين الشعوب فى مثل هذه الأساطير ، ومن ذلك أسطورة نوح والطوفان وأهل الكهف وقارون ، وقد وجدت مثيلات لها فى أساطير الشعوب المختلفة .

ثالثا :

نظرية التفسير التاريخى وترى أن أبطال الأساطير كانوا فى الأصول بشرا حقيقيين عاشوا على الأرض وقاموا بأعمال عظيمة ثم نسج حولهم الخيال الشعبى على مر القرون قصصا نسبت إليهم أعمالا خارقة، وجعلت منهم مزيجا من الآلهة والبشر أو رفعتهم عن منزلة الإنسان الطبيعى .

رابعا :

نظرية التفسير الرمزى وهذه ترى أن الأسطورة كانت تعبير بطريقة رمزية عن فكرة دينية أو خلقية أو اجتماعية أو فلسفية ، ثم فقدت مع مرور الزمن معناها الرمزى واحتفظت بمعناها الحرفى .

وكان للعرب قبل الإسلام أساطيرهم التى توافق حياتهم وطبيعتهم وهى تختلف اختلافا كبيرا عن الأساطير اليونانية وذلك يرجع إلى اختلاف العقليتين . ومما يثبت وجود الأساطير عند العرب قبل الإسلام ومعرفتهم لها أن الضالين

منهم عند ما استمعوا إلى القرآن الكريم ، قالوا هو أساطير الأولين واتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه اكتتب هذه الأساطير فهي تملى عليه بكرة وأصيلا .

وقد أنكر كثير من الباحثين أن يكون للعرب أساطير واتهموهم بأنهم لم يكونوا من أصحاب الملكات الخلاقة التي تعتمد على الخيال الواسع الذي يحتاج إلى الأساطير ، وهذا الإدعاء مرفوض الدليل ما ورد في القرآن الكريم من إثبات معرفة العرب للأساطير . يقول د . أحمد زكي(١) (والذين ينكرون على العرب الأساطير أنكروا كذلك وجود العرب البائدة من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعبيد ، وعبد ضخم ، والعماليق وجرهم الأولى . والقرآن الكريم ذكر حوادث عن العرب البائدة وهذا أوثق دليل على وجودها ، وأغلب الظن أنه كان لها تراث يمكن أن يكون مادة للأسطورة عند العرب ، ثم جاءت العرب العاربة من نسل قحطان والمستعربة من نسل عدنان ، وفي تاريخهما وقصصهما ودياناتهما ما يصلح لصوغ الأساطير . . وقد أشار القرآن الكريم إلى طقوسهم الدينية في قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية . . والمكاء هو الصفير والتصدية هو التصفيق ولا بد أن يكون ذلك مصحوبا بالنشيد والدراسات تقرر أن أقدم الأساطير كانت غناء دينيا ثم ملاحم شعرية ، وأشار القرآن الكريم إلى آلهتهم من اللات والعزى ومناة وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، كما أشار إلى سحرها روت ، وروت الأخبار قصة آساف ونائلة اللذين مسختا حجرين ثم عبدتا بعد ذلك ، وروى الشعر العربي عن الساحر والمارد والعنقاء والحية ذات الرأسين والسعلاة والغول).

---

(١) الأساطير : أحمد كمال زكي .

والمفروض بعد كل هذا أن تكون على يقين من وجود الأساطير عند العرب ويمكن تعليل عدم بقاء أساطير الجاهلية بعد الإسلام إلى أن الإسلام أبعد المسلمين الأولين من العرب عن حياتهم الأولى حياة الوثنية وكل ما يتصل بالجاهلية ، ولأن كثيرا من أساطير الجاهلية كانت تتعلق بالآلهة والأديان ، أصبحت لا تتلاءم مع الدين الإسلامى . : والناحية الثانية التى أضاعت أكثر الآثار الجاهلية حتى مالم يكن متعلقا بالأديان وصنوف العبادات تلك هى انشغال المسلمين بالجهاد فى سبيل الله وحفظ القرآن الكريم والانكباب على دراسة تعاليمه ومبادئه .

أما الخرافة :

فتنسب إلى رجل من عذره أو من جهينه استهوته الجن واختطفته ثم رجع إلى قومه فكان يحدثهم بما رأى فيعجب الناس منه ، وجرت على ألسن الناس هذه الأحاديث وكانوا يطلقون عليها حديث خرافة والمراد حديث مستملح كذب[1] .

والخرافة قصة قصيرة من مجموعة الأفعال المرتبة التى تدور حول موضوع معين وهى ذات مغزى أخلاق وغالبا ما يكون أشخاصها وحوشا أو جمادا أو حيوانات أو مخلوقات[2] غريبة ، والأدب العربى اشتمل على كثير من هذه الخرافات فى عصوره المختلفة ابتداء من العصر الجاهلى ، والجاحظ يروى كثيرا من هذه الحكايات فى كتابه الحيوان ومنها على سبيل المثال : روى الجاحظ قال قالوا : خرج علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث الكنانى جد مروان بن الحكم ، خرج فى الجاهلية وهو يريد مالا له بمكة وهو على حمار وعليه

(١) تاج العروس ج ٦ ، الصحاح (٢) الحيوان للجاحظ ٢٠٦/٦ – ٢٠٨

إزار ورداء ومعه مقرعة فى ليلة أضحياته حتى انتهى إلى موضع يقال له حائط حزمان ، فإذا هو بشق له يد ورجل وعين ومعه سيف وهو يقول :

علقـم انى مقتـول وان لحمى مأكـــــول
أضربهم بالمهـــــذلول ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

يا شقها وبالى ولك أغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك

فقال شق :

عبيت لك عبيت لك كيما أتيح مقتلك
فأصبر لما قدم حم لك

قال : فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين ، فمن قتلت الجن علقمة بن صفوان هذا ، وحرب بين أمية . . قالوا : وقالت الجن :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا : ومن الدليل على ذلك وعلى أن هذين البيتين من أشعار الجن أن أحدا لا يستطيع أن ينشدهما ثلاث مرات لا يتتعتع فيها ، وهو يستطيع أن ينشد أثقل شعر فى الأرض ، وأشقه عشرات مرات ولا يتتعتع[1] .

---

(١) الحيوان ٦/٢٠٦ – ٢٠٨

كذلك عرفت الخرافات فى الآداب الشرقية والغربية القديمة منذ أقدم العصور . وهذه القصص هى مخلفات الشعوب فى عهودها الفطرية وهى تشتمل على بقايا ثقافات يصل تاريخها إلى أقدم العصور .

والخرافات تثير خيال الطفل وتبهره والجدات لديهن حصيلة كبيرة من هذه القصص كن ورثنها عن جداتهن ، والمرأة العجوز ذات العصا السحرية فى قصة سندريلا عندما تأتى إلى سندريلا بعد رحيل زوجة أبيها وابنتيها وذهابهن إلى حفل الأمير تلبس سندريلا أفخر الثياب وأجملها وتسحر بعصاها الخضروات والفئران فتحولهم إلى عربة فاخرة تجرى أمامها الجياد . هـذه الساحرة دائما تتعلق بها قلوب الصغار لتقديمها الخير إلى الفتاة المظلومة ، وهناك أيضاً الساحرات الشريرات وهن دائما يحاولن هزيمة الخير . ولذا فهن فى حرب مستمرة معه ، والطفل يترقب نتيجة الصراع بين الخير والشر ، وفى هذه القصص ينتصر الخير دائما ويقهر الشر الممثل فى الساحرة الشريرة ومن يتبعها مثال ذلك قصة الأميرة والأقزام السبعة .

وإذن فالظاهرة الواضحة التى تسترعى الانتباه فى هذا النوع من القصص هو اتجاهه الأخلاقى فهو يكافىء الخير بخيره ويجزى الشر بشره ، تقول د . نبيلة إبراهيم[1] (ولكن ذلك لا يتحقق فى كل القصص . . فالأميرة التى نامت مائة عام والأمير الذى جاء ليوقظها ويتزوج بها لم يقدما أعمالا خيره حتى يكافآن عليها كما أنهما لم يظلما فى الحياة حتى يرفع مبدأ العدالة عنهما الظلم ، ولا يفسر ذلك إلا ميل الإنسان إلى كل ما هو عجيب سحرى من ناحية ، وأن قصص الخوارق لا تصور علاقة الإنسان بعالمنا الخارجى فحسب وإنما تصور كذلك

---

(١) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى : د نبيلة إبراهيم .

صراعه مع عالمه الداخلى من ناحية أخرى) . وأرى أن هذا الاتجاه يوضح ميل الإنسان إلى الخير إلى جانب ما ذكرته الكاتبة . . ذلك أن هذه الفتاة التى نامت مائة سنة هى فتاة لم تقترف ذنبا فقد دعت الساحرة الشريرة على أبويها فى يوم عيد ميلادها الأول لإغفالها دعوتها إلى هذه المناسبة السعيدة فأصابتها الإبرة ونامت نتيجة لذلك وكان عليها أن تبقى مائة عام حتى يوقظها الأمير . فإيقاظها بعد مائة عام هو رفع لظلم لم تقترفه فهو يصور ، حب الإنسان للخير وهو إلى جانب ذلك يوضح ميل الإنسان إلى الأمور العجيبة السحرية .

ومن الخصائص التى يتميز بها هذا النوع أن البطل فيها تنقصه تجربة البعد بينه وبين العالم المجهول به كما أنه لا يتابل شخوص هذا العالم مقابلة المتعجب إنما يقابلها مقابلة المساوم فى سبيل الوصول إلى مآربه ، كذلك تميل شخصيات هذا النوع إلى التسطيح[1] . . فهى شخصيات بلا أجساد « كأنهم يعيشون بلا واقع داخلى ولا عالم يحيط بهم » فإذا حكت الحكاية الخرافية أن البطل جلس يبكى فهى لا تفعل ذلك لكى تنقل لنا حالة نفسية وإنما لتتخذ من ذلك وسيلة للاستمرار فى السرد وإدراك الهدف ، فما أن يفعل البطل هذا حتى تظهر له الكائنات المساعدة فتأخذ بيده كى توصله إلى هدفه ، والبطل لا يمتلك طاقة من الذكاء وإنما يمتلك الموهبة المقدرة له من قبل ، ومن خواص هذه الموهبة أنها مؤقتة وليست دائمة تظهر فى فترات الأزمات التى يمر بها البطل ثم تختفى بعد ذلك ، ويبدو فى الحكاية الخرافية اختفاء الأبعاد الزمنية حقا أنها تصور شخوصا مسنة وأخرى صغيرة السن ، وتحكى عن الأخ الأكبر والأخ الأصغر ولكنها لا تصور أناسا يعيشون فى الزمن بمعنى أنهم يهرمون ويعيشون الماضى

---

(١) أشكال التعبير الأدبى ، القصة القصيرة : الشارونى ٣٠ ، ٣١

والمستقبل . (فالأميرة تنام مائة سنة وتصحو وهى لا تزال شابة جميلة وكأنها لم تكبر يوما واحداً)[١] هذا إلى أن هذه القصص تجريدية لا تعرف شخصياتها الظلال بل هذا غنى وهذا فقير وهذا حسن الحظ وذاك سىء الحظ .. والبطل يعيش فى عزلة تامة عن الزمان والمكان والأهل (كما أنه يسمو فوق الواقع الداخلى والخارجى فلا يحس التعب ولا يعرف الغضب أو الثورة)[٢] .

وتحت هذا النوع من القصص تدخل (الحواديت) ومن خصائصها (أن يبدأ الكاتب بتقديم شخصية البطل فى محيط أسرته تقديما سريعا معتمداً فى ذلك على المفهومات الكلية لدى الإنسان الشعبى للجمال والقبح والفقر والغنى والصغر والكبر ، وتصور حالة الأسرة على أنها تعانى من نقص أو تهديد ، فقد تعانى من تهديد الفقر أو من سطوة زوجة الأب أو تعانى من نقص الإنجاب فيخرج البطل ملبيا أمراً وقد يكون هـذا الأمر غريبا مجهولا كأن يقابل الابن الصبى عجوزا يضايقها فتدعو عليه فى الحال بعشق الليمونات الثلاث أو بعشق القمر بين حائطين وفى الحال يصاب هـذا الابن بعشق هذا الشىء المجهول ويخرج للبحث عنه فى أصرار)[٣] .

وأحداث الحكاية تبدأ مع حركة الخروج إذ تقابل البطل شخصية شريرة تختبره وتهادفه حتى يقع فى أسرها ، ولا يخلصه من هذا الأسر إلا مقابلته للشخصية المساعدة أو المانحة التى تقدم له العون فى اللحظة الحرجة ، ثم تقدم له الأداة السحرية متمثلة فى الخاتم السحرى أو البساط السحرى أو الحصان السحرى

---

(١) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى : د . نبيلة إبراهيم .
(٢) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى : د . نبيلة إبراهيم .
(٣) البطولة فى القصص الشعبى ٣٤ : د . نبيلة إبراهيم .

إلى غير ذلك من الأشياء التى تأباها فى هذا النوع من القصص وعلى أثر هذا يتمكن البطل من التخلص من أذى القوة الشريرة كما يتمكن بوساطة الأداة السحرية من أن يصيب مالا أو جاها أو كليهما معا وغالبا ما يحصل على هذا فى مملكة غريبة يعلو فيها صيته فيتزوج البطل ابنه ملك هذه المملكة ويحكم عليها أو على نصفها أو تتزوج البطلة أمير هذه المملكة وتعيش فى الثبات . . والنبات وتخلف صبيانا وبنات[1] .

وقد اختلفت أراء التربويين بين مؤيد ومعارض لمرونة أطفالنا ، هذا النوع من القصص . . وأرى أن الطفل فى سنه الصغيرة حتى الثالثة ينبغى أن يبعد عن أمثال هذه القصص ثم لا بأس من أن يعرفه فيما بعد ، وهذا النوع لا يضر الطفل منذ الرابعة فالخيال فيه مرتبط بفوائد شتى للأطفال . . وفى هذه القصص يمتزج الحق والتجربة بالخيال[2] وكل تجربة تقدم للطفل توسع من مداركه وتضيف عنصراً جديداً لمخزونه من الاستنتاجات ولرصيده من الأخلاقيات التى يستخدمها ويتقابل معها فى حياته المقبلة ، وهذه القصص ترشد إلى الأخلاق الفاضلة ، وتوجب اتباعها كما توضح ضرر الشر وجزاءه ، فقصة الطفلة ذات القلب الطاهر التى مست شفتيها قوة سحرية فأصبحتا تخرجان مع كل كلمة جواهر من اللؤلؤ والأحجار الكريمة بينما أختها التى امتلأ قلبها بالأنانية والخبث مست القوة السحرية شفتيها فجعلتهما يلفظان الضفادع القبيحة والأفاعى البشعة مع الكلمات فجزاء الخير هو الخير دائما وجزاء الشر هو الشر .

وحرمان الطفل من هذا النوع من التراث هو نقص فى ثقافته الأدبية ،

---

(١) البطولة فى القصص الشعبى ٣٤ : د . نبيلة إبراهيم .

(٢) فى أدب الأطفال : د . الحديدى .

وترجع قيمة هذا اللون من القصص أيضا إلى بساطة أسلوبه وإحيائه لكثير من القيم والمعانى الجهدة مثل الشجاعة والصدق والأمانة والرجولة . . وهذه أشياء أساسية فى تكوين أخلاقيات الطفل .

وعلى هذا فيجب عدم حرمان الطفل من هذا التراث وعلى كاتب الأطفال محاولة إعادة صياغته بطريقة تقلاءم وذوق العصر .

وقد مزج كثير من المؤرخين بين الأساطير والخرافات حتى صارتا تمثلان نوعا أدبيا واحداً يمتزج فيه القصص الشعبى بالخرافة كقصص ألف ليلة وليلة .

وكما ذكرت سابقا فإن الأسطورة والخرافة من أقدم ما عرف من مراحل نشأة القصة وقد وجدتا فى كل الآداب القديمة شرقية كانت أو غربية وأوضحت مزايا الشعوب فى طور الفطرة . . وما كانت تتميز به من حب للحق والصدق وميل إلى الخير مما يؤكد أن الإنسان خير بطبعه وأنه يجنح دائما إلى كل ماهو خير وينفر من الشر والظلم .

الأمثال :

والمثل يدل على مناظرة الشيء للشيء أو تشبيهه به والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكره فورى به لمن مثله فى المعنى . قال أبو عبيد القاسم بن سلام (هذا كتاب الأمثال وهى حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكتابة من غير تصريح فيجتمع لها ثلاث خلال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه)[1] .

وقال الفارابى فى كتابه ديوان الأدب (المثل ما تراضاه العامة والخاصة

---

(١) الأمثال العربية القديمة : ترجمة رمضان عبد التواب .

فى لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به فى السراء والضراء ، واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به إلى المطالب القصية ، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة ، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة أو غير مبالغ فى بلوغ المدى فى النفاسة)[١] .

والمثل فى العبرية يعنى الأسطورة أو الحكاية وقريب من هذا معناه فى القرآن الكريم فهو يعنى الحكاية القصيرة أو الطويلة نسبيا كالأمثال التى يضربها عن حكايات الأمم السالفة وقصص الأنبياء ، وقد تعنى مجرد صورة بيانية قصيرة فيها لمحات الخيال[٢] ويمكن تقسيم الأمثال إلى نوعين : حكمية كقولهم الجار قبل الدار والحرب خدعة والعقاب قبل العقاب ونحوها مما يتناقله الناس فى الأعقاب وترويها الأمم بعضها عن بعض .

أما النوع الثانى فهو الأمثال المبنية على الحوادث ، والعرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث فهى خاصة بهم . . والحوادث جرت لهم كقولهم : وافق شن طبقة وقطعت جهيزة قول كل خطيب ، والصيف ضيعت اللبن وسبق السيف العذل ، وقد يروون عشرات من الأمثال قالها الواحد فى حادثة واحدة كما رووا فى حادثة الزباء وقصير وجذيمة الأبرش[٣] .

والأمثال المبنية على الحوادث تعد عناوين لقصص جرت وكان لها أحداث لأعيان بعينهم وهى قصص واقعية وتجارب إنسانية عاشها الإنسان فى المجتمع الجاهلى وصنع أحداثها وهذا اللون يعد من أقدم ألوان القصة . . وقد حكت

---

(١) المزهر للسيوطى ١ — ٤٨٦ ط ٢

(٢) دراسات فى القصة العربية الحديثة : محمد زغلول سلام .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان ١/٥١

ألسنة الناس هذه القصص جيلا بعد جيل وركزوا فيها على مواطن العبرة والعظة يستخلصونها ويصوغونها فى العبارات الموجزة التى يطلق عليها فى النهاية إسم الأمثال .

وبعض هذه القصص حظى بعناية الناس واهتمامهم مما جعلها تتناقل على تعاقب الأجيال وكأنها القصة نفسها . . فالأمثال قصص من تجارب الناس بقيت لها بمنزلة عناوينها وبقى مع هذه العناوين تلخيص لكل منها . . وقل أن نجد مثلا لا يحمل هذا الشرح الكاشف لمجرى أحداث القصة ، ومن كان من أشخاصها .

والأمثال دونت منذ الجاهلية ومما يؤيد قدم تدوين الأمثال أن أوائل المؤلفات التى حفظت لنا المصادر العربية ذكرها فى العصر الإسلامى كانت كتب الأمثال منذ أيام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، فقد ألف صحار العبدى كتابا فى الأمثال وقد ذكر هذا الجاحظ وابن النديم كما ذكره غيرهما ، وكذلك ألف فى زمان صحار عبيد بن شريه كتابا آخر فى الأمثال ذكر ابن النديم أنه رآه فى نحو خمسين ورقة[1] .

ومن أهم كتب الأمثال الحافلة بالقصص مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال للعسكرى والمستقصى للزمخشرى والفاخر للمفضل بن سلمة .

وأخيرا الحكاية :

وهى مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيبا سببيا تنتهى إلى نهاية طبيعية لهذه الأحداث وتلك الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام هو التجربة الإنسانية ، نفسية أو اجتماعية ، والحكاية يطلق عليها الخرافة أحيانا وهى إذا حبكت

---

(١) الفهرست : ١٣٢

وأحكمت كشفت عن خلق أصحابها وعند الأوربيين تشترك الحكاية مع الخرافة وتطلق عليها . . وعند أرسطو هى مبدأ المأساة وهى ذات خمسة أجزاء هى التحول والتعرف والعقدة والحل وداعية الألم[١] .

قدم وجود القصة :

صحبت القصة الإنسان منذ أقدم العصور البشرية فسارت معه وعبرت عن أفكاره وآرائه وعاداته وتقاليده وآماله وآلامه تستوى فى ذلك الآداب الغربية القديمة بالآداب الشرقية مع الأدب العربى ، وقد شاع أن فن القصة ظهر آخر الفنون الأدبية وأن ظهوره كان فى العصر الحديث بعد اتصال العرب بالغرب ولكن أثبتت كثير من الدراسات الحديثة قدم هذا الفن ووجوده فى آداب الأمم جميعا . . وقد يكون السبب فى إنكار وجود القصة فى القديم هو اختلاف أسلوبها عما عرف حديثا . . وهذا لا ينفى وجودها فلكل عصر ما يلائمه وفطرية العصور القديمة وما اتسمت به من خصائص طبع القصة بطوابع تمثل تلك العصور وتصورها ، وإذا كانت القصة إحدى الفنون الأدبية . . فالمعروف عن الأدب أنه مرآة الشعوب الصادقة فى عصورها المختلفة فكيف تعكس القصة القديمة شيئا موجود وكيف تختلف صورا وأساليب وتعبيرات مجهولة فى العصر الذى تنسب إليه .

إن القصة كأى فن أدبى مرآة عاكسة لثقافات الشعوب وحضارتها ودرجة مدنيتها أو تخلفها وعاداتها وتقاليدها . . فهى فن صادق ، وكان ينبغى للنقاد والمؤرخين الذين حكموا بحداثة فن القصة وخلو الأدب القديم منها أن يتفكروا فى معنى الأدب وأن يقيسوا وجود الفن وجودته أو رداءته على حسب صورة

---

(١) القصة العربية فى الجاهلية : ٢٣

العصر الذى وجد فيه أو انتسب إليه ، فالبيئة والزمان من أهم المقاييس التى يستعين بها الناقد فى وضعه مقاييسه ، والمقاييس النقدية توجد بفاء على الفن الموجود ، فإذا اختلفت القصة القديمة عن القصة فى العصر الحديث فالناقد لا يحكم بعدم وجود القصة وإنما يحكم بأن مقاييس القصة فى هذا العصر أو ذاك كانت كذا وكذا ، وهذه المقاييس هى التى يحكم على أساسها بوجود القصة ، وباستحسانها أو استرذالها ، وهى دائما مقاييس صادقة لملاءمتها البيئة والزمان ، وهذا هو الأساس الذى قيست على أساسه فنون الأدب الأخرى ، فجودة الشعر الجاهلى ترجع إلى ملاءمته لبيئته وزمانه وواقعيته وصدق تمثيله لحياة من عاشوا فى هذه البيئة .. وذلك الزمان والقواعد والقوانين التى أخضعوا لها جودة الشعر هى فى الحقيقة موجودة فى شعر الشعراء الجاهليين الذى يعتد به أمثال المعلقات . ثم كان المقياس الدينى والخلقى هو ما اختاره عصر صدر الإسلام فى الحكم على شعر الشعراء . . وهذا المقياس يوافق البيئة والزمان والدين الذى انتشر ودعا الناس إلى اتباع الفضائل والكف عن الرذائل . وهكذا نجد النقد ومقاييسه تنبع دائما من البيئة بكافة جوانبها ومزاياها وعيوبها ويشتق منها ومن صورة نفس الأدب الذى ظهر بالفعل فى هذة البيئة وذلك الزمان .

ومن الخطأ محاولة امتحان القصة القديمة بمقاييس القصة الحديثة فلكل منهما ظروف وإمكانيات تختلف عن إمكانيات أختها . وعلى هذا فنفى وجود القصة القديمة أصبح أمرا ليس من السهل الإقتناع به أو تصديقه لأنه يؤدى إلى إنقطاع الصلة بين الماضى والحاضر . . والماضى هو أساس الحاضر . . وقد ظهر فيه الأساس ومتى انهار الأساس انهار ما يقوم عليه .

والقديم دائما هو طور الطفولة والطفولة عادة تختلف عن الشباب والكهولة .. ومع ذلك فلا يمكن أن نقول أن هذا الشاب أو ذاك الكهل نشأ من العدم

فى هذه المراحل لأن الأساس هو الطفل . والأدب يسير على نفس النظام ويطبق عليه نفس الأمر فلكل فن من الفنون طفولة وشباب ورجولة وكهولة . وكل مرحلة من هذه المراحل بنيت وأسست على المرحلة السابقة عليها . . وأثرت فيها عوامل متعددة متنوعة ، فالأساس الأول لكل فن هو طفولته أو شكله الأول . . والحقيقة أن هذا الشكل الأول بالنسبة للفنون نادرا ما نتعرف عليه أو يصل إلينا فهو كالمحاولات الأولى التى يبذلها القاص لإنشاء قصته ثم يكون مصيرها سلة المهملات . . ومن أمثلة ذلك الشعر الجاهلى . . فليس من المعقول أن تكون المعلقات هى المحاولات الأولى لهذا الشعر والمؤكد أنه سبقت هذه المرحلة مراحل ومراحل إلى أن وصل هذا الشعر إلى هـذا المستوى من الجودة والبراعة .

قصص الأطفال فى الآداب القديمة :

عرفت الآداب القديمة كلها أدب الأطفال منذ نشأتها الأولى لأنه أدب فطرى ، نشأ مع نشأة الأمومة والطفولة . إلا أن الأمم القديمة لم تعن بتدوين هذا الأدب بل ظل يروى شفاها على مر الأجيال . وكان من فنون هذا الأدب القصة التى تلائم عقول الأمهات الفطريات فى تلك العصور البعيدة الخالية من كل حضارة أو مدنية . . والعقلية الفطرية عظيمة بسيطة ساذجة تتقبل الأمور الغريبة الخارقة بطريقة بسيطة بل وغالبا ما تصدقها فلا جدال فى أمر ولا محاولة لنفى رأى من الآراء . وقد اقتنعت تلك العقول بالقصص الخرافية وقصص الخوارق والجنيات والسحرة . . ولذا انتشرت الحكايات الخرافية فى العصور الموغلة فى القدم التى كانت تعيش على الفطرة كما وجدت عند الشعوب المختلفة حتى فى عصرنا الحاضر .

وقد عرفت هذه القصص فى حكايات الكبار والصغار على السواء ، هذا

إلى جانب القصص الشعبية التي كانت تعتمد على الأساطير .. ولكن العالم القديم لم يعن بتدوين هذه الآثار وإنما ظلت تتناقلها الأجيال عن طريق الرواية الشفوية . وقد عنيت الأمم القديمة بتدوين أدب الكبار كالشعر والملاحم وغيرها . أما أدب الأطفال فقد أغفل تدوينه .

(والأمة الوحيدة التي عنيت عناية حقيقية بالأطفال هي الأمة المصرية القديمة فقد سجلت حياة الطفولة وأدبها في نقوش ورسوم على جدران القصور والقبور وكتبتهما ، في برديات بقيت على مر السنين لنعرف منها أن الأطفال منذ ألوف السنين كانوا كما هم الآن لا تختلف تصرفاتهم عن تصرفات أطفال العصر الحاضر ولا تفترق كثير من لعبهم عن لعب أولادنا مع ما بين العصور القديمة وعصرنا الحديث من تباين شديد واختلاف كبير ، وكثيرا ما نجد في قصص أطفالنا اليوم عجوزا خرافية تحوم حول الصغير أثناء الليل ، وتنير له الفراش وتقدم له الهدايا .. وتتنبأ له بالمستقبل ، وكانت كذلك الجدة العجوز عند قدماء المصريين ، فإذا ما ولد (تاهوتى) الصغير أو الطفلة (سن سنب) في طيبه قبل الميلاد بألوف السنين جاءت الوليد بالليل جدة عجوز تتنبأ له بالأحداث والمستقبل[1] .

وعلى عهد المصريين القدماء كانت فترة رعاية الطفولة أطول مما هي عليه الآن فكان على الأم السعيدة ألا تترك طفلها يغيب على ناظريها ثلاث سنوات متواليات ، تحمله على كتفيها أينما توجهت .. ومن ثم كانت تملأ وقته باللعب والحكايات[2] .

وكان أطفال المصريين القدماء شأن كل الأطفال مغرمين بالقصص التي

---

(١) مصر القديمة . ترجمة نجيب محفوظ تأليف جيمس بيكي
(٢) » » » » » » » »

تبدأ (بكان يا ما كان) ، والعناية بقصص الأطفال تبدو عندهم واضحة جلية فقد سجلوا ما كان يحكى لأطفالهم من قصص وهى أقدم قصص وصلت إلينا وعرفها التاريخ قبل أن يعرف قصص ألف ليلة وليلة والسندباد بآلاف السنين[1] .

وقد عثر المنقبون عن آثار مصر القديمة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على أول تسجيل فى تاريخ البشرية لأدب الأطفال ولحياة الطفولة ومراحل نموها ويرجع تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وهو مكتوب على أوراق البردى ومصورا على جدران المعابد والقصور والقبور ، ومن هذه الكتابات والنقوش والصور أمكن للانسان المعاصر أن يعرف ما كان يغرم به الأطفال فى العصور القديمة من أنواع اللهو والتسلية واللعب ويستطيع أن يقرأ القصص التى كانت ترويها الأمهات والمربيات من قديم الزمان[2] .

سجلات البرديات فيما سجلت قصة (جزيرة الثعبان) وهى قصة سفينة هبت عليها عاصفة فأغرقتها وغرق معها ملاحوها المائة والعشرون ولم ينج منها سوى بحار واحد لفظته الأمواج على جزيرة نائية وبعد ثلاثة أيام استرد وعيه وبعض قوته ، ثم بحث عن طعام فوجد بالجزيرة فاكهة كثيرة تسر الناظرين .. وبعد أن أكل وشبع أحرق قربانا للآلهة ، ثم سمع صوتا راعدا تحطمت له الأشجار وزلزلت منه الأرض والجبال وإذا بثعبان طوله ثلاثون ذراعا وله لحية طولها ذراعان ، وجسمه مرصع بالذهب والجواهر وحاجباه من اللازورد ، فسجد له البحار وقص عليه قصته وطلب منه العون والمساعدة فى محنته فاستضافه الثعبان ملك الجزيرة حتى مرت سفينة قريبة سلط عليها الثعبان الريح لتدفعها إلى

(١) فى أدب الأطفال . الحديدى
(٢) مصر القديمة ص ٣٣

الجزيرة ، ورأى ربان السفينة البحار فحمله معه ، وحمله الثعبان هدايا من الجواهر إلى ملك مصر[١] .

وإذا تأملنا قصص الأطفال في الأدب المصري القديم نجد أنها قد دونت في أسمى أسلوب فني مما يدل على أنها مرت بمراحل ومراحل من التطور والحكاية المصرية القديمة هي فن من الحديث والحكاية كانت العناية بها شـــديدة ، وكان القصاص يعرف أسلوب التكرار وطريقة التطور بالحكاية ويستخدمها في أغلب الأحيان استخداما مؤثرا[٢] ، ولقد اتسعت مقدرة السحرة في هذه الحكايات فنونا كثيرة فكان في وسع أحدهم أن يشطر البحر شطرين ينقل الماء من أحد الشطرين إلى الآخر بحيث يصبح قاع البحر باديا للعيان فيستطيع الإنسان أن يقاربها . وقد كان كبير السحرة يلتهم كل يوم خمسمائة رغيف وعجلا ويشرب مائة قدح من الجعة ، وقد عاش هذا الساحر حتى بلغ من العمر مائة سنة وعشرا ولقد قتل هذا الساحر أوزة ومالكها الحزين وثورا ثم أحياها جميعا مرة . . فالحكايات المصرية القديمة تعنى عناية كبيرة بالسحرة وتحكي عن تنافسهم[٣] .

وقد حكى المصريون القدماء عن مغامرات السفر الرائعة الجريئة وهذه الحكايات كثيرا ما يكون لها طابع خرافي قوي[٤] . وذلك مثل (قصة جزيرة الثعبان) التي ذكرتها من قبل . . كذلك اشتملت الحكايات المصرية القديمة على كثير من قصص الحيوان ، كذلك وجدت عندهم بعض الحكايات الخرافية التي تحكي عن عالم انقلبت فيه الأوضاع ، فالقط يصور في إحدى الرسوم بوصفه حاميا للأوز ، والأرنب بوصفه راعيا للماعز والفئران وهي تستوطن

---

(١) مصر القديمة ٣٨ — ٤٠ ، الحكاية الخرافية ترجمة د . نبيلة إبراهيم
(٢) الحكاية الخرافية ١٦٨ دار القلم . بيروت ط الأولى عام ١٩٧٣ م
(٣) الحكاية الخرافية ١٦٩ (٤) الحكاية الخرافية ١٧٠

بلده تسكنها القطط والأسود والغزلان وهى تجلس لتشاهد جولة فى لعب الكرة .

ومن أهم الحكايات المصرية القديمة التى اكتشفت بين ثنايا أوراق البردى وترجع إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد حكاية (الصدق) وهى حكاية خرافية أيضا وتبدأ كالتالى (كان الصدق والكذب أخوين تنازعا فيما بينهما وربما كان سبب ذلك ادعاء كل منهما أنه أقوى من الآخر . . وقد أقسم الكذب أمام المحكمة أنه يوجد سلاح كبير مهول حده مثل الجبل ضخامته وقبضته مثل الشجرة وهكذا ، ولم يشأ الصدق أن يصدق هذا القول، فحوكم وسملت عيناه بناء على قسم الكذب . ثم عمل الأخ الاعمى فيما بعد بوابا وأحبته امرأة وتزوجها ورزق منها بولد خارق الذكاء وقد علم الإبن بقصة أبيه وأراد أن ينتقم له فأتى بثور غاية فى الروعة وأحضره إلى رعاة الأخ (الكذاب) وجعله يرعى فى مراعيه ، ورأى الكذب الثور فحرض رعاته على سرقته من الصبى وحق للصبى فى مقابل هذا أن يختار من بين قطيعه ثورا آخر ، ولكن الصبى أخبر الراعى بأنه ليس هناك ثور مثل ثوره ضخامة فهو حينما يقف عند بحر آمون يصل ذنبه إلى أعلى سيقان البردى كما أن أحد قرنيه يصل إلى الجبل الغربى والآخر يصل إلى الجبل الشرقى ، أما مستقره ففى النهر الكبير وهو يلد كل يوم ستين عجلا ولم يصدق الراعى هذا القول حينئذ قيده الصبى وحمله إلى الأخ (الكذاب) وطلب منه أن يحضر أمام محكمة الآلهة ، فادعى الكذب أن مثل هذا الثور لم يخلق بعد ، وعندئذ سأل الصبى الآلهة عما إذا كان هناك سيف كالذى ادعاه الكذب أنه كان قد رآه وعند هذا تحتم على الآلهة أن تعيد النظر فى الحكم بين الصدق والكذب فأصدرت حكمها بأن يبرأ الصدق[1] .

(١) الحكاية الخرافية ١٧٠

والحكاية تشتمل على عناصر أسطورية إلى جانب خرافيتها ، وقد تسربت هذه الحكاية إلى الحكايات الهندية ، وحكايات ألف ليلة وليلة كما رويت فى جنوب أوربا وجنوب شرقها روايات شديدة الشبه بهذه الحكاية . وتهدف إلى الوعظ والانتصار للصدق والخير . وقد كان المصريون يمتلكون كذلك ثروة من الحكايات الأخرى التى تدل على حدة الذكاء ، بل إن حكم سليمان نفسه ترجع إلى حكم وتعاليم مصرية ظهرت فى القرن الثامن قبل الميلاد[1] .

وما نود قوله أن الحكايات المصرية القديمة قد دونت فى أسمى أسلوب فنى ، وهى تعد ينبوعاً للتراث الشعبى والعقائد القديمة الموغلة فى القدم كما أنها توضح لنا خصائص قصص الأطفال التى غالباً ما تسربت من الأدب المصرى القديم إلى شعوب العالم يحكونها لأطفالهم ويزيدون فيها ويبتكرون .

فقصص الأطفال فى الأدب المصرى القديم هى أقدم الآثار المدونة التى وصلت إلينا ، أما الآداب الأخرى القديمة فكانت قصص الأطفال عندها ضمن التراث الشعبى الذى يروى شفاها عبر الأجيال .

قصص الأطفال فى الأدب الجاهلى[2] :

عرفت القصة فى الأدب الجاهلى ومثلت طبيعة البيئة التى نشأت فيها ، ومن أقدم ألوان القصة ، ما اشتمل عليه الشعر الذى يصور قصص الحروب

---

(١) الحكاية الخرافية : ١٧٣

(٢) من أهم المراجع التى أعتمدت عليها فى دراسة القصة الجاهلية كان كتاب « القصة العربية » فى العصر الجاهلى .

التى لا تهدأ بين القبائل طلبا للثأر أو سطوا على عين من عيون الماء . . وقد عد هذا الشعر نواة القصة العربية القديمة ، ثم وجد عند العرب لونان من القصص لون منظوم وآخر منثور .

وقد تعددت أغراض القصة العربية القديمة فمن قصص تخبر عن الملوك مثل ملوك كندة والحيرة والغساسنة إلى قصص تحكى عن الأسفار والرحلات إلى أساطير إلى قصص مجون ولهو وفكاهات إلى خرافات على ألسنة الحيوانات إلى قصص المحبين وأخبارهم هذا إلى جانب الأمثال والقصص التى ترويها بأسلوبها الموجز .

والعرب فى الجاهلية عرفوا أكثر أنواع القصص من خيالية وواقعية وكانت القصة عندهم كأى فن أدبى تعكس صورة مجتمعهم وتصفه وتبين عيوبه ومزاياه وأخلاق أهله وعاداتهم وثقافاتهم واعتقاداتهم ، وهذه القصص العربية كانت نواة القصة الأوربية إبان تطورها منذ عصر النهضة ، وعلى هذا فإن قصتنا الحديثة التى قيل أنها تأثرت بالقصة الغربية هى عربية لحماً ودماً لأن القصة الأوربية سبق وتأثرت بالقصة العربية فى العصور الوسطى التى تمثل جهل الأوربيين وتخلفهم وثقافة العرب وتحضرهم . فالقصة الجاهلية حقيقة واقعة فقط كانت تحتاج إلى لفتة من النقاد ليعترف بها فهى أثر وجد وعبر عن واقع أمه وحياتها فى فترة معينة وكان ممثلا صادقا لهذه الحياة . وإذا وصلنا إلى النقاد ورأيهم فى القصة الجاهلية فلا بد أن نقول إن المؤرخين انقسموا بالنسبة إلى رأيهم فى الأدب الجاهلى إلى قسمين ، قسم يعترف بالأدب الجاهلى ككل . . ويسير مع الواقع فيعترف بضياع أكثره لبعد الزمن وعدم العناية بالتدوين والأمية . . الخ من الأسباب ، وهذا القسم يعترف بوجود أنواع من القصص فى هذا العصر منها ما وجد فى الشعر وصور عادات العرب وأخلاقهم وتحدث عن أيامهم وخصوماتهم وعشقهم وملوكهم . . الخ يقول الأستاذ محمود تيمور موضحا خصائص هذه القصص

الشعرية (فى هذا القصص الشعرى الحماسى والغزلى لا تظفر كل الظفر بالسعة فى الخيال والتعقيد فى الحوادث ، والاستيطان للنفوس ولكننا ظافرون بما فيه من سطوة الغرائز وتصوير الواقع واستظهار التجربة الحية ، إلى جانب قوة الوصف وطلاوة التعبير)[1] ، كما أن هذا الفريق يعترف بوجود القصة فى النثر وخاصة فى الأمثال التى رويت على ألسنة الحيوان أو الإنسان .

أما الفريق الآخر[2] فنهم من يتهم الأدب الجاهلى ككل ويشك فى صحته ، وذلك على الرغم من أن كثيراً من أنصار هذا الفريق من العرب ، إلا أنهم قد تأثروا بمذهب الشك لديكارت ، نتيجة لدراستهم فى أوربا فشكوا فى تراثهم الأصيل القديم ونسوا أن من لا قديم له لا حديث له ، ويتصل بهذا الفريق المستشرقون ، وهؤلاء أكثرهم من الجاحدين الذين نهلوا من الثقافة العربية ، ثم أنكروا فضلها وهم أصحاب مصلحة فى الشك فى صحة التراث العربى القديم ، وبطبيعة الحال فقد أنكر هذا الفريق وجود القصة فى الأدب الجاهلى .

يقول د . غنيمى هلال : لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عندنا شأن يذكر ، بل كان لها مفهوم خاص لم ينهض بها ، ولم يحملها ذات رسالة اجتماعية إنسانية ، ولا بد أن كانت للعرب حكايات يتلهون بها ويسمرون ، ولو أننا عددنا مثل هـــــذه الحكايات قصصاً لكانت القصة أقدم صورة للأدب فى العالم ، لأن كل الشعوب الفطرية تسمر على هـذا النحو البدائى ، ولكن مثل هـذه القصص إذا كانت لها دلالة شعبية فليس لها أى قيمة فنية حتى تعد جنساً أدبياً ، ولا نعتد بالروايات التاريخية التى تختلط فيها الحقائق بالخرافات والأساطير ، وذلك كما فى تاريخ الطبرى وتاريخه لدول الفرس

(١) القصص فى الأدب العربى ـ المجلة مايو ١٩٥٧ (مقالة) .
(٢) فى الأدب الجاهلى ص ٧١ طه حسين .

الأسطوريين ، لأن هذه الروايات يقصد بها التاريخ ولم تتوافر لها الصياغة الفنية التى تجعل منها مايشبه الملاحم[١] ، أو القصص الملحمية على نحو ما فعل الفردوسى مثلا فى الشاهنامة متخذاً من نفس هذه القصص مادة ملحمته الشهيرة . وكذلك الشأن فيما يخص القصص الغزلى كما فى أخبار العذريين ، وغالباً ما كانت أخباراً متفرقة أو متناقضة يعوزها الاتساق والربط بين أحداثها وشخصياتها وترتيب هذه الأحداث[٢] ، وهو يرى أن القصة عند العرب لم تكن من جوهر الأدب كالشعر والخطابة . . ويرى أن البيئة العربية وفقرها فى المناظر الطبيعية قد أدت إلى قلة الأساطير وسطحية معناها مما يهبط بالفكر عن التعمق والتشخيص فى خلق القصص ، ثم إن عدم وجود تماسك اجتماعى فى البيئة العربية أقعد خيال العربى عن إدراك وحدة التماسك الاجتماعى وأثر الأحداث فيه وهو أساس القصص الفنية الناضجة[٣] .

ويذكر أن الجنس السامى والعرب منه بخاصة لم يهتم بأدب القصص ، وعلى الرغم من أنى أرى خطأ هذا الفريق الثانى إلا أنه يمكن أن يلتمس له بعض العذر فى هذا الإنكار لأنه لم يصلنا أى نقد للقصة الجاهلية ، وهذا من الأمور العجيبة فقد أثبت الباحثون قدم القصة ووجودها فى الأدب الجاهلى بالأدلة والبراهين الساطعة .

---

(١) معنى الملحمة : قصة بطولة تروى شعراً تحتوى على أعمال عجيبة وحوادث خارقة للعادة ويسيطر عليها عنصر الحكاية ، وهذه الحكاية لا تخلو من الاستطرادات وعوارض الاحداث ، والملحمة لم تزدهر إلا فى العصور الفطرية حيث كان الناس يتقبلون الخيال الواسع ويوافق عقولهم .

(٢) النقد الأدبى ط بيروت ص ٥٢٣ — ٥٢٥

(٣) النقد الأدبى ص ٥٢١ — ٥٢٢ د . محمد غنيمى هلال

والأدب الجاهلى يمثل الشعب الجاهلى فى طور الفطرة والشعوب الفطرية خيالها أوسع من غيرها . . وقصص الجن التى وجدت فى الأدب الجاهلى توضح سمة هذا الخيال إلا أن هذا الخيال يعد أضيق أفقا من خيال اليونان . . وقد كثرت قصص الشعراء عن الجن وإلهامهم لهم فكان لكل شاعر شيطان يساعده على قول الشعر ، وقد تخيل العرب عالم الجن كعالمهم يتكون من قبائل وأسكنوا هذه القبائل أودية أشهرها عبقر ووبار[1] وأسموا على هذه الأودية المتخيلة من النعم والخيرات ما لم تمنحه الجزيرة العربية لساكنيها مع أنها مع بقاعها فكانوا يعوضون بالخيال ما عجز الواقع عن تحقيقه وقد جعل حسان بن ثابت شيطانه من قبيلة الشيصبان يقول :

إذا ما ترعرع فينا الغلام   فما أن يقال من هوه
إذا لم تسد قبل سد الإزار   فذاك منا الذى لاهوه
ولى صاحب من بنى الشيصبان   فحيتطورا أقول وطيوزا هو[2]

وهناك أيضا بنو أقيش وقد ورد ذكرهم فى شعر النابغة ، وقد عدهم صاحب القاموس[3] حيا ، من عقل ، وصاحب اللسان يقول : بنو أقيش حى بن الجن تنسب إليهم الإبل الاقيشية[4] ويقول الراجز مفتخرا بقدرته الفنية :

أنى وإن كنت صغير السن   وكان فى العين نبو عنى
فإن شيطانى أمير الجن   يذهب بى فى الشعر كل فن

---

(١) شياطين الشعراء . عبد الرازق حميدة ص ٥٥
(٢) شياطين الشعراء ص ٩٧
(٣) القاموس المحيط .
(٤) لسان العرب .

ويفاخر شاعر ثالث بتغلبه على منافسيه فى الشعر :

إنى وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطانى ذكر[١]

وهناك قصص طويلة بين الشعراء والجن تتخللها المواقف التى تنشد فيها الطرفان شعرا ويتحاورون ومن ذلك القصص التى رواها صاحب الأغانى عن الأعشى ، ومنها أيضا ما رواه صاحب خزانة الأدب[٢] .

(قال الأعشى خرجت أريد قيس بن معد يكرب) بحضرموت ، فضللت فى أوائل أرض اليمن لأنى لم أكن سلكت ذلك الطريق قط ، فأصابنى مطر فرميت ببصرى أطلب مكانا ألجأ إليه ، فوقعت عينى على خباء من شعر فقصدت نحوه ، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد على السلام ، وأدخل ناقتى خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلى وجلست . فقال : من أنت ؟

وإلى أين تقصد ؟ قلت أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد يكرب فقال : حياك الله . . أظنك امتدحته بشعر ؟ قلت : نعم . . قال فأنشدنيه فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سمية غدوة أجمالها   غضبا عليك فما تقول بدالها

فلما أنشدته هذا المطلع قال : من سمية التى تنسب بها ؟ قلت : لا أعرفها وإنما هو إسم ألقى فى روعى ، فنادى يا سمية أخرجى وإذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال : أنشدى عمك قصيدتى التى مدحت بها قيس بن معد يكرب ، ونسبت بك فى أولها ، فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت

---

(١) شياطين الشعراء : ٥٥
(٢) خزانة الادب ج ٣ : ٥٤٩

على آخرها فلم تخرم منها حرفا فلما أتمتها قال : انصرف ثم قال : هل قلت شيئا غير ذلك، قلت : نعم كان بيني وبين ابن عم لى يقال له يزيد بن مسهر مايكون بين بنى العم فهجانى وهجوته فأفحمته قال : ماذا قلت فيه ؟ قلت :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فلما أنشدته البيت البيت الأول قال:حسبك من هريرة هذه التى نسبت بها؟ قلت لا أعرفها .

وسبيلها سبيل التى قبلها فنادى يا هريرة ، فإذا بجارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال : أنشدى عمك قصيدتى التى هجوت بها يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفا فسقط فى يدى وتحيرت وتغشتنى رعدة ، فلما رأى ما نزل بى قال : ليفرخ فى روعك يا أبا بصير أنا هاجسك مسحل ابن أثاثه الذى ألقى على لسانك الشعر قال الأعشى:فسكنت نفسى ورجعت إلى، وسكن المطر فدلنى على الطريق وأرانى سمت مقصدى ، وقال : لا تعج يمينا أو شمالا حتى تقع ببلاد قيس) .

ونرى فى قصص الجاهلية صورة لعقائد الناس وأخلاقهم وثقافتهم .. وهناك أدلة ملموسة تثبت وجود القصة الجاهلية . . وقد توصل الباحثون إلى هذه الأدلة وتيقنوا من صحتها وهى أدلة منطقية لا تقبل الشك ولا تجعل مكانا للانكار أو التردد ، وأكثر هذه الأدلة وضوحا وأقواها ثقة القرآن الكريم[1] .

وقد أنزل الله القرآن الكريم على رسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ليخاطب به هؤلاء الجاهليين وأبناءهم وأحفادهم . وقد أنزله سبحانه وتعالى بلغتهم حتى يفهموه ويدركوا مراميه ويتخذوا منه دستورا واضح المعالم وينهجوا

(١) القصة العربية فى العصر الجاهلى ، القصص فى الحديث النبوى .

فى حياتهم نهجا يوافقه ويختلف عما كانوا يألفون فى نظم عيشتهم وفى القيم التى تسود مجتمعهم ، وقد حدثهم القرآن الكريم عما كانوا يعرفون حينا وعما يجب أن يعرفوا حينا آخر . .

وفى القرآن الكريم نستطيع أن نتعرف على حياة الجاهليين من كافة وجوهها وفى كافة أشكالها فنتمكن من معرفة دياناتهم وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم .. وقد ذكر القرآن الكريم القصص بطريقة تدل على أنها كانت معروفة فى الجاهلية بل وشائعة ومحبوبة أيضا ، وقد اشتمل الكتاب الكريم على عدد من القصص كان بعضها معروفا عند الجاهليين نحو من المعرفة ولكن معرفتهم بها كانت ناقصة ومن أمثال هذه القصص قصص الأنبياء والصالحين ، وقد جاءهم القرآن الكريم بها على وجهها اليقين وفصل ما كان مجملاً منها وأوضح ما كان غامضا فبعض القصص لم يكن معروفا إلا وهما أو خيالا فسألوا عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقص عليهم القرآن فى ذلك القصص الحق ووضح لهم ما يجب أن يعرفوا مما سألوا عنه مثل قصة ذى القرنين . . جاء فى القرآن الكريم « ويسئلونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا »[1] ، ثم تتابعت الآيات حتى أجابتهم وعرفتهم ما سألوا عنه . وبعض القصص القرآنى الذى أنزل عليهم كانت أحداثه فى الجزيرة العربية فشاهدوا بعضه وشاهد أسلافهم بعضه فحدثهم القرآن الكريم عنه ليأخذوا منه العبرة والعظة وذلك مثل قصة سبأ ومدين وأصحاب الفيل . وكانت آيات القرآن فى أول أمرها تنزل خالية من القصص ثم مال بعض الناس أن يقصص الرسول عليهم ، وهذا مما يوضح معرفتهم للقصص وتشوقهم إلى أسلوبه ، وعند ذلك نزل قوله تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن »[2] .

(١) سورة الكهف آية ٨٣ ، ٨٤ (٢) سورة يوسف آية ٣

وقد جاء فى كتب تفسير القرآن عن هذه الآية الكريمة[١] كما جاء فى أسباب النزول عند الحديث على هذه الآية ما رواه ابن جرير قال : حدثنا محمد بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصفار عن عمرو بن قيس بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمنا ، فقالوا يا رسول الله لولا قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل « ألر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك . . هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين[٢] ثم تلاه عليهم زمنا فقالوا « يا رسول الله لولا حدثتنا ؟ ؟ فأنزل الله عز وجل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد »[٣] .

وروى عن ابن جرير بسنده عن المسعودى عن عون عن عبد الله قال : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مله « فقالوا : يارسول الله : حدثنا حديثا فوق الحديث ودون القرآن . . يعنون القصص . . فأنزل الله عز وجل « ألر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون .. نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص[٤] .

فالعرب كانوا يعرفون القصص ويألفونه وقد عرفوا من خصائصه دفع الملل والترويح عن النفس ، وقصص الجاهلية كانت تشوبها الأكاذيب

---

(١) النيسابورى . أسباب النزول . وابن كثير فى تفسيره ٢/٤٦٧

(٢) سورة يوسف آية ١-٣ (٣) سورة الحديد آية ١٦

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٢٧

والمبالغات . . وذلك يفهم من قوله تعالى « إن هذا لهو القصص الحق » فوجود القصص التى تروى أحاديث الجاهلية وحياتها فى القرآن الكريم مع إصلاحها وإزالة الكذب والمبين عنها وإيضاح ما غمض منها ذلك يعد أوثق دليل على وجود فن القصة فى الأدب الجاهلى .

وهناك أدلة أخرى تؤكد وجود هذا الفن فى الأدب الجاهلى أهمها :

الدليل اللغوى :

فاللغة لأى جماعة من الناس هى دليل حضارتهم وثقافتهم كما أنها توضح مدى رقيهم وهى تحمل فى تضاعيفها دلالات ومعان تدل على التطور الفكرى والاجتماعى لهذه الجماعة .

وحين ننظر فى اللغة العربية نتبين الصلة بين العرب وعنصر القصة من خلال ظاهرة اللغة فنجد مجموعة من الألفاظ تدل بوضوح على رسوخ العنصر القصصى كلون من ألوان التعبير الأدبى منذ العصر الجاهلى ، وهذه الألفاظ منوعة بحيث تعطى دلالة على تنوع الآثار القصصية تنوعا يلائم الباعث للأثر القصصى من ناحية ويلائم وظيفته التى يراد له أن يحققها من ناحية أخرى .

كما تؤكد لنا هذه الألفاظ أن العقلية العربية كان لها علم ما بالإبداع القصصى بوجه عام .

نجد من هذه المصطلحات الحكاية وهى تحمل معنى التقليد والمحاكاه .. فالحكاية مرتبطة بالواقع وكأن المتحدث بها يتحرى أن يصور الواقع الذى حدث ويحاكيه فى حديثه .

وهناك الرواية وهى نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى آخر والمقامة وهى بمناسبة المفتدى يستمع القوم من أحدهم إلى سرد الأحاديث والأخبار .

قال زهير :

وفيهم مقامات حسان وجوهها　　وأندية ينتابها القول والفعل

وهناك السمر وهو ما يطلق على الليل وما يسرد فيه من أحاديث وأخبار ثم ضاق هذا المعنى حتى صار يعنى ضربا من الحكايات والقصص المتميزة التى يراد منها تزجيه الفراغ فى الليالى المقمرة وقد اجتمع القوم للحديث والاستماع .

ثم هناك الخرافة والأسطورة والمثل ثم لفظة القصة . .

فاللغة العربية تعطينا دليلا قويا على أصالة العنصر القصصى فى تراث العرب منذ العصر الجاهلى .

ومن الآدلة القوية على وجود القصة فى الأدب الجاهلى :

ما تبقى من قصص ذلك العصر ووجد مبثوثاً فى كتب تواريخ الآداب ، وهذا القصص منه ما روى عن العرب البائدة ومنه ما روى عن العرب العاربة وملوكها ، كما أن منه ما روى فى تاريخ العرب المستعربة وهم الذين يسمون بالعدنانيين من أبناء إسماعيل عليه السلام .

وكل هذا القصص لم يحظ بعناية النقاد لبعد العهد به وعدم الثقة فى مصادره علاوة على أن عرب الجاهلية لم يدونوا القصص على الرغم من أن الباحثين المحدثين أمثال د . زكى مبارك[1] قد أثبتوا معرفة العرب للكتابة وتدوينهم لأخبارهم وأنسابهم وأشعارهم ، وقد وجدت بعض نماذج هذه القصص مدونة فى كتابات العصور التالية للعصر الجاهلى . وقد انتقل هذا التراث إلى العصور التالية بإحدى وسيلتين الكتابة وهى غالبا لما كان مثبتاً فى خلال الشعر والامثال من قصص ، أما الوسيلة الأخرى فهى الرواية بالمعنى :

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى .

ومن الأشياء البديهية أن الرواية بالمعنى تفقد القصص الكثير من الخصائص الأسلوبية والقصة كفن من أهم أركانها الاسلوب الفنى ، وعلى الرغم من ذلك فعلينا عدم إهمال هذا النوع لظروفه الخاصة وهى تمثيلية لصورة النشأة الاولى لفن القصة ، والقصة فى البداية لا تعنينا فقط من حيث هى أسلوب وإنما بعنينا أيضا فكرتها وموضوعها وتعبيرها عن الزمان والمظاهر الاجتماعية المختلفة .

والحقيقة أن إغفال النقاد للقصة الجاهلية وإهمالهم لها إهمالا تاماً مما صعب مهمة الباحثين فى هذا المجال ، والغريب أن غفلة النقاد لم تكن قاصرة على ما كان مرويا بالمعنى من القصص وإنما شملته وشملت غيره . . فهناك الكثير من قصص الجاهلية المنبثة فى الشعر الجاهلى من أمثال قصة كليب وائل فى شعر مهلهل أخيه وقصة أسمى جليلة زوجة كليب فى شعرها وقصة ابن جليلة الحجرسى بن وائل حين ربى فى حجر خاله ثم اضطر إلى قتله فى كثير من أشعارهم ، وقصة الحارث ابن عباد وزوجه أم الاغر فى مقتل ولدهما فى الصلح بين بكر وتغلب كما هو واضح فى شعر الحارث بن عباد، وقصة الغدير ودارة جلجل فى شعر امرىء القيس وقصة دبيب امرىء القيس إلى النساء فى معلقته وقصة صحيفة المتلمس فى شعره وقصة طرفة بن العبد مع ابن عمه فى معلقته ، وقصة هرم بن سنان والحارث ابن عوف وإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما أعباء ديات القتلى فى معلقة زهير بن أبى سلمى وقصة مرقش الأصغر وعسيفة العقيلى الذى تخلى عن المرقش وهو فى رمقه الأخير فكتب المرقش على رحله أبياتاً يطالب فيها أخيه حرملة بضرورة قتل هذا العسيف فى شعر مرقش ، وقصة لبيد بن ربيعة فى انتصافه لأبى البراء أحد سادة قومه من الربيع بن زياد العبسى نديم النعمان حيث استطاع أن ينفر النعمان من نديمه فى قصيدته الرجزية التى مطلعها :

يارب هيجا هى خير من دعه إذ لا تزال هامتى مقزعه

وقصة دفاع عمرو بن كلثوم عن تغلب أمام عمرو بن هند فى معلقته وقصة فتك عنترة بن شداد بكثير من أعدائه فى معلقته ، وقصة دفاع الحارث بن حلزة عن أمجاد قومه فى حضرة عمرو بن هند بشعره ، وقصة المتجردة فى شعر النابغة الذبيانى ، وقصة تحدى عبيد بن الأبرص لامرىء القيس فى شعر عبيد .

وقصص الفتك والقنص والطرد فى شعر الصعاليك من الشعراء[١] وقصص المحبين العاشقين التى استفاضت فى أشعارهم[٢] .

وإلى جانب ذلك فهناك قصص الأيام والحروب المستعمرة فى الجاهلية، وقصص الملوك ومجالسهم ومجتمعاتهم ورحلاتهم .

ثم هناك الأمثال الجاهلية وما تشتمل عليه من قصص إلى جانب خرافات العرب وأساطيرهم وغير ذلك كثير ، وإذا عرفنا أن الكثير من الأدب الجاهلى قد أغارت عليه يد الضياع ولم يصل إلينا إلا أقله تأكدنا أن نفس الشىء لا بد وأنه حدث للقصص الجاهلى .

والعرب لم تأتيهم القصص من بيئتهم وتجاربهم فقط وإنما أتتهم أيضاً عن طريق اختلاطهم بالأمم المجاورة وعلى هذا فهناك نوعان من القصص عند عرب الجاهلية نوع أصيل نتج عن البيئة العربية فى الجاهلية وعبر عن أحداثها ومشكلاتها وحياتها بأكملها .. ونوع دخيل أخذه العرب عن الأمم المجاورة ثم صاغوه فى قالب يتفق وذوقهم كقصة شريك مع المنذر[٣] (وأنه قد أتاه فى يوم بؤسه رجل يقال له حنظلة فأراد أن يقتله فطلب منه أن يؤجله سنة فقال : ومن

---

(١) القصة العربية فى العصر الجاهلى ٨٧ .
(٢) « « « ٨٨
(٣) الأغانى ١٩/٨٧ .

ليكفلك ؟ فكفله شريك بن عمرو ، فلما كان من العام القابل جلس المنذر فى مجلسه ينتظر حنظلة فلم يأت ، فأمر بشريك فقربه ليقتله فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليه فتأمله فإذا هو حنظلة فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل هذه السنة ، وهذه القصة لها أصل يونانى[1] .

وكقصة (أنه كان لرجل من بنى ضبة فى الجاهلية بنون سبعة فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون فأدوا إلى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعاً فلما استرات أبوهم أخبارهم اقتفى آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر فأيقن بالشر فرجع وأنشد شعرا[2]

وهذه القصة تشبه قصص المسيحية الأولى[3] . وقد عرف العرب فى الجاهلية قصصاً كثيرة عن الفرس وكانوا يروونها ويتسامرون بها وجاء فى سيرة ابن هشام[4] أن النضر بن الحارث كان من شياطين قريش وممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم وأسفنديار فكان إذا جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه يذكر الله ويحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه فى مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يا قوم أحسن حديثاً منه فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً منى ؟ . وهذا قليل من كثير بالنسبة للقصة الجاهلية

---

(١) فجر الإسلام . أحمد أمين ٦٧ .
(٢) الأمالى ١ : ٦١ .
(٣) فجر الاسلام . أحمد أمين .
(٤) السيرة ١ : ١٩ .

وقد كانت فناً أدبياً يمكن أن نستخلص خصائصه الفنية التى تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية ، كما أنها تميزه عن القصة فى العصور التالية للعصر الجاهلى :

(١) من حيث المضمون هى صورة صادقة للمجتمع الجاهلى ، فقد أمدت الناس بالمعارف ، والحقائق المتصلة بعادات الناس وتقاليدهم وأخلاقهم التى تأبى كل ما يتعرض للعرض والكرامة .

(٢) تحبب القارىء فى الحق والخير وتنفره من الباطل والشر ، وهذا من أعظم أهداف القصة الجاهلية .

(٣) القصة الجاهلية كانت تصويراً فنياً للوقائع والأحداث وتحليلا دقيقاً لمشاعر الشخصيات ومحاولة جادة لرسم معالم تلك الشخصيات وتحديد أبعادها .

(٤) العناية الشديدة بشخصية البطل .

(٥) القصة الجاهلية تشتمل على العناصر الرئيسية للقصة من فكرة وحدث وسرد وبناء وشخصية وزمان ومكان .

أما بالنسبة للحبكة الفنية فالأمانة تقتضى الاعتراف بأن الحبكة الفنية التى تحتم أن ترتبط أحداث القصة ارتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة لم تتوافر لها بصورة كاملة[1] .

أما الشخصية فغالباً ما تكون من نوع الشخصيات المكتملة التى لا تحتاج الأحداث والمواقف إلى إكمالها أو تغييرها .

هذه إذن كانت صورة القصة الجاهلية من حيث الأفكار والمعانى والأركان

---

(١) القصة العربية فى العصر الجاهلى ص ٣١٨

وهى تعد المرحلة الأولى فى نشأة القصة العربية . . وقد استطاعت أن تعبر عن حاجات الناس ومتطلبات المجتمع فى ذلك الوقت فلا يعيبها بعض النقص أو عدم النضج ، فالبداية دائماً لا بد وأن تكون غير مكتملة ، ثم تأتى مراحل أخرى وظروف أفضل فى عصور تالية تؤدى إلى نضج القصة العربية ، وقصص الجاهلية تصلح للكبار إلى جانب صلاحية جزء منها للأطفال كقصص الأمثال وبعض الخرافات ، والقصص التى تهدف إلى نمو القيم العربية الأصيلة فى نفوس الأطفال مثل الشجاعة ، والجود ، والمحافظة على الأعراض ، وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف . . . الخ .

وأطفال الجاهلية كانوا يربون على الخشونة منذ ولادتهم فيحرمون من حنان أمهاتهم ويرسلون مع المرضعات إلى البوادى حيث النشأة السليمة والنهل من أصول اللغة العربية والأخلاق والقيم العربية الجيدة ، ولا بد أن يكون الطفل فى مراحل نموه المبكرة ثم المتأخرة قد استمع إلى الكثير من القصص التى تتحدث عن أيام العرب وتذكر أنسابهم ومفاخرهم ، وتصف عاداتهم واعتقاداتهم .

وفى الغالب أن الأطفال تعلموا كثيراً من الفضائل عن طريق ما تتضمنه تلك القصص ، فالقصص ظاهرة إنسانية فى كل المجتمعات تهدف إلى التربية والتعليم التى لجأ إليها العرب فى الجاهلية خاصة ، وأن هناك كثيراً منها يتضمن الحث على الفضائل واتباع القيم العربية التى كان يريد العرب بناء شخصية أبنائهم عليها .

وإذا كان النقاد أغفلوا فن القصة فى أدب الكبار فى العصر الجاهلى ، فهم بالتالى لم يلتفتوا إلى قصص الأطفال . . والحقيقة أنه فى المجتمعات الأولى اختلطت قصص الكبار بقصص الأطفال .

كما وجدت القصة ضمن الأدب الشعبي الذي كان يروى بين مضارب الخيام يتداول بين الأطفال والمرضعات والأمهات . . ولم تدون قصص الأطفال في هذا العصر وضاع منها الكثير ولكنها لم تمت لأن الأدب الشعبي أدب إنساني ، وهو يسري وينتقل من جيل إلى ما يليه من الأجيال ، وهو ضرورة صحية وظاهرة نفسية ترويه الإنسانية وتجدده الأيام .

فالأدب الشعبي كان له نصيب من قصص الأطفال ، وكانت هذه القصص تهذيبية أخلاقية تعليمية . . تحكي مفاخر الجاهلية ومناقبها ، وتحكي عاداتها وعقائدها وتبثها في نفوس الأطفال ليشبوا أقوياء شجعان ، وقد اختلطت في هذه القصص الحقيقة بالخيال الخصب والأوهام حتى تثير الاهتمام .

ومن القصص التي تصلح للأطفال في ذلك العصر قصص الأمثال التي حكيت على ألسنة الطير والحيوان ، وقصص الجن والشياطين والغيلان التي تتحول إلى أشكال وصور أخرى كالكلاب أو النسور أو القطط . . وهذه القصص لا تموت أبداً ولكنها تطول حيناً وتقصر حيناً آخر ، وتتطور حسب الثقافة وخصب الخيال .

فمن الحق أن نقول : إن الأدب الشعبي عني بالطفولة منذ العصر الجاهلي . . ولكن من المؤسف أن هذا الأدب في تلك العصور البعيدة لم يدون ونتيجة لهذا لم يعترف به المؤرخون ، فالمؤرخون لا يعترفون إلا بالأدلة القاطعة ، وهذه تكمن في تدوين الأدب . . فإذا لم يدون فهو غير معترف بوجوده مهما قيل ومهما حاول الباحثون إثبات وجوده بالأدلة المنطقية .

الفصل الثالث

قصص الأطفال فى العصر الإسلامى :

١ — عناية الإسلام بالطفولة .

٢ — القصة فى القرآن الكريم .

٣ — القصة فى الحديث النبوى الشريف ، قصص الصحابة .

٤ — قصص الأطفال فى العصر الإسلامى .

● — خصائص القصة فى هذا العصر .

عناية الإسلام بالطفولة :

عنى الإسلام عناية كبيرة بالطفل ومنحه الكثير من الحقوق التى كانت الجاهلية قد أهدرتها ، فقد كان العرب فى الجاهلية يفرحون بالذكور ويكرهون الإناث ، وكانت الزوجة إذا رزقت صبية يستقبلها زوجها بالحزن والألم ، وقد تناول الأدب الشعبى هذه الظاهرة وصورها . . فالأم كانت تشعر بانهيار بيتها إذا هى أعقبت فتاة ، تقول إحدى الأمهات :

لما قالوا دى صـــــــبية ‌ ‌ أتهـــــد البيت عليه[1]

وهذه الأم لا ترغب فى الأنثى خشية المعايرة لها والذل والهوان لابنتها ، وكما ذكر الأدب الشعبى على لسان امرة :

أحب بنيتى ووددت أنى ‌ ‌ دفنت بنيتى فى قاع لحد
وما بى أن تهون على ولكن ‌ ‌ مخافة أن تذوق الذل بعدى
فإن زوجتها رجلا فقيراً ‌ ‌ أراها عنده والهم عندى
وإن زوجتها رجلا غنياً ‌ ‌ فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريباً ‌ ‌ ولو كانت أحب الناس عندى[2]

والأنثى فى الجاهلية لم يكن لها أى حق مشروع ، وإنما تورث كما يورث المتاع . ولما جاء الإسلام سوى بين الأنثى والذكر فى النشأة والمنبت . . فالنساء شقائق الرجال ، قال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم

---

(١) محاضرات الأدباء ـ الراغب الأصفهانى ج ٢
(٢) المستطرف فى كل فن مستظرف ج ٢ الابشيهى .

من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)[1] . وقد حرم الإسلام وأد البنات ومنح المرأة حقا في الميراث (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت)[2] وقال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)[3] . وحرم الإسلام أن تورث النساء كما يورث المتاع فقال جل شأنه (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها)[4] وحض على الإحسان إلى الأنثى وإكرامها . . فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة)[5] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت (جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال « من بلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار »)[6]

ومثل البنات الأخوات فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة)[7] .

---

(١) سورة النساء آية ١
(٢) سورة التكوير آية ٨ ، ٩
(٣) سورة النساء آية ١١
(٤) سورة النساء آية ١٩
(٥) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٥ (كتاب البر والأخلاق) رواه أبو داود .
(٦) جواهر البخاري ص ٤٨٠
(٧) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ج ٥ (كتاب البر والأخلاق) رواه الترمذي وأبو داود .

وعناية الإسلام بالطفولة ليست فى إعطاء الأنثى حقها والحث على رعايتها فقط ولكن هناك مظاهر كثيرة وعظيمة تتضح منها هذه العناية أهمها عناية الإسلام بالأسرة . فالأسرة هى العامل الأول الذى يؤثر فى نفسية الطفل وعليها يقع العبء الأكبر فى تعليمه واكتسابه الأخلاق والفضائل ، وتربية الأطفال مثل زراعة المحاصيل لا بد من الغرس والرعاية والحماية والمراقبة والسهر ، وقد أودع الله فينا الأبوة والأمومة كى تكون سياجاً لحماية النشء ودوام عمارة الكون وخير ما نترك فى هذه الدنيا أولادا يكتسبون الصلاح والفجاج يدعون لنا فى آخرتنا فليس لنا بعد الفناء إلا الصدقة الجارية والولد الصالح أو العلم الذى ينتفع به ، وقد دعا إبراهيم ربه قائلا : « واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »(١) ودعا زكريا ربه قائلا : « فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا »(٢) .

فعناية الإسلام بالطفل تبدأ من عناية الأسرة فهى الأساس ، والإسلام يحث على الزواج واختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح وهما الأم والأب. قال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة »(٣). وقال تعالى: « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم »(٤) . وقال تعالى: « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية »(٥) .

والإسلام يحث على اختيار الرجل الصالح ليكون زوجاً فإن ذلك من دواعى

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٨
(٢) سورة مريم آية ٥ ، ٦
(٣) سورة النساء آية ٣
(٤) سورة النور آية ٣٢
(٥) سورة الرعد آية ٣٨

الاستقرار فى الأسرة وحياتها وسبيل فى النهاية إلى رضى الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد)(١) .

وروى أن بلالا وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما من أنتما ؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخى صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فإن تزوجنا فالحمد لله ، وإن ترددنا فسبحان الله ، فقالوا : بل تزوجان والحمد لله . فقال صهيب لبلال : لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق(٢)

بل إن الإسلام حرصا منه على أن تسود الأسرة روح المحبة والمودة وأن تكون العلاقة بين الزوج والزوجة وثيقة قوية جعل للمرأة رأيا فى اختيار شريك حياتها ما دام كفؤا مناسباً فمن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها وأذنها صمتها »(٣) ، كذلك عنى الإسلام باختيار الأم الصالحة . قال تعالى: «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »(٤) .

ويحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافتنان بجمال لا يزينه خلق ودين فالخلق والدين هما الأساس الذى ينبغى للمسلم أن يختار شريكة حياته على أساسه .

---

(١) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٢ (كتاب النكاح والطلاق والعده) رواه الترمذى وحسنه .
(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٤٠
(٣) متفق عليه (التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٢) .
(٤) سورة البقرة آية ٢٢١ .

قال صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)(٢) .

فالإسلام دعا إلى اختيار الأم الصالحة حتى يرث أولادها أخلاقها وصفات زوجها ، والأم الصالحة تربى الطفل وتعلمه وتغرس فى نفسه أسمى المعانى والقيم وأجلها وكما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق(٣)

وقال آخر :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

والإسلام يحمل دائماً على الخلق الفاضل ومراعاة الله فى كل شئون الحياة ولهذا فهو مفتاح السعادة والخير ، ولا بد من إعلان الزواج لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل)(٤) .

وثمرة الزواج هى الإنجاب إنشاء الله تعالى . قال تعالى : (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما)(٥) .

---

(١) جواهر البخارى ص ٤٣٨ .
(٢) التاج الجامع للأصول ج ٢ باب الزوجة المحمودة .
(٣) حافظ إبراهيم .
(٤) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٢ .
(٥) سورة الشورى آية ٤٩ ، ٥٠ .

والإسلام يعنى بالزوجة ويوص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره واستوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع أعوج وإن اعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا[1] .

والإسلام يعنى بالأم نفسيا وبدنياً خاصة فى فترة الحمل. قال تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) فالنزاع بين الزوجين له آثاره السيئة على نفسية الأم كما أنه يؤذى جنينها وحتى ينمو الطفل نموا طبيعياً فقد أباح الإسلام للحامل أن تفطر فى شهر رمضان عن أنس بن مالك الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم)[2] .

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الأسماء قال عليه الصلاة والسلام : (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم)[3] .

وغير النبى صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاماً وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبث وأرضاً تسمى عفرة سماها خضيرة وشعب الضلالة سماها شعب الهدى وبنى الزنية وبنى مغوية سماها بنى الرشد)[4] .

---

(١) التـــاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٢ رواه الشيخان ، جواهر البخارى ص ٤٤٢ .
(٢) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول رواه الخمسة (كتاب الصيام) .
(٣) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٥ (أحب الأسماء إلى الله تعالى).
(٤) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٥

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير الاسم القبيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة[١].

وقد عنى الإسلام بحقوق الأبناء على الآباء فى جميع مراحل عمرهم ذكوراً وإناثاً فطالب بضرورة التعاون بين كل من الرجل والمرأة فى إعطاء الطفل جميع حقوقه، فطالب الأم بالإرضاع. قال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)[٢]، وعلى الأب الرزق والكسوة، « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »[٣].

« لا تكلف نفس إلا وسعها »[٤] وإذا أرادا أن يسترضعا أولادهما لدى المراضع الأجنبيات فلا جناح عليهما ما قبلا ذلك. قال تعالى: « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف »[٥].

ثم إن الحضانة للأم فى حالة النزاع بين الوالدين والطلاق (قال صلى الله عليه وسلم لما جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإن أباه طلقنى وأراد أن ينتزعه منى، فقال صلى الله عليه وسلم أنت أحق ما لم تنكحى »[٦] وإن لم تكن فالأقرب رحما لعطفها على الطفل.

والإسلام دين الرحمة يحث على العطف على الأطفال فهم أحوج ما يكونون

---

(١) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٥
(٢) سورة البقرة آية ٢٣٣. (٣) سورة البقرة آية ٢٣٣
(٤) سورة البقرة آية ٢٣٣. (٥) سورة البقرة آية ٢٣٣
(٦) التاج الجامع للأصول، باب الحضانة ٢٠/٣٥٧.

إلى العطف والحنان ، ولنا فى معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنيه الحسن والحسين أسوة حسنة ، وكان عليه السلام يقول : « من لا يرحم لا يرحم »[١] وعن أنس رضى الله عنه قال : « جاء شيخ يريد النبى صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »[٢]

فالرحمة بالطفل اليتيم من الأشياء التى أوجبها الإسلام فالأطفال اليتامى أحوج ما يكونون إلا للمزيد من العطف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه أدخله الله الجنة إلا أن يحمل ذنبا لا يغفر)[٣] .

والإسلام يحث على تنشئة الأطفال على مكارم الأخلاق وكريم الصفات قال تعالى: (يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم[٤]،ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير[٥].. يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ..[٦]) ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور وأقصد فى مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير..[٧] ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تحقيق القدوة الطيبة للأطفال من الكبار قص عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال

---

(١) التاج الجامع للأصول ، باب الحضانة .
(٢) رواه الترمذى ، التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ٥
(٣) التاج الجامع للأصول ج ٥
(٤) سورة لقمان آية ١٣
(٥) سورة لقمان آية ١٤
(٦) سورة لقمان آية ١٧
(٧) سورة لقمان آية ١٨ ، ١٩

(جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي : يا عبد الله تعال أعطيك ، فقال رسول الله وما أردت أن تعطيه قالت : تمرا فقال : أما أنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة)[١] وروى عن أنس بن مالك قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على صبيان فسلم عليهم[٢] .

والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يغرس في نفوس الناشئة المبادىء القويمة ويتضح ذلك من نصيحته لابن عباس رضى الله عنهما ، فمن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا غلام إني أعلمك كلمات ، إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت استعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله لك رفعت الأقلام وجفت الصحف[١] .

وقد حرص الإسلام على تنمية مواهب الطفل وبناء شخصيته فأعطاه من العناية بما هو جدير بها ، فلا ينبغى أن يهمل وإنما يجب مراعاة أحاسيسه وتصرفاته وتشجيع تطلعاته إن كانت خيره وتوجيهه إلى الصواب إن أخطأ .

وإن من عناية القرآن بهذه الناحية ما ورد في سورة يوسف فيما كان بين

---

(١) سنن أبي داود ج ٥ ص ٢٦٥

(٢) التـــاج الجامع للأصول ج ٥ ، متفق عليه تعليق : عزت عبيد الدعاس دار الحديث . حمص سوريا .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ، رواه الترمذى .

يوسف وأبيه حين قال له (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال : يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا . . إن الشيطان للانسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم)[١] .

وما كان من شأن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قال تعالى (فلما بلغ معه السعى قال : يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إنشاء الله من الصابرين)[٢] .

وفى قصة موسى مع إبنتى الرجل الصالح . . قالت : إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إنشاء الله من الصالحين)[٣] .

فمعاملة الأطفال بهذا الأسلوب تنمى قدراتهم وتبنى شخصياتهم بناءسليما .

ومن وسائل بناء الشخصية كما نبه الإسلام إليها اصطحاب الصغار إلى أماكن العلم ومجالس الكبار عن عمر بن سلم قال : كنا بحاضر[٤] يمر بنا الناس إذا أتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا رجعوا مروا بنا فأخبرونا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كذا وكذا وكنت غلاما حافظا فحفظت

---

(١) سورة يوسف آية ٤ ، ٥ ، ٦
(٢) سورة الصافات آية ١٠٢
(٣) سورة القصص آية ٢٦ ، ٢٧
(٤) حاضر : مكان إقامة .

من ذلك قرآنا كثيرا وانطلقوا بى وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قومه فعلمهم الصلاة ، وقال (يؤمكم أقرؤكم) ولما كنت أحفظ ... وكنت أؤمهم وأنا إبن سبع سنين أو ثمانى سنين(١) .

والإسلام حث آداب اجتماعية ينبغى أن يأخذ بها الطفل ليتعودها منها الإستئذان قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن صلاة العشاء ثلاث مرات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم)(٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب فدق عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شىء فقال عمر : وددت أن الله ينهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا من الدخول علينا فى هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت وقال إسحاق الفزارى قلت للأوزاعى عن حد الطفل الذى يستأذن قال : أربع سنين . قال لا يدخل على امرأة حتى يستأذن ، وقال الزهرى : يستأذن الرجل على أبيه وكان أنس بن مالك رضى الله عنه دون البلوغ يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الصحابة مع أبنائهم وعلمائهم رضى الله عنهم(٣) .

---

(١) سنن أبى داود ج ١ تحقيق محى الدين عبد الحميد ص ١٦٠ . ط دار إحياء السنة المحمدية القاهرة .

(٢) سورة النور آية ٥٨ ، ٥٩

(٣) تفسير القرطبى ج ٦ ، أسباب النزول للنيسابورى .

ومن الآداب التى وجه الإسلام عليها التدريب على العبادة والتنبيه إلى الحلال والحرام قال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[١] . وقال (يا بنى إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور[٢] . وفى الحديث مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع[٣] .

ومن تنمية غريزة الدفاع عن النفس والتدريب على الجهاد فعن مسلمة عن الأكوع رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم ينتصلون (يتسابون فى الرمى) فقال : أرموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا . أرموا وأنا من بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما لكم لا ترمون، فقالوا وكيف نرمى وأنت معهم فقال عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أرموا وأنا معكم كلكم[٤] .

وقد حث الإسلام على تدريب الغلمان على الجهاد عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : رأيت أخى عميراً يتوارى يوم بدر فقلت مالك يا أخى ؟ فقال : أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى و يردنى ، وأنا

---

(١) سورة طه آية ١٣٢

(٢) سورة لقمان آية ١٦ ، ١٧

(٣) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ج ١ (كتاب الصلاة) رواه أبو داود وأحمد والترمذى .

(٤) رواه البخارى التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول (كتاب الجهاد والغزوات) .

أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى وأجازه . قال سعد فكنت أعقد عليه حمائل سيفه من صغره وقتل وهو ابن ست عشرة سنة[١] .

كما حرص الإسلام على إبعاد الأبناء عن مظاهر الميوعة والترف ليشبوا رجالا ، يمكن الاعتماد عليهم . . فمن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : كنا عند عبد الله بن مسعود فجاء إبن له عليه قيص من حرير ؟ قال : من كساك ؟ قال أمى فشقه . وقال : قل لأمك تكسوك غير هذا[٢] .

وقد أباح الإسلام اللهو للصغار . كما أوجب العقوبة فى حالة الخطأ والعقوق ومع ذلك فعلى الوالدين ألا ينسيا العفو والرفق والأناة ، وعن عائشة رضى الله عنهـا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف وما يعطى على سواه[٣] .

فإذا لم يغن الرفق . . فالقسوة لفائدة الإبن وصالحه وكما قال الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

هذا قليل من كثير من منهج الإسلام فى تربية الأطفال وتنشئتهم والعناية بهم ، والحقيقة أن القدوة الحسنة تتمثل حية قوية فى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت طفولته عليه السلام أساسا للتعاليم التى كلفه الله بها فأبوه

---

(١) الطفولة فى الإسلام .
(٢) الطفولة فى الإسلام .
(٣) الحديث التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ ٥ (كتاب البر والأخلاق) رواه الأربعة .

عبد الله من أشرف شباب قريش وأعدلهم مسلكاً فى الحياة، وقد أحسن اختيار زوجه، بل أن الله سبحانه وتعالى الذى اختارها له لتكون أم خير البشر جميعاً، وحياة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فى طفولته حياة قاسية مليئة بالأحزان والصعوبات، وكان الله يعده بذلك لتحمل ما فوق طاقة البشر فسيره رسول الله عليه الصلاة والسلام هى مثال القدوة الحسنة لأولادنا يتعلمون منها ويطلعون على وجوه جهاده فى سبيل الله والإسلام.. فتحبب الجهاد فى سبيل الله إلى نفوسهم وتعلمهم أقوى العبر وأفضل العظات.

« ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »[1].

عنى الإسلام بالطفولة وفطن إلى أهميتها قبل أن يفطن العلماء ورجال التربية وعلم النفس، وأعد أفضل منهج لبناء الأسرة المسلمة، وتنشئة الأطفال تنشئة صالحة.

فقد عنى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بوضع أفضل منهج لبناء أجيال سليمة الإيمان قوية العقيدة سليمة البنيان تدافع عن وطنها وتنشر دينها. ذلك هو ما فعله الإسلام للطفولة فى مجال التربية والتعليم. وفى الصفحات التالية نتعرف على وسائل تلقين الأدب الإسلامى للأطفال عن طريق فن القصة ذلك الفن المحبب إلى نفوسهم فنتعرف على قصص القرآن الكريم، وما يمكن أن تقدمه لأطفالنا وقصص الحديث النبوى الشريف، ثم نتحدث عن قصص الصحابة وكل هذه الأنواع من خير ما قدم ويقدم كأدب مفيد ممتع يتعلم منه الطفل إلى جانب ما يحققه له من متعة ورقى لذوقه وأحاسيسه وبناء لشخصيته.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١.

القصة القرآنية :

القرآن الكريم كتاب الله أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدى وبشرى للمتقين ونذيراً مبين ، وأهداف وغايات القرآن الكريم لا حصر لها ، وهى صالحة لكل زمان ومكان كما أنها صالحة للبشر جميعاً كبيرهم وصغيرهم . وقد أتبع القرآن الكريم فى نشر الدعوة الإسلامية وتعليم الشريعة وبث الإيمان فى النفوس أساليب مختلفة ، ومن أقوى هذه الأساليب وأحبها إلى النفوس أسلوب القصة لميل البشر إليها واتئناسهم بها .

والقصة القرآنية لها شأن عظيم فى كتاب الله سبحانه وتعالى ، وقد أدت فيه أكثر من رسالة ، وحققت أكثر من غاية ، أدت رسالة العظة والتوجيه والإرشاد إلى أولى رسالات كتاب الله . . كما أدت وظيفة التعليم والتلقين ، وهى توضح أن عقيدة التوحيد هى الغالبة ، وأن رسل الله مهما لقوا من العنت واحتملوا من الشدة مالا يتحمله غيرهم ، فهم المنصورون بإذن الله كما ذكرت حكايات الأنبياء والرسل وفصلت تاريخهم وما لقوه من أقوامهم وأساليب دعوتهم وردود فعل الأمم البائدة إزاء هذه الدعوات وجدلهم ، وما كانت عليه دولهم الغابرة وممالكهم المندثرة من حضارة ، وما شرعته من قوانين وما سنته من أحكام[1] .

والأنبياء والرسل كثيرون ، وقد ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ممن يجب الإيمان بهم وذكر قصصهم وهم : آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ،

---

(١) القصة القرآنية : فتحى رضوان .

وشعيب ، وأيوب ، وذو الكفل ، وموسى ، وهارون ، وداود، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد عليهم صلاة الله وسلامه أجمعين .

وهناك رسل آخرون لم ترد أسماؤهم فى القرآن الكريم ، ولكن أشار الله إليهم بقوله ، مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : « ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصص عليك »(١) .

وقد أوضح القرآن الكريم أن الأنبياء ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة ، بل بعضهم أفضل من بعض ، قال سبحانه وتعالى : « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض »(٢) ، وقد رفع الله درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوق درجة النبيين بأن أرسله إلى الناس كافة بينما الأنبياء السابقون أرسلوا إلى أممهم خاصة ، قال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٣)، ومن الرسل من وصفهم القرآن الكريم بأولى العزم وهم الذين أمر الله رسوله محمداً بالاقتداء بهم فى جهادهم بقوله جل شأنه : « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل »(٤) ، وقد سموا بذلك لأن عزائمهم كانت قوية وابتلاؤهم كان شديداً وجهادهم كان شاقاً وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كان من أولى العزم فهو أكثر الأنبياء جهاداً وصبراً وتضحية ، كما أن الله سبحانه وتعالى خصه بالثناء والإكرام إلى حد لم يخص به نبياً قبله(٥) .

---

(١) سورة النساء آية ١٦٤
(٢) سورة الإسراء آية ٥٥
(٣) سورة سبأ آية ٢٨
(٤) سورة الأحقاف آية ٣٥
(٥) سورة الأنبياء آية ١٨

وقد جعل الإسلام الإيمان بالأنبياء من أركان العقيدة الإسلامية ، قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »[1]، فينبغى للمسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء ويحترمهم ويجلهم .. وهذا من مميزات الإسلام ، والقرآن الكريم يعلمنا أن أنبياء الله معصومون ، ويجب على كل مسلم الإقتداء بهم والإستنارة بسيرتهم لما كان فيها من جهاد فى سبيل الله وطاعة له عز وجل ، قال تعالى : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده »[2].

وقال جل شأنه : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »[3]. والواجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله تعالى قد أيد أنبياءه وأمدهم من عنايته الآلهية بالمؤيدات التى لم تعهدها العقول من قبل ليثبتوا بها للناس صدقهم وأنهم مرسلون من عند الله ، وهذه المؤيدات يطلق عليها معجزات أو آيات بينات فهى أعمال فوق مقدور البشر وخارجة عن نطاق طاقتهم وعلومهم ومعارفهم .

ومعجزات الأنبياء أنواع ، منها معجزات كونية كانفجار الماء من الحجر حين ضربه موسى بعصاه حين استسقاه قومه ، وكتظليل الغمام على بنى إسرائيل فى التيه ، وكانشقاق البحر لموسى وانحسار الماء عنه حتى مشى فيه هرباً من فرعون ، ومنها أخبار غيبية كإنباء عيسى قومه بما يأكلون وما يدخرون

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦ (٢) سورة الأنعام آية ٨٩ ، ٩٠
(٣) سورة الأنبياء آية ٧٣

فى بيوتهم ، ومنها ما هو مخالف للقوانين الطبيعية : كالنار التى أراد بها الكافرون إحراق إبراهيم فكانت برداً وسلاماً ، ومنها معجزات طارئة تقدر بقدر الحاجة إليها ، وقد اقتضت حكمة الله أن تكون معجزة كل رسول مما هو شائع بين قومه وفى عصره ليكون ذلك أبلغ فى تأييد الرسول ، كمعجزة عيسى عليه السلام بإحياء الموتى لما كان عليه اليهود من إنكار الروح ، ومعجزة موسى عليه السلام وهى العصا التى أصبحت حية بلعت عصى السحرة وحبالهم لما برع فيه المصريون آنذاك فى السحر ، وقد جاءت معجزات الأنبياء على هذا النحو لأهل زمانهم لأن العقول البشرية لم تكن من النضوج بحيث تستطيع أن تقتنع بالحجة وتؤمن بالبرهان العقلى .

ولم يكن لها فى هذه الأطوار إلا أن تؤمن بالأمور الخارقة للعادة التى تبهر أبصارهم ، ويكون هذا داعياً إلى إقناعها بصدق نبوة نبيها ، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم تختلف عن المعجزات التى سبقته . . فهى معجزة عظيمة خالدة على الدهر ، بعكس سواها التى تزول بزوال زمانها .

وقد ورد فى القرآن الكريم تعريف بالأنبياء ومعجزاتهم . . وجاء كل هذه المعجزات فى القصص القرآنية ، كما حكى القرآن الكريم معاملة الأقوام لأنبيائهم وصدى رسالاتهم عليهم .

والغاية من قصص الأنبياء بيان معجزة الإسلام بنزول هذه القصص على النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإيضاح أن الدين كله من عند الله ، من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم . . ثم بيان العبر والعظات والدروس التى يمكن أن يتعلمها كل مسلم من هذه القصص ، وبطبيعة الحال فإن هذه القصص باقية خالدة على الدهر تعلم وتعظ وتنذر فهى جزء من القرآن الكريم ، وأحد الأساليب التى استخدمها فى الدعوة إلى الإسلام ، وتعبير الرسول على

ما يلاقيه من ظلم قومه وعنادهم وتعليم المسلمين صغيرهم وكبيرهم . . فالقصص القرآنى ملىء بأحاديث وسير الأنبياء إلى جانب قصص أقوام آخرين من المؤمنين الذين أطاعوا الرسل أو عاندوا رسلهم ، وكانت نتائج هذا العناد وخيمة عليهم . . إلى جانب قصص تعلم بمبادىء الإسلام وتعاليمه . . إلى غير ذلك من كل ما يخص شئون الحياة .

والمسلم يتعلم الكثير من هذه القصص فهو يتعلم أن بعد العسر يسراً ، وأن الله لا بد وأن ينصر عباده المؤمنين فى نهاية المطاف ، وأنه لا دائم ولا باق إلا وجهه سبحانه وتعالى ، والقصص القرآنى يصف لنا قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته التى لا تصل إليها قدره فهو يبنى ويهدم ويهب ويمنع وينصر ويهزم ويكافىء المحسن ويعاقب المقصر . . وكل شىء من عند الله . . فعلى الإنسان الإيمان به جل شأنه والتوكل عليه والسعى إلى مرضاته .

والقصة فى القرآن الكريم تحث على المعاملة الطيبة بين الناس ومنع الفساد فى الأرض . . فالجميع سيحاسب يوم القيامة ، والقرآن الكريم يصور هذا اليوم وكأنه واقع بأحداثه أمام الأعين . . وأن الناس سيجدون ما صنعوا فى الحياة الدنيا قد سجل فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والناس فى هذا اليوم فريقان : السعداء . . وهم أصحاب العمل الصالح فى الدنيا . . وهؤلاء لهم الجنة فى الآخرة . أما الفريق الثانى فهم الأشقياء . . وهم الذين انحرفوا عن السبيل القويم ، وكل هذا قد سجل فى قصص الأنبياء مع أقوامهم ومواقف أقوامهم منهم .

فمن ذلك ما جاء على لسان سيدنا شعيب لقومه : « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . . قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض

بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ، ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً ، واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين »[١] ، ومن أمثال ذلك ما جاء فى سورة الواقعة والحاقة والإنسان من إظهار أن الناس فريقان .. إما صالح وإما طالح ، وكل يجزى بما قدم من عمل فى دنياه .

وقصص القرآن تحث على العدل فى الحكم بين الناس وتوضح كيفية تطبيق الأحكام الشرعية من ذلك ما جاء فى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين »[٢] .

والقصص القرآنية قصص واقعية تظهر الحياة على وجهها الصحيح وأنها تشتمل على الخير والشر ، وأن عنصر الشر فيها قديم يتمثل فى الشيطان الذى وسوس لآدم عليه السلام واستكبر عن أمر الله وتوعد آدم بالإضلال والإغواء كما يتضح فى سورة (ص) وفى سورة الأعراف .

والحقيقة أن المجال أضيق من أن يتسع لذكر كل خصائص ومزايا القصص القرآنى ، فالقصة القرآنية جزء من الأدب القرآنى لها أهداف ومرامى بعيدة

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٥ ، ٨٦

(٢) سورة المائدة آية ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

وهى تعلم وتهذب وتدعو إلى خشية الله جل شأنه .. وتنمى الشعور الدينى ، إلى جانب ترقيتها للأذواق .

ومادة القصص القرآنية مأخوذة من أحداث التاريخ ووقائعه ، ثم هى بعد ذلك معروضة عرضاً أدبياً ، ومسوقة سياقة عاطفية تبين المعانى وتؤيد الأغراض وتؤثر التأثير الذى يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائياً يستثير العاطفة والوجدان[١] .

وقد تنوعت القصة القرآنية فاشتمل الأدب القرآنى على القصة الطويلة والقصة القصيرة ، وظهرت فيه الخصائص الفنية للقصة ، والحبكة اللغوية ، وجمال الأسلوب .

والقصص القرآن معجز فى صدق تصويره للحقائق وتعبيره عن الأحداث والأحاسيس التى وقعت للأفراد والأمم الغابرة .

والقصص القرآنى بما اشتمل عليه من قصص الأنبياء والصالحين قصص دينى تعليمى ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، كما أنه صالح لكل الأعمار ولكل الخبرات ، وهو نوع عال من الثقافة ، ويعد من أغنى المصادر التى اعتمد عليها الأدباء فى صياغتهم قصصهم فى العصور التالية ، سواء أكانت هذه القصص للكبار أو للناشئة .. وهى بحق أصلح ما يقدم من فنون الأدب .

---

(١) الفن القصصى فى القرآن ، محمد خلف الله .

القصة فى الحديث النبوى :

من أهم القصص وأعظمها وأسماها غاية هى القصص التى وجدت فى المصدر الثانى لمصادر التشريع . . ألا وهو السنة النبوية الشريفة .

فقد اقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنهج القرآن الكريم وطريقته فى الوعظ والتعليم والتهذيب عن طريق القصص ، وكان غرض الرسول الكريم من اتباع أسلوب القصة هو تعميق مبادىء الإسلام فى النفوس ، فقد حمل الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قيم الإسلام ومعانيه . . وربى عليها المسلمين الأولين ووجههم من خلالها ، والهدف الرئيسى من هذه القصص هو هو تعليم الدين وتقريب تعاليمه إلى نفوس المسلمين . وموضوعات هذه القصص تتحدث عن العقيدة والقيم الإسلامية . . والحياة والموت . . والبعث والجزاء كما أنها تتناول جوانب من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه . . وتتحدث عن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه القصص ما يعد تجارب ذاتية وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فترات مختلفة من حياته . . وفى ظروف مختلفة .[1] وهذه القصص أشبه ما تكون بالمذكرات التى يسجلها الإنسان عن بعض ما يمر به فى حياته ، والرسول صلى الله عليه وسلم ينتخب ، من أهم تجاربه الذاتية ويتخير أكثرها إثارة ليجعلها مادة قصصية ينسج منها وقائع ما يقصه على أصحابه مستهدفا من وراء ذلك ما يحققه عرض هذه التجارب من تعميق إيمان الصحابة بالرسول والرسالة .

---

(١) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٦٧

ومن أحداث هذه القصص ما كان سابقا للبعثة النبوية مثل قصة (شق الصدر)[1] ، التي يتحدث فيها عن فترة صباه حين كان يعيش بين ظهرانى بنى سعد بن بكر . وقد كان سبب قص هذه القصة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه القصة التي تحدث فيها عن أهم موقف مر به فى تلك الفترة .. وما كان فى ذلك الموقف من أحداث مثيرة تمثلت فى اتيان الطائرين إليه وشقهما صدره وقلبه وإخراج العلقتين السوداوين . . ثم ما كان من وزنهما له ورجحان كفته . . حتى ليقول أحد الملكين لصاحبه (لو أن أمته وزنت به لمال بهم)، وقد كان هذا الحدث مفزعا للسيدة حليمة السعدية التي كانت ترضعه . . وقد سارعت به إلى أمه إشفاقا عليه[2] .

وقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم بالأحداث التي وقعت بعد البعثة أكثر من عنايته بما حدث قبل البعثة . . وذلك لأن فترة بعد البعثة هي الأهم فى حياته عليه السلام حيث بدأ يتلقى الوحى من الله عن طريق جبريل . والرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على تأكيد ظاهرة الوحى . . . وفى سبيل ذلك نجده يعرض قصته عن رؤيته لجبريل ملك الوحى[3] ، حين كان فى طريقه إلى مكة عبر الوادى بعد أن أنهى اعتكافه الذى استمر شهرا بغار حراء ، . . وهناك فى بطن الوادى رأى جبريل على كرسى بين السماء والأرض ويبدو أن هذه أول مرة يرى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل على هذه الصورة بدليل ارتجافه الشديد الذى تذكره القصة وذهابه إلى خديجة وهو يقول (دثرونى . . دثرونى) . .

---

(١) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٦٧
(٢) سنن الدارمى ١ : ١٦ — ١٧
(٣) مسلم ١ : ١٤٤

وهنا أنزل الله تبارك وتعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر »[١] .

ومن القصص الهامة التى وقعت أحداثها للرسول صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء والمعراج فقد أسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ومن هناك عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء وجبريل فى صحبته وفى هذه الرحلة السماوية مرا بالسماء كلها .. وفى كل سماء يقابل الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم نبيا من الأنبياء إلى أن انتهى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى . . وهناك أوصى إليه بفرض الصلاة خمسين صلاة ثم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بينه وبين موسى من حوار حول فرض الصلاة . . وما أشار به موسى عليه السلام عليه من أن يطلب من ربه التخفيف على أمته فرجع يطلب التخفيف وما زال يراجع ربه حتى خففها عنه إلى خمس صلوات وأبقاها فى الأجر خمسين صلاة[٢] . .

ويبدو أن قصة المعراج حدثت للرسول مرتين مرة فى شكل رؤيا وتمت له فى المنام[٣] . . ومرة أخرى فى حالة الوعى والصحو . . ورؤيا الأنبياء حق وعائشة رضى الله عنها كانت تقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يرى رؤيا إلا وجاءت مثل فلق الصبح[٤] .

وقد كان لقصة الإسراء والمعراج أثر كبير فى الأدب العربى والآداب

---

(١) سورة المدثر ١ : ٧
(٢) القصص فى الحديث النبوى ص ٩٩
(٣) البخارى ج ٥ ، ١٦ — ٦٩ ، ٤ : ١٣٣ — ٦٣٥
(٤) البخارى ١ : ٣

الأجنبية وأثره فى الأدب العربى نجده فى مظهرين[1] : الأول : ما نجده من امتداد حديث المعراج فى روايات متعددة ظهرت عليها علامات الوضع والتزيد ويرى فيها الاضطراب ، وأطلق واضعوها العنان لخيالهم إلى حد كبير .. وهذه الروايات من وجهة النظر الأدبية تعتبر كسبا أدبيا لفن القصة فى الأدب العربى . . والمظهر الثانى : يبدو فى أثر — قصة الإسراء والمعراج — فى الأدب العربى أيضا فى عدة رسائل أهمها : رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى التى تمثل رحلة خيالية إلى الجنة والنار .. ولا شك أن قصة المعراج هى التى أوحت إليه بفكرة الرسالة وما سجله فيها من رحلة فى عالم الغيب ومقابلته لكثير من الشخصيات التى وجدت فى عصور مختلفة ونعيت ، ومشاهدة بعض أحداث العالم الغيبى غير المنظور .

وقد أثر المعراج أيضا فى بعض متصوفة الأدب العربى كمحى الدين بن عربى الأندلسى حيث نجده فى الفتوحات المكية يذكر العرش والسدرة وأنوار الجليل تبارك[2] وتعالى .

وقد أثرت قصة المعراج فى الآداب الشرقية والغربية على السواء . . أما تأثيرها بالنسبة للآداب الشرقية فيتجلى واضحا فى الأدب الفارسى[3] .

وبالنسبة للغرب فالكوميديا الآلهية (الدانتى) تعد من أعظم مفاخر الأدب الإيطالى وقد وجدت دلائل تاريخية قوية تثبت تأثرها بقصة المعراج .

---

(١) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٧٠ ، ٢٧١

(٢) القصص فى الحديث النبوى ص ٢٧١

(٣) الأدب المقارن د . غنيمى هلال .

فالنوع الأول من القصص النبوى هو القصص الذاتية التى تختص بالأحداث التى وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم قبل أو بعد البعثة . . وهى تشتمل على الكثير من التعاليم والمعارف . .

وهناك نوع آخر استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القصة التمثيلية لخدمة الغرض الدينى والتعليمى وتعميق الإيمان فى النفوس .

والقصة التمثيلية نوع من القصص كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضربه لقضية معينة بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعلا من الناحية التاريخية أو لم يقع ومن ذلك فكرة (شدة فرح الله بتوبة عبده) . . وهى فكرة معنوية هامة يحرص الرسول الكريم على أن تستقر فى الأذهان وتنطبع فى الشعور . . ومن أجل ذلك يعمد إلى أن يمثلها فى قصة الذى فقد راحلته ثم وجدها بعد يأس ، وفى تلك اللحظات استولت عليه حالة شديدة من الفرح أخرجته عن طوره حتى ليقول من شدة فرحه (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) فقد أخطأ من شدة الفرح[1] .

وهذه القصص المضروبة للتمثيل وإن كان أغلبها لا يمثل وقائع أو حوادث وقعت بذاتها من خلال أشخاص معروفين ولهم وجود تاريخى فإنها تمثل وقائع وأحداث يمكن أن تقع[2] . . ويمكن أن نجد أمثالها فى واقع الحياة . . وذلك من حيث نوع المواقف والأحداث وتصرفات الشخصيات وما تكشف عنه من مشاعر وطبائع هى صورة من واقع الإنسان وسلوكه مثال ذلك القصص التى تتحدث (عن الإنفاق والبخل ، أو اتباع أمة محمد عليه السلام له .

---

(١) القصص فى الحديث النبوى .
(٢) منهج الفن الإسلامى . محمد قطب ٢٣١

أو موقف المسلمين واليهود والنصارى من نورالإسلام وتقبلهم له) .. والرسول يمثل القصة الأخيرة بقصة المستأجر والأجراء حيث يقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر أجيرين بعدهم، فقال لهما: أكملا بقية يومكما هذا ولكما الذى شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالا: لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه .. قال لهما: أكملا بقية عملكما ما بقى من النهار يسير .. فأبيا، واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور[1].

والمراد بالقوم فى بداية القصة اليهود ورفضهم للأجر يشير إلى كفرهم بعيسى عليه السلام وعدم قبولهم لرسالته لأنه لا يمكن أن يحصلوا على أجر أو ثواب إلا إذا آمنوا به مع إيمانهم بموسى عليه السلام، وأما الأجيران فالمراد بهما النصارى الذين حبط عملهم حين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم .. وبالتالى فلم يكن لهم نصيب فى الأجر وأما الأجراء الذين عملوا حتى غابت الشمس فهم المسلمون وقد استكملوا أجر الفريقين بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى جانب إيمانهم بالأنبياء السابقين.

وغير القصة التمثيلية تنوعت أنواع القصص التى اشتمل عليها الحديث النبوى الشريف فنها (القصة الغيبية) سواء أكانت أحداث هذه القصة تجرى فى الماضى

---

(١) البخارى ٣ : ١٨٣، قبسات من الرسول : محمد قطب ص ١٦٧، ١٨٣

أو المستقبل .. فهى بمثابة الغيب لأنها لم تكن فى متناول الرسول الكريم فلم يؤلفها ولم يأخذها عن غيره من علماء الناس ومؤرخيهم .

ويمكن أن تقسم القصة الغيبية إلى أنواع .. فهناك (القصة التاريخية) وهى ما جرت أحداثها فى الماضى ، وهناك (قصص المستقبل)، وهذا ما تتعلق أحداثه بالمستقبل وقبل قيام الساعة .

وهناك القصص التى تحدث بعد قيام الساعة ويمكن أن تسمى قصص البعث واليوم الآخر .

كما أن هناك قصصا تتحدث عن أمور غيبية تحدث فى الواقع غير المنظور للانسان ويمكن أن يطلق عليها قصص من عالم الغيب .

وقصص الحديث النبوى قصص واقعية تتحدث عن المجتمع الإسلامى ومعضلاته وتحاول شرح وإيضاح الأمور التى ينبغى أن يتعرف عليها كل مسلم ويؤمن بها. وهى تصور المجتمع على حقيقته فلا يوجد مجتمع مثالى وإنما الخير والشر هما عنصرى المجتمع .

وقصص الحديث النبوى هى نوع من الأدب الملتزم بقضايا الدين والأخلاق الإسلامية ، وكان الالتزام هو مقياس جودة الفن فى عصر صدر الإسلام يتساوى فى ذلك الشعر والنثر ، وهذا النوع الذى سخر من أجل خدمة الدين وتوضيح قيمه ومبادئه وتعميقها فى نفوس المسلمين فهذا النوع من القصص هو قصص دينى هدف إلى الدعوة والتعليم والوعظ والتربية .. تربية الروح وتربية العقل والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة .. فهو سجل حافل لجميع التوجيهات[1] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ص ٢٣٩

وقصص الحديث النبوى تعد من أهم المصادر التى أثرت أفكار القصاص ولأن غرضها الرئيسى هو التربية والتعليم .. فإن الكثير منها يصلح أن يقتبس منه لتربية الناشئة وتعليمهم وتسليتهم فى آن واحد .

والقصص الدينى سواء الوارد منه فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف لم يهمل القواعد الفنية للقصة .. فالقصة تشتمل على الشخصيات والأحداث والحوار والزمان والمكان .. وتعنى بالحبكة إلى جانب أنها نصوص دينية تحمل وجهة نظر الإسلام وتعمق الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر وتعطى صورة واضحة عن قدرة الله سبحانه وتعالى وعلاقته جل شأنه بمخلوقاته .

قصص الصحابة :

وهى من أعظم القصص التى عرفت فى عصر صدر الإسلام وما بعده من عصور .. وهى فى نفس الوقت تخدم الفن القصصى للطفل إلى جانب ماقدمته فى سبيل الإسلام .

وقصص الصحابة صادرة عن تجاربهم الذاتية ، وهى قصص واقعية تصور لنا فترة خاصة من حياة المسلمين الأوائل الذين شهدوا بداية الإسلام وتوضح لنا حياتهم ، والمعاناة التى لاقوها فى سبيل الدين الإسلامى ويمكن تقسيم هذه القصص إلى أربعة أقسام[١] .

أولا : للقصص التى يمكن أن نطلق عليها (إسلام الصحابة) .. وفى هذا النوع نجد الصحابة رضوان الله عليهم يرصدون أهم المواقف وأخطرها فى حياتهم وأعمقها أثرا فى نفوسهم وعلى سلوكهم . ذلك هو موقفهم من الإسلام الذى أضاء حياتهم

---

(١) القصص فى الحديث النبوى ص ٦١ .

وعمر قلوبهم بعد حياة الظلام ، والقلق التي كانوا يعيشونها في الجاهلية وقد وصل إلينا كثير من القصص التي تتحدث عن إسلام الصحابة يرويها أصحابها ، ومن نماذج هذا النوع قصة إسلام خالد بن الوليد[١] . وقصة إسلام سليمان الفارسي[٢] وقصة إسلام ابن سفيان[٣] .

ثانيا : والنوع الثاني (في سبيل الإسلام) ، وهذا النوع يصور ماقدمه المسلمون الأوائل من بذل وعطاء في سبيل الدين الإسلامي فكانوا خير المجاهدين في سبيل دينهم وطبقوا ما دعا إليه من سلوك وقدوة بكل غال . فقد دعاهم إلى الهجرة فهاجروا مؤثرين العقيدة على مواطن الذكريات والحنين وانطلقوا إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وجاهدوا في سبيل الله ورسوله وانتصروا واستشهد الكثير منهم في سبيل الإسلام ، ومن هذا النوع قصة هجرة صهيب الرومي[٤] ، وقصة هجرة أم سلمة[٥] وقصة استشهاد خبيب بن عدي[٦] .

ثالثا : والنوع الثالث (قيم إسلامية عن واقعهم) وهذه المجموعة من القصص تعكس حياة الصحابة وتصور لنا كيف كانت ترجمة حية لمعاني الإسلام ومبادئه وقيمه وتوضح لنا سلوك المسلمين الأوائل ، وكيف وافق تعاليم الإسلام وما دعا إليه ومن أمثلة ذلك قصة عمر بن الخطاب مع المرأة صاحبة الأطفال الجياع حين

---

(١) البداية والنهاية ٤ : ٢٣٨ ، ٢٤٠ ـ الكامل لابن الأثير ط ١ ، ٢ : ١٥٥
(٢) السيرة النبوية ١ : ٢٢٨ ، ٢٣٥
(٣) السيرة النبوية ج ١
(٤) البداية ٣ : ١٧٣ ، ١٧٤
(٥) السيرة ٢ : ١١٢ ، ١١٣
(٦) حياة الصحابة : محمد يوسف ٢ : ٢٠ ، ٢١

كان يتفقد أحوال الرعية ليلا[١] وقصة القبطى الذى سابق ابن عمرو بن العاص[٢].

رابعا : والنوع الرابع يمكن أن يطلق عليه ابتلاء وإيمان وهو نوع من القصص التى تصور ما واجهه الصحابة فى حياتهم الإسلامية من ألوان الإبتلاء التى أراد الله بها أن يمتحن قلوبهم ويبلوهم أيهم أحسن عملا.. قال تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين[٣] » ، ومن أمثلة هذا النوع قصة الإفك العظيم التى ترويها السيدة عائشة رضى الله عنها فى حادثة الإفك[٤].. وقصة الأذى الذى نال أبا بكر حين قام خطيبا يدعو قريشا إلى الاسلام[٥] .

وهذه القصص التى تتحدث عن تجارب الصحابة الذاتية، ومعاناتهم وجهادهم فى سبيل الإسلام وسلوكهم النابع من قيم الإسلام ومبادئه .

هذه القصص تقدم لأطفالنا القدوة الحسنة والمثل الصالح .

عرف القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والصحابة رضوان الله عليهم أهمية القصة كوسيلة من وسائل التعليم والتربية والتهذيب والوعظ والإرشاد .. وعدت القصص الموجودة .. فى ذلك العصر مصدراً من أغنى مصادر القصة فى العصور التالية حتى العصر الحديث بالنسبة لأدب الكبار وأدب الأطفال على السواء .

---

(١) حياة الصحابة ٢ : ١٠٢
(٢) حياة الصحابة : محمد يوسف .
(٣) سورة العنكبوت آية ١ — ٣
(٤) السيرة ٣ : ٣١٠ ، ٣١٥
(٥) حياة الصحابة ١ : ٢٥٩ ، ٢٦٢

القصة في صدر الإسلام وعصر بني أمية:

وفي العصر الإسلامي الأول علم المسلمون الأوائل أطفالهم الإسلام ، وكانوا يوضحون لهم كيف انبثق هذا الدين الجديد كالفجر الصادق يبدد غشاوة الجهالة والوثنية ، وكانت الأمهات المسلمات تروي لصغارهن عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل وما عانوه من ظلم الكافرين المشركين، وكيف كانت عقيدتهم قوية فصبروا حتى الموت ، وتحكي لهم عن جزاء هؤلاء المسلمين الأوائل وما أعد لهم من جنات النعيم جزاء ما قدموا في سبيل الله ويسمع الصغار ، ويستمتعوا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وجهادهم في سبيل الله ويشتاقون إلى الدفاع عن الإسلام ، ويزداد حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدون به ويتحملون الكثير ، ويندس فريق منهم بين الكبار في حلقات المسلمين ليروا بطلهم العظيم رأى العين ويسمعوا منه[1] .

ثم هم يسمعون القرآن ويحفظونه ويتعلمون منه ويخرج المسلمون للجهاد في سبيل نشر دينهم ومحاربة أعدائهم وتكثر الغزوات وتكثر القصص التي تحدثهم عن نصر الله للمسلمين وبطولاتهم وشجاعتهم واستشهادهم في سبيل نصر دينهم دين الحق .

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الآباء والأمهات والمعلمون المسلمون يزودون الأطفال بقصص عن حياته وسيرته ومعجزاته وأخلاقه وجهاده وغزواته في سبيل الإسلام . . ثم يروون لهم قصصا عن بطولات المسلمين الأولين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسهموا معه في نشر دعوة الإسلام فمنهم من استشهد ومنهم من ظل يواصل العمل من أجل الله وفي سبيل نشر

(١) تاريخ التربية الإسلامية ص ٢٩ ج ١ .

الإسلام وبناء الأمة الإسلامية ، وبدأ القصاص يجلسون إلى الناس فى المساجد منـذ عهد عمر بن الخطاب يقصون قصص رسول الله وسيرته وأخبار الأمم السابقة . .

وكان تميم الدارى أول من قص فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وحين استأذن عمر فى أن يذكر الناس بالقصص أبى عليه أول الأمر .. ثم أذن له آخر خلافته بجلسة واحدة يوم الجمعة ، وبعد أن تولى عثمان بن عفان الخلافة أذن لتميم بجلستين كل أسبوع بالمسجد[١]، وتميم هذا كان نصرانياً من نصارى اليمن أسلم فى السنة التاسعة من الهجرة وقد ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال[٢] .

وكذلك كان أبو إسحاق كعب بن نافع[٣] من أهم منابع القصة فى ذلك الوقت ، وكان يهوديا يمنيا اعتنق الإسلام على عهد أبى بكر وعمر ، واستغل كعب معارفه الواسعة بالتوراة وأخبار ملوك اليمن السابقين ، وجعلهما مصدراً لقصصه فى الإسلام .

وكانت طريقة رواية هذه القصص أن يجلس القاص فى المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث ، وقصصاً عن الأمم الأخرى وأساطير ، ونحو ذلك ، وكان لا يعتمد على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب[٤] . . . بل الواضح أن القصاص قد أكثروا من الكذب حتى روى أن على بن أبى طالب طردهم من المساجد واستثنى الحسن البصرى لتحريه الصدق فى قوله[٥] .

---

(١) فجر الإسلام ص ١٩٠ .
(٢) الإصابة ١ : ١٩١ .
(٣) فجر الإسلام ص ١٥٩
(٤) فجر الإسلام ص ١٥٩
(٥) فجر الإسلام ص ١٦٠

وفى عصر بنى أمية عادت أخبار المعارك الجاهلية تقص من جديد ، وكان معاوية شغوفاً بالمسامرة ومعرفة أخبار الماضيين ، فاستدعى عبيد بن شريه الجرهمى[١] من صنعاء اليمن ، واتخذه سميراً يسأله عن أخبار الملوك السابقين ، وقد وضع له كتاباً فى أخبار اليمن وشعرائها وأنسابها ، وقد نشط القصص الدينى فى عصر بنى أمية نشاطاً ملفتاً ، ومن أقدم المنابع فى هذا النوع من القصص وهب بن منبه[٢] . وكان فارسى الأصل ، واشتهر بمعرفة أخبار أهل الكتاب وروى القصص والأساطير ، كما اشتهر كعب الأحبار أو كعب بن نافع برواية القصص والأساطير ، وكعب هذا يهودى من اليمن ، ومن أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين[٣] .

وقد اتخذت الفرق الإسلامية المنتشرة فى عهد بنى أمية من القصص الدينى وسيلة لتأييد اتجاهاتها ، وهذا يعنى أن القصص اتخذ أيضا كأداة سياسية .

والحقيقة التى يجب أن نعترف بها هى أن القصص فى عهد بنى أمية قد أدخل على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية ، كما كان بابا دخل منه على الحديث كذب كثير ، وأفسد التاريخ بما تسرب منه عن حكاية وقائع وحوادث مزيفة[٤] وليس كل قصاصى عهد بنى أمية كانوا على هذه الشاكلة . وإنما كان هناك نوع آخر مثل الحسن البصرى الذى كان يعتمد فى قصه على التذكير بالآخرة ، واستخراج العظة مما يقع حوله من حوادث . . وكان يجلس فى آخر المسجد بالبصرة وحوله الناس يسألونه فى الفقه وفى حوادث الفتن التى كانت فى عهده ويحدثهم بما صح من حديث ، ويقص عليهم فيعظهم ويذكرهم .

(١) فجر الإسلام ص ١٦٠
(٢) فجر الإسلام ص ١٦٠
(٣) فجر الإسلام ص ١٦٠
(٤) فجر الإسلام ص ١٦٠

وقد تعددت أنواع القصص فى هذا العهد ، فازدهر القصص الدينى والقصص التاريخى إلى جانب القصص الغرامى . . وقصص العذريين من الشعراء وأخبار استشهادهم فى سبيل من يحبون . . هذا إلى جانب القصص المنقول عن الأمم الأخرى ، وقصص الأساطير والخرافات ، ومن هذه القصص ما صلح للأطفال وروى لهم واستمتعوا به ، ولا بد أن هذه القصص كانت تروى بأسلوب بسيط خال من التعقيد حتى يناسب خيال الأطفال وقدراتهم العقلية ، وعلى الرغم من ذلك فإننا لم نجد آثاراً كتبت خصيصًا للأطفال ، وإنما دخلت قصص الأطفال ضمن الأدب العام ، واستمر تراث الأطفال داخل نطاق الأدب الشعبى .

الفصل الرابع

قصص الأطفال قبل العصر الحديث

زاد الاختلاط بين العرب والأمم الأخرى منذ العصر العباسي .. بل نستطيع بلا مبالغة أن نقرر أن زيادة هذا الاختلاط أدى إلى الامتزاج التام بين العرب وغيرهم ، ومن أهم أنواع الامتزاجات كان الامتزاج الثقافي وأكثر الأمم تأثيراً في الثقافة الإسلامية عامة . . والأدب العربي خاصة ، هي الأمة الفارسية . . وقد ساعد على انتشار الثقافة الفارسية أمران :

الأول : إنشاء منصب الوزارة وإسناده غالباً إلى الفرس ، وقد كان الوزير يقوم مقام الخليفة في كل الشئون . . فينظر في الأمور الحربية ، وفي الشئون المالية ، ويكتب الرسائل إلى الجهات المختلفة . . ويوقع على ما يرفع إليه من أوراق[1] ، وقد كان من الشروط التي ينبغي توافرها في الوزير أن يكون عالماً مطلعاً ، وكاتباً بليغاً . . حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير : إني التمست لأموري رجلا جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة . . له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، إن أحسن إليه شكر ، وإن ابتلى بالإساءة صبر . . لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه[2] .

وتاريخ الوزراء يدلنا على أن أكثر من اختير للوزارة لوحظ في اختيارهم

---

(١) ضحى الإسلام ١ : ١٦٦

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢١

الكفاية العلمية والبلاغة ، فأبو سلمة الخلال كان فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسير والجدل ، والبرامكة كانوا ذا مشاركة فى كثير من العلوم والآداب ، والفضل بن سهل كان يسمى ذا الرياستين لجمعه بين رياسة السيف ورياسة القلم . . . الخ[١] . . وكان لهؤلاء الوزراء أعوان يسمون الكتاب يساعدونهم فى أعمالهم . . وفى هذا العصر كثرت الكتب التى ترشد الكتاب إلى إجادة صناعتهم وتعميق ثقافتهم مثل كتاب (أدب الكاتب)[٢]، وكتاب (أدب الكتاب)[٣] ، وكتاب (الكتاب)[٤] ، وكتاب (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا)[٥] .

وقد أدى اتساع ثقافة هذه الطائفة إلى جعل الناس يتسمون فى تعريف الأدب ، فيقولون : أنه الأخذ من كل شىء بطرف ، وكان لهذا الإتساع فى تعريف الأدب أثره فى التأليف . . فقد كان أحد الأسباب التى أدت إلى

---

(١) ضحى الإسلام ١ : ١٦٧

(٢) تأليف ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ، وقد حمله على تأليفه إهمال طائفة من الكتاب اللغة وعنايتهم بالنظر فى النجوم والمنطق والفلسفة وهو خاص بما يلزم الكاتب من لغة ونحو وصرف وإملاء .

(٣) تأليف أبى بكر الصولى وقد أحس بتقصير أبى قتيبة فى بعض الأمور فلجأ إلى إكمال النقص وتكلم فى حسن الخط وقبحه والدواة والقلم وترتيب الكتاب وطيه والدعاء فى المكاتبات والدواوين وتحويلها إلى العربية ووجوه الأموال التى تحمل إلى بيت المال وشىء من قواعد الإملاء وفى الدواوين وتحويلها إلى العربية .

(٤) ابن درستويه ت ٣٤٦ هـ أكثر الكتاب فى قواعد الإملاء .

(٥) القلقشندى ، تعرض لكل المعلومات البشرية فى عصره من تاريخ وجغرافيا وفلك وما يحتاجه الكاتب من خط ونحوه ومصطلح المكاتبات وكيفية العقود والبريد .

فوضى الكتب الأدبية كالبيان والتبيين(١)، والكامل(٢)، وعيون الأخبار(٣).. فقد جعلوا همهم فيها جمع كل ما يفيد .

أما السبب الثانى : فى انتشار الثقافة الفارسية فهو انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى العراق التى كانت تحتضن حضارات الممالك القديمة مثل بابل والمدائن ثم أصبحت بغداد التى ابتنيت فى العراق لتكون عاصمة الخلافة العباسية أهم مراكز للحضارة والثقافة فى الممالك الإسلامية .. فقد حوت ثقافات الأمم المختلفة التى تداولت على العراق وخلفت مدنيتها وثقافتها .. وكانت مدنية الفرس غالبة عليه لأن آخر من حكمه قبل الإسلام هم الساسانيون من الفرس .. وظل فى أيديهم زمنا طويلا إلى أن استولى عليه المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب .. وهذا مما أدى إلى اصطباغ العراق بالصبغة الفارسية .

وقد أثرت الثقافة الفارسية فى الثقافة العربية عن طريق انتقال الألفاظ الفارسية ، التى تعبر عن معانى الحضارة والمدنية إلى اللغة العربية .

وعن طريق العلم والأدب والأساطير والتاريخ الفارسى الذى انتقل إلى العرب بواسطة من أجاد اللسانين العربى والفارسى أمثال ابن المقفع وغيره من مثقفى الفرس ، كما انتقلت أفكار وآراء الفرس وعاداتهم وتقاليدهم إلى الأدب العربى شعره ونثره عن طريق الأدباء الفرس الذين أجادوا اللغة العربية كأبى العتاهية وبشار بن برد وأبى نواس وغيرهم .. ووجوه تأثير الثقافة الفارسية فى الثقافة العربية واسعة متشعبة إلا أن المقام يضيق عن ذكرها ..

---

(١) الجاحظ ولد حوالى ١٥٩ وتوفى ٢٥٥ هـ .

(٢) المبرد : محمد بن يزيد الأزدى النحوى اللغوى الأديب ولد بالبصرة ٢١٠ هـ وتوفى ٢٨٥ هـ .

(٣) ابن قتيبة .

وأهم ما نعنى به فى بحثنا هو القصص التى نقلت من الفارسية إلى العربية ككليلة ودمنة . . وهزار أفسانه (أو الألف خرافة) ، ألف ليلة وليلة ، وكتاب خرافة ونزاهة ، وكتاب الدب والثعلب ، وكتاب روزبه اليتيم ، وكتاب نمرود إلى غير ذلك من القصص التى بنت عليها الأجيال المتعاقبة ما بين أيدينا من قصص عربى[١] .

ومن أهم القصص الفارسية قصص كليلة ودمنة وهى قصص تصلح للكبار كما أنها تصلح للصغار . . فالصغار ينشدون منها المتعة والتسلية . . وهى تعلمهم بأنواع متعددة من الحيوانات التى يعشقونها . . كما أنها تفتح أذهانهم وتنمى ذكاءهم . . ولها إلى جانب ذلك أكبر الأثر فى تهذيب الطباع وتعليم القيم . . يقول الأستاذ جورجى زيدان[٢] عن كتاب (كليلة ودمنة) وهو كتاب فى إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندى إسمه بيدبا لملك من ملوك الهند إسمه ديشليم ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الأسكندرية وطغى وبغى فأراد بيدبا إصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح على ألسنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة فى عصورهم القديمة . . فإنهم كانوا يروون الحكمة على ألسنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الأرواح[٣] . . وترجع موضوعات النصح فى هذا الكتاب إلى ما يحتاج الناس إليه فى معاملاتهم .

ويقول عنه الأستاذ السباعى بيومى[٤] (وقد شغل هذا الكتاب مكانة

---

(١) ضحى الإسلام ١ : ١٧٩
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١/١٣٣ ، ١٣٤
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١
(٤) تاريخ القصة والنقد فى الأدب العربى ٢٥ ، ٢٦

عظيمة فى عالم القصص الحيوانى وفتح أمام الكتاب مجالا للخيالات شرقا وغربا وهو فوق اشتماله على القصص الجميلة ، المخترعة ذات الخيال الرائع والتشبيهات المركبة والاستعارات التمثيلية التى تنسجم مع هذا الخيال .. فقد اشتمل فى ثناياه ذلك على أمور زادت من قيمته ورفعت من شأنه منها : تصوير النظم فى الحكومات المطلقة وتبيين طبائع الاستبداد ، إيراد كثير من الحكم وضرب الأمثال فى كثير من نواحى السياسة والاجتماع ، تحليل ظواهر النفس الإنسانية من شعور وتفكير وإرادة ، تبيين الطبائع والغرائز لكثير من البهائم والسباع والطيور والحشرات إلى غير ذلك .. مما أورده فى ضروب من التعابير المحكمة المستوفية بشرائط الفصاحة والبلاغة فى كل ما توخاه ، ثم هذا الكتاب لوضعه على ألسنة الحيوان قد جاء يلائم الأحداث كما يلائم الكبار إذ ظاهره ممتع وقصص لذيذ . . وباطنه حكمة مقنعة وعظة بالغة ولهذين نشط لهؤلاء وهؤلاء) ويذكر الأستاذ أحمد أمين أن أصل هذه القصص هندى ترجم إلى الفهلوية فى عهد كسرى أنوشروان[١] ثم ترجمها ابن المقفع إلى العربية وزاد عليها بعض القصص التى تهدف إلى الإصلاح الإجتماعى وهو يتبع أسلوب النصيحة فى قصصه ويوضح أن هناك جزاء طبيعيا من نوع العمل فعاقبة الخير دائما خير وعاقبة الشر هو الشر ، وهو ينصح بأخذ الحذر من العدو والاعتماد على الصديق ..

وترجمة ابن المقفع لكليلة ودمنة ترجمة غير حرفية .. وقد أثرت كليلة ودمنة فى القصص العربى تأثيرا واسعا فأدت إلى اتساع هذا النوع الذى يروى على لسان الحيوان وانتشاره . . فقد حذا حذوه كثيرون منهم ابان بن عبد الحميد اللاحقى الذى نظم هذه القصص شعرا . . وكان له الفضل الأكبر فى إشاعة

---

(١) ضحى الإسلام ١ : ١١٧

القصص على لسان الحيوان فى العصر العباسى . . وقد نظمها فى أربعة عشر ألف بيت واستهلها بقوله :

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الذى يدعى كليلة دمنه
فيه دلالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهنـد
فوصفوا آداب كل عالم حكاية على السن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ لذ على اللسان عند اللفظ (١)

ويقول فى باب الأسد والثور :

وإن من كان دنىء النفس يرضى من الأرفع بالأخص
كمثل الكلب الشقى البائس يفرح بالعظم العتيق اليابس
وإن أهل الفضل لا يرضيهم شىء إذا ما كان لا يغنيهم
كالأسد الذى يصيد الأرنبا ثم ير العير الجد هربا (٢)

وأقدم من نظم هذا الكتاب فى العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسى من خدم المنصور العباسى وابنه المهدى ، كما ألف سهل بن هارون كتابه ثعله وعفراء ، والنمر والثعلب (٣) وقد أشاد المسعودى (٤) بكتاب ثعله وعفراء ، وقال أنه يزيد عن كليلة ودمنة بحسن نظمه ، وقد اتخذ من الحيوان وسيلة للعظة والتربية الإجتماعية والسياسية بما يفصل من الكلام وضرب الأمثال والحكم . .

(١) قصص الحيوان فى الأدب العربى ، الأوراق قسم أخبار الشعراء ص ٤٦ .
(٢) قصص الحيوان فى الأدب العربى ، الأوراق (قسم أخبار الشعراء) .
(٣) العصر العباسى الأول : شوقى ضيف .
(٤) التنبيه والإشراف ط ليدن .

ولم يبق من كتاب ثعلة وعفراء سوى هذه النصيحة (اجعلوا آداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذى تجدون به من تفضلكم فإن تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة وتقصير الرؤية مضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس فى نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيضة).

ويذكر صاحب زهر الآداب[1] كما يذكر غيره أن هذا الكتاب مملوء حكما وعلما . ونظم كليلة ودمنة ابن الهبارية[2] . . فى كتابه نتائج الفطنة وكتاب الصادح والباغم ويستهل كتابه الأخير بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ويقول :

هذا كتاب فيه علم وأدب يفوق أنواع القريض والخطب
عملته لسيد الملوك وموئل الملهوف والصعلوك
فجاء مثل الذهب المسبوك سلكت نهجا ليس بالسلوك
وضعته مخترعا معناه لملك ما خاب رجاه

ويذكر ابن الهباريه بعد التقديم ومدح الملك مناظرة بين هندى وفارسى استمع إليها فى أحد أسفاره وفيها يفتخر كل بوطنه . . أما الهندى فافتخر باختراع بلاده للشطرنج ، ووضعها لكليلة ودمنة وأما الفارسى فافتخر باختراع بلاده للنرد وتتوالى القصص وهى تشبه كليلة ودمنة فى جريانها على ألسنة الحيوان والطير ونقرأ قصة الناسك واللص الفاتك والبعير والجمال والتاجر والذئب والغزالة إلى غير ذلك من القصص التعليمية التى أراد بها ابن الهباريه العظة والعبرة وهو يختم ديوانه بقوله :

---

(١) الحصرى القيروانى : زهر الآداب ٢ : ٢٥٧ - ٢٥٩
(٢) أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح .

هذا كتاب حسن تحار فيه الفطن
أنفقت فيه مدة عشر سنين عدة
بيوته ألفان جميعها معان [١]

وألف ابن ظفر ت ٥٩٨ كتاب سلوان المطاع فى عدوان الطباع ، كما ألف ابن عربشاه كتاب فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء .

ويذكر صاحب كشف الظنون أن أبا العلا المعرى ألف كتابا إسمه القائف على مثال كليلة ودمنة وهو فى ستين كراسة ولم يتم . . وأن له كتاب منار القائف يتضمن تفسيره فى عشرة كواريس وفى رسائل إخوان الصفا رسالة بين الحيوان والإنسان لا تخلو من لون كليلة ودمنة [٢] .

ويذكر الأستاذ أحمد أمين أن كتاب كليله ودمنة قد أدخل على الأدب العربى القصص على ألسنة الحيوان[٣] .

والحقيقة أن هذا النوع كان معروفا فى أمثال العرب منذ العصر الجاهلى . . كما أنه ورد فى القرآن الكريم فى صورة النمل (قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم)[٤] وقال الهدهد (أحطت بما لم تحط به)[٥] . . وما يمكن أن نقوله أن كليلة ودمنة قد زادت من هذا اللون وأطالت قصصه وأشاعته . .

ومن القصص الفارسية التى نقلت إلى الأدب العربى وكان لها أكبر الأثر فى قصص الكبار والناشئة كتاب (ألف ليلة وليلة) ذكر المسعودى قال (وقد ذكر كثير من الناس أن هذه أخبار موضوعة فى خرافات مصنوعة

---

(١) كشف الظنون ج ٢
(٢) كشف الظنون ج ٢
(٣) ضحى الإسلام ١٢٢
(٤) سورة النمل آية ١٨
(٥) سورة النمل آية ٢٢

نظمها من تقرب للملوك بروايتها . . وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا عن الفارسية والهندية والرومية . . والناس يسمون هذا الكتاب « ألف ليلة وليلة » ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد وديناز زاد[1] .

وجاء بعده ابن النديم البغدادى صاحب الفهرست فقال : (أصل وضع كتاب هزار أفسانه هذا فى الفارسية أن ملكا من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية .. يقال لها شهر زاد ، فلما حملت منه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة ورزقت منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال إليها واستبقاها)[2] .

فهذا الكتاب نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع الهجرى[3] .. ثم أضيف عليه وغير وبدل حتى صار كما صار إلينا .. ومن يطلع عليه يجد فيه قصصا يدل أسلوبها وألفاظها وبعض ما حوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عدة كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم ، ولا يعلل ذلك إلا بتوسيع القصة الأصلية المنقولة عن الفارسية بإضافة قصص وأسماء كانت شائعة بين الناس مما وضعوه أو نقلوه عن سواهم ، ويرجح الأستاذ جورجى زيدان أن تأليفها على الصورة التى وصلت إلينا إنما تم بعد القرن العاشر الهجرى[4] .

وأكثر تلك الزيادات حدثت فى مصر وقد بعدت القصة بعد هذه الزيادات عن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢
(٢) الفهرست لابن النديم .
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية .

أصلها بعداً عظيما حتى ليمكننا أن نقول أن ألف ليلة وليلة من مؤلفات العرب وإن كان بعضها لا يزال على أصله الفارسى .

فقصص ألف ليلة وليلة من القصص التى تجمعت بتوالى الأجيال مما ترجم أو وضع ابتداء منذ القرن الرابع الهجرى ؛ وتمتد بعد ذلك لقرون طويلة ، وهى كما وصلت إلينا تمثل الآداب الإجتماعية فى القرون الإسلامية الوسطى؛ ويدخل فى ذلك الانهماك فى الملذات والتهتك وقد وصفت المرأة فيها وصفاً يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفى أدبها ، وفى الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال وسواء أكان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعته العرب فإنه يدل على طبيعة تلك العصور ، وقد تولد بالنمو التدريجى لميل الإنسان من فطرته إلى أساليب المبالغة . على نحو ما نرى من أخبار السندباد البحرى وغرائب ما شاهده من الأسماك الكبيرة الحجم التى يبلغ طولها مئات الأذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير، والوادى الذى حجارته من الماس . ويعج بالأفاعى عجيجاً ، وجبل القرود والثعابين التى تأكل الآدميين وطير الرخ الذى يشبع من فرخة الصغير عشرات من الناس وإذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها ونحو ذلك مما يخالف المألوف[1] .

ويتخلل حكايات ألف ليلة وليلة قصصاً قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجود أو الحلم أو الوفاء كقصة حاتم الطائى بعد موته أو قصص معن بن زائدة ، ويحيى البرمكى وابنه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدى ، وإسحاق الموصلى وعكرمة والرشيد والمأمون وغيرهم، وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر فى العواقب ومعظمها كانت قصصاً مستقلة وأدخلت على ألف ليلة وليلة

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ٢٩٩ .

بمرور الزمن ، كما أن بعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ ، وفيها خرافات على ألسنة البهائم[١] .

وعلى ذلك فهى مجموعة قصص مختلفة فى خصائص الموضوعات ونوعيتها وأساليبها وهى لا تبقى على حال واحد ، وإنما يزاد عليها بمرور العصور . . وقد طبعت مراراً ونقلت إلى أكثر لغات أوربا وقد احتذى طريقتها العرب والعجم على السواء .

والثقافة الثانية : التى كان لها كبير الأثر فى الأدب العربى عامة . وفى القصة خاصة هى الثقافة الهندية ، وقد أثر الهنود فى الثقافة العربية من ناحيتين : أولهما : ناحية مباشرة وذلك عن طريق اتصال المسلمين أنفسهم بالهند عن طريق التجارة والفتح العربى . .

وثانيهما : ناحية غير مباشرة وذلك عن طريق نقل الثقافة الهندية بوساطة الفرس ، وقد اتصل الفرس بالهنود اتصالا وثيقاً وأثروا فيهم وتأثروا بهم ، وأخذوا كثيراً من الثقافة الهندية ، وأدمجوها فى ثقافتهم فلما نقلت الثقافة الفارسية إلى العربية كان معنى ذلك نقل جزء من الثقافة الهندية فى ثناياها ، وقد أولع العرب بالقصص الهندى من أمثال قصة السندباد وهى هندية الأصل نقلت إلى العربية . . قال ابن النديم (وكتاب سندباد نسختان كبيرة وصغيرة .. والخلف فيه مثل الخلف فى كليلة ودمنة ، والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنعته)[٢] .

وقد عدد صاحب الفهرست كتباً صغيرة للهند فى الخرافات والأسمار والأحاديث منها كليلة ودمنة والسندباد الكبير والسندباد الصغير وكتاب هابل فى الحكمة

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : جورجى زيدان ٢ : ٣٠٠ .
(٢) الفهرست .

وكتاب الهند فى قصة هبوط آدم وكتاب ديك الهند فى الرجل والمرأة .. وكتاب حدود منطق الهند وكتاب ملك القتال والسباح . . وكتاب شاناق فى التدبير ، وكتاب بيدبا فى الحكمة)[١] . ويذكر الأستاذ أحمد أمين أن فى كتاب ألف ليلة وليلة قصصا هندية[٢] إلى جانب القصص القصيرة التى نشرت فى الكتب العربية مما نقل عن الهند .

وثالث الثقافات أهمية بالنسبة للأدب العربى والقصص العربى خاصة هى الثقافة اليونانية الرومانية ، والحق أن تأثير الأدب اليونانى يعد أقل تأثير فى الأدب العربى وذلك لعدة أسباب أهمها وثنية الأدب اليونانى واشتماله على آلهة متعددة والذوق العربى لا يستسيغ هذا اللون ، كذلك من المعروف أن الأدب ظل الحياة الاجتماعية ومرآتها التى تعكس حقيقتها وتميزها من غيرها من الأمم وما يوافق اليونان ويلائم حياتهم لا يلائم طبيعة العرب وحياتهم ..

ومع ذلك فقد ترجم القليل من القصص اليونانية إلى اللغة العربية ونقل ابن النديم أسماء كتب للروم فى الأسمار والتاريخ ترجمت إلى العربية[٣] .. وحكى الجاحظ فى كتاب الحيوان قال (كان فى اليونانيين ممرور له نوادر عجيبة وكان يسمى ربسموس والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة ما من نادرة إلا وهى غرة وعين من عيون النوادر)[٤] .

وقد أعجب العرب ببعض قصص وأمثال اليونان دون غيرهما من الأدب اليونانى وذلك لأن هذين النوعين قد جردا مما يلابسهما من حياة اجتماعية خاصة وليس فيهما أسماء يونانية ثقيلة على سمع العربى ولسانه وليس فيهما أوزان شعرية لا يستسيغها العربى ولا فيهما حياة اجتماعية بعيدة عما يألفه المسلم .

---

(١) الفهرست .

(٢) ضحى الإسلام ١ : ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٣) الفهرست ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٤) الحيوان ١ : ١٤٠

وإذن فقد نقل تراث هذه الأمم إلى العرب وكان نقله إما عن طريق الترجمة أو عن طريق أهل هذه الأمم أنفسهم من مثقفين وجوار ورقيق خاصة وأن الرقيق الذين يقومون على خدمة العرب وتربية أطفالهم قد كثروا كثرة مفرطة فى هذا العصر.. هذا بالإضافة إلى أن العرب كانوا قد اتخذوا من الأعاجم السرارى والزوجات فمن الطبيعى بعد كل الذى كان أن ينتقل تراث هذه الأمم من القصص إلى العرب ويؤثر فى أدبهم .

فالنوع الأول من قصص هذا العصر دخيل لأنه نقل عن الأمم الأخرى وإن كان العرب قد زادوا فيه كثيرا وأضافوا إليه من ذوات أنفسهم . .

وإلى جانب هذا النوع وجدت القصص التى ألفها العرب وقد كثر التأليف القصصى فى هذا العهد فوجدنا الجاحظ يخصص كتابه (البخلاء) لقصص البخلاء من المعتزلة ونوادرهم(١) .. هذا إلى جانب القصص التى نثرها فى كتبه الأخرى مثل كتاب البيان والتبيين والحيوان .

وأكثر هذه القصص تدور حول محور واحد أو حادثة واحدة ومنها ما يتسم بالطابع الاجتماعى كما أن منها ما يغلب عليه الناحية الثقافية مثل رسالة التربيع والتدوير، والجاحظ فى قصصه يخلط الجد بالهزل كما أنه لا يبارى فى وصف الحركات الجسدية والمشاعر النفسية(٢) .

ومن أنواع القصص الأصيلة فى هذا العصر المقامات، والمقامة كانت تستعمل فى الأصل بمعنى المجلس ثم أطلقت على ما يحكى فى جلسة من الجلسات على شكل حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامى وتشتمل على مغامرات يرويها راو عن

(١) البخلاء : الجاحظ .
(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع .

بطل يقوم بها ، وقد يكون البطل شجاعاً يقتحم أخطاراً وينتصر فيها أو قد يكون ناقداً اجتماعياً أو سياسياً أو قد يكون فقيهاً في مسائل اللغة أو الأدب أو الدين، ولكنه غالباً متسول بارع ماكر ولوع بالملذات يحتال للحصول على المال ممن يخدعهم، ثم هو دائماً أديب جيد الأسلوب . وفي المقامات وصف للعادات والتقاليد التي كانت تسود الطبقة الوسطى والدنيا في كثير من المجتمعات الإسلامية في هذا العصر ومابعده .. وأول من نسب إليه اختراع المقامات هو بديع الزمان الهمذاني ت سنة ٣٩٨هـ .. وقد قيل أنه تأثر بأكثر من أديب معاصر له وأن ابن دريد قد سبقه إلى هذا النوع ، كما قيل عن تأثره بالشاعر أبي دلف الخزرجي الينبوعي مسعر بن مهلهل، وهو معاصر أيضا لبديع الزمان الهمذاني، وقد كان مثال الجوال جواب الآفاق المحتال على كسب الرزق بالأدب والشعر والحيل الأخرى الكثيرة التي تنبو عن الخلق الكريم ، وكان بديع الزمان يعجب به ويحسن إليه ويحفظ من شعره وقد ضمن مقاماته بعض شعره مثل :

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور
لا تلتزم حالة ، ولكن در بالليالي حيث تدور[1]

فالمقامة نوع من أنواع القصص وهي تشبه القصة القصيرة في أركانها وأصولها واعتمادها على حادثة واحدة ، (وقد وافق هذا الفن السليقة العربية التي تميل إلى القصص القصيرة إلى جانب الزخرف في الإنشاء)[2] .

والأدب العربي كما أخذ في جنس القصة فقد أعطى .. وكما أثرت فيه الآداب الأجنبية فقد أثر فيها وهذه طبيعة الآداب تتغذى على ما تستعيره من بعضها لتثرى وتنتشر وتتسع .

(١) يتيمة الدهر جـ ٣ المقامة القريضية .
(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري .

والمقامات العربية أثرت فى الأدب الفارسى فقد أشار بروكلمان إلى أن فن المقامات انتقل بفضل بديع الزمان إلى اللغة الفارسية وأشهر أصحاب المقامات فى فى الأدب الفارسى القاضى حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخى ت سنة ٥٩٩ ومقاماته تحتوى على مناظرات مختلفة بين الشباب والشيخوخة وبين أهل السنة والشيعة وبين الطبيب والمنجم ، وفيها وصف للربيع والخريف والحب والجنون ، كما أن بها مناقشات فقهية وصوفية ، وهى كالمقامات العربية تصاغ فى قوالب فنية .. وأشار بروكلمان إلى أن هذا الفن دخل اللغة العبرية بفضل اليهودى الربانى يهودا ابن سلوموا الحريزى الذى ترجم مقامات الحريرى إلى العبرية وأنشأ على نمطها خمسين مقامة سماها (سفر تحكمونى) أى كتاب الحكمة وضمنها كثيراً من آيات القرآن[١] كما دخل هذا الفن أيضاً إلى اللغة السريانية من مدينة نصيبين خمسين قصيدة على نمط مقامات الحريرى ضمنها جملة من العظات والأخلاق فى لغة مثقلة بالزخارف والتهاويل[٢] .

كما انتشرت الرسائل فى هذا العصر وهى نوع أدبى على غرار القصة مثل رسالة التوابع والزوابع للشاعر الكاتب الأندلسى أبى عامر أحمد بن شهيد ت سنة ٤٢٦ هـ وهى رحلة خيالية فى عالم الجن يحكى فيها مؤلفها كيف التقى بشياطين الشعراء السابقين من توابع أى ما يتبع الإنسان من الجن وزوابع وهو اسم شيطان أو رئيس الجن وتجرى بينه وبينهم مناظرات ومساجلات أدبية .. وكذلك بينه وبين ما يجده عن مخلوقات فى عالمهم وهو ينتصر دائماً فى هذه المساجلات الأدبية وفكرة شياطين الشعر قديمة فى الأدب العربى وهى الرمز الأسطورى للالهام .. وقدموت بنا أمثلة لذلك .. ومن أمثلة الرسائل رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ت سنة ٤٤٩ هـ وفيها كثير من الحكايات العارضة .

(١) دائرة المعارف الإسلامية .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة المقامات .

ومن القصص العربية قصة (حى بن يقظان) وهى من القصص الفلسفى وقد تداولها أكثر من فيلسوف مثل ابن سينا ت سنة ٤٢٨هـ ، وابن طفيل ت سنة ٥٨١ هـ ، كما تناولها غيرهما ، وقصة (حى بن يقظان) لابن طفيل هى أكثر هذه القصص جودة ، (حى) يقصد به العقل أو النفس الماسكية المفكرة ، وهذا العقل حى دائما غير متغير لا يهرم أبدا ، وابن يقظان كناية عن صدوره عن القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم (١) . والبطل هو حى نشأ فى جزيرة منعزلة وكان من الذكاء بحيث استطاع أن يقوم بحاجات نفسه كما استطاع أن يصل إلى معرفة الله ثم التقى برجل من جزيرة مجاورة إسمه أبسال فعلمه الكلام ، واكتشف أبسال أن ما وصل إليه حى من عقيدة هو نفسه الدين الذى يؤمن به فطلب منه أن يكشف لأهل الجزيرة المجاورة ، وما وصل إليه الحقائق العليا غير أنه لم ينجح فى ذلك ، ووجد حى وأبسال نفسيهما مضطرين آخر الأمر إلى الإعتراف بأن الحقيقة الخالصة لم تخلق للعوام لأنهم مكبلون بأغلال الحواس وعادا إلى الجزيرة المهجورة . .

والقصة ذات الطابع رمزى تقوم على محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين وعلى بيان أن التأمل المحض والإيمان الحقيق طريقان يؤديان إلى نتيجة واحدة هى الاتصال الوثيق بالله والاتحاد به وهى توضح أيضا أن حياة الروح السامية لم تخلق من البشر أما العامة فيكفيهم إيمانهم الساذج البسيط والأخذ بمظاهر الدين وطقوسه وشكلياته (٢) .

وما نود قوله أن فن القصة انتشرت انتشارا واسعا فى العصر العباسى وظهرت آثار قصصية كثيرة مدونة فى كتب هذا العصر سواء أكانت

---

(١) الأدب المقارن ٢٢٣ .
(٢) القصة القصيرة : يوسف الشارونى ص ٤٧

منقولة من الأمم الأخرى ثم أعاد العرب صياغتها وأضافوا إليها ، أو كانت قصصا عربية أصيلة تصور بيئتهم والأحداث التى عاشوها وحروبهم وحياتهم ومعتقداتهم . كذلك تنوعت أنواع القصص فى هذا العصر بين قصص طويلة وقصص قصيرة ، كما تعددت موضوعاتها . . فقد تكون القصة تعليمية تهذيبية أو فكاهية أو تاريخية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية أو تحمل غرضا فلسفيا أو رمزيا . كما أنها قد تكون خيالية أو واقعية .

ومن الكتاب الذين أوردوا فى مؤلفاتهم أقاصيص مسلية المحسن التنوخى(١) وقد ترك لنا كتابين من أروع ما كتب فى الأدب العربى هما كتاب (الفرج بعد الشدة) وكتاب (نشوار المحاضرة) والكتاب الأخير ملىء بالقصص الخصبة الخيال والأسمار الطريفة والفكاهات المرحة ويشتمل على الكثير من أخبار الملوك والكتاب والوزراء والقدماء والظرفاء والأغنياء والشطار وقطاع الطرق إلى غير ذلك من الموضوعات التى كانت ولا زالت الأساس الثابت لما يروى من قصص وحكايات تشد الأسماع إليها وبخاصة أسماع الصغار(٢) .

والحقيقة أن الأطفال كان لهم نصيب كبير من قصص العصر العباسى تمثلت فى القصص الفكاهية والتاريخية والدينية إلى جانب تراث ضخم من القصص التى رويت على ألسنة الحيوانات والبهائم تلك القصص التى اتسعت معرفة العرب بها كنتيجة لترجمة كليلة ودمنة إلى العربية وما نسجه العرب على منوالها يضاف إلى ذلك قصص ألف ليلة وليلة التى اختلطت فيها الخرافات بالأساطير والحقيقة بالخيال .

والدارس لتاريخ العصر العباسى يعرف أنه عصر التطور والإزدهار للفنون

---

(١) ولد بالبصرة سنة ٣٢٩ . ت ببغداد سنة ٣٨٤ هـ .
(٢) الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية ص ٦٢٥ .

والآداب والعلوم الدينية وغير الدينية . وقد دونت فيه كل العلوم والمعارف وألوان الثقافات . وهذه النهضة الواسعة والرقى العظيم كان من أسبابها العناية بتعليم الناشئة وتثقيفهم وقد كثرت الكتاتيب وفتحت المدارس لتعليم الناشئة من الصبيان والبنات وأنشئت المكتبات العامة واستمر علماء هذا العصر يسيرون على هدى الإسلام واقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العناية بالنشء وتعليمهم ومن أمثال من حثوا على تعليم النشء جماعة إخوان الصفا.. والإمام الغزالى وغيرهم وفى القرن الرابع الهجرى كان برنامج تعليم الناشئة كالتالى :

(٢) يذهب الصبى مبكرا إلى الكتاب فيبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم يتعلم الكتابة وعند الظهر يعود إلى المنزل لتناول الغذاء ثم يرجع بعد الظهر ويظل حتى آخر النهار . وكانت بطالة الصبيان تبدأ من ظهر يوم الخميس وسحابة يوم الجمعة ثم يعودون فى صباح السبت ، وكان الطفل يذهب للتعليم وسنه قريبة من السابعة ثم يقضى ما يقرب من ثلاث سنوات أو أربع سنوات فى استظهار القرآن الكريم والوقوف على أصول الدين وتعلم بعض مبادىء اللغة والشعر . وبعد ذلك ينتقل إلى المدارس ، أما منهج المرحلة التالية فكان يشتمل على القرآن والتفسير والفقه والنحو والأدب والشعر وقصص الأنبياء والحساب والهندسة والتاريخ والحديث . . وقد فطن القدماء إلى تأثير الأدب على الناشىء فدعوا إلى تعليمه عن طريق القصص وفنون الأدب الأخرى ووجهوا عناية خاصة إلى التربية عن طريق القصص الدينى .

وقد حاول العلماء اختيار الطرق المناسبة والملائمة لسن الطفل وميوله واستعداداته ومن ذلك على سبيل المثال .. قاعدة السير من المحسوس إلى المعقول

---

(١) التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها ص ٢٣ .

يقول جماعة إخوان الصفا .. ينبغى لمن يريد النظر فى مبادىء الموجودات ليعرفها على حقيقتها أن يقدم أولا النظر فى مبادىء الأمور المعقولة لأن معرفة الأمور المحسوسة أقرب إلى أفهام المبتدئين(١). كما اهتموا بالفائدة التى تعود على التلميذ من ضرب الأمثلة . . وقد طبقوا هذا المبدأ على رسائلهم . .

وقد اهتموا باختلاف الطبع والاستعداد فرأوا أن قبول الصبيان للتعليم يختلف بحسب طباعهم المختلفة . وقد فطن هؤلاء الأئمة إلى أن شروط التفكير الصحيح أن تكون معانى الألفاظ واضحة محدودة فى الذهن وانتباهه ضيق المجال.. والمعلم هو الذى يساعده على ربط الأشياء ببعضها البعض وعلى فهم مالا يعلم فى ضوء ما يعلم . .

وقد كان لكل ذلك تأثيره على الطفل فى العصر العباسى وعلى نمو إدراكه واتساع قدراته وتمتعه بالقصص الموجودة فى ذلك العصر التى تعددت أنواعها وألوانها واستقت مصادر عربية وإسلامية وأجنبية . .

القصة بعد العصر العباسى .

وقد وجدت أنواع أخرى من القصص فى الأدب بعد العصر العباسى كالسير الشعبية والسيرة هى ذلك النوع من الأدب الذى يتناول التعريف بحياة شخص أو أكثر يطول أو يقصر ويتعمق أو يبدو على السطح ، تبعا لحالة العصر الذى كتبت فيه السيرة وتبعا لثقافة كاتبها . . ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة من جميع المعارف والمعلومات التى تجمعت لديه عن صاحب السيرة ، وقد جرت العادة أن يطلق على السيرة اسم الترجمة حين لا تكون طويلة . .

---

(١) التربية عند العرب ص ٤٢ .

فإذا طالت واتسعت فهى السيرة[1] . . ويعد فن السيرة من أنواع القصة وهى تجمع بين التحرى التاريخى والإمتاع القصصى ، والسيرة منها ما هو عام يتناول أشخاصا متعددين ومنها ما هو خاص وهو الذى يتناول شخصا واحدا كالسيرة النبوية لابن هشام .

وهذا الفن قديم فى الأدب العربى شعره ونثره . . وما زال موجودا حتى عصرنا الحاضر فى أدب الكبار والصغار على السواء .

وقد وجدت السير الشعبية فى الأدب العربى ويرجع تأليفها إلى القرن الثانى عشر الميلادى ومن أمثلتها سيرة عنترة بن شداد وكان الشعب العربى معنيا بهذه السيرة يروى قصص بطولة عنترة بن شداد شاعر الجاهلية وفارسها . . وعلى الرغم من أنه عاش فى الجاهلية إلا أن صورته تشكلت بعد الإسلام بشكل جديد بحيث أصبح رمزاً للبطولة الإسلامية ، وإذا كانت القضايا التى كان عنترة يصارع من أجلها ترتبط كل الارتباط بمجتمعه الجاهلى القبلى مثل قضية اعتراف أبيه ببنوته حيث إنه ولد من أمة حبشية وما ترتب على ذلك من استحالة زواجه من ابنة عمه عبلة ، ثم قضية لونه حيث إن المجتمع كان ينظر إلى السود بوصفهم عبيداً ، وقد اكتسبت هذه القضايا طابع الشمول بحيث يمكن أن تكون قضايا إنسانية عامة يدافع عنها الدين الإسلامى .

ومع ذلك فقد ظل عنترة فى السيرة بطلا يعيش فى العصر الجاهلى ولكن الراوى جعل إنجازاته مهاداً للدعوة الإسلامية وتتمثل هذه الإنجازات فى نشر الوعى بالحق والعدل من ناحية وفى إزالة العقد والمتناقضات من ناحية أخرى فلما

---

(١) التراجم والسير لجنة من أدباء الأقطار العربية ، دائرة المعارف الاسلامية مادة سيرة .

فلما حقق عنترة هذا على مستوى قبيلته تجاوزت إنجازاته البطولية المكان المحدود إلى المكان الأرحب ، وهو ممتط على الدوام صهوة جواده السحرى ، وقد استطاع بذلك أن يحارب الأقوام الذى كان يخشى على الدعوة الإسلامية كفرهم وعنادهم(١) ، وقد تأثر الأوربيون بهذه السيرة لأنها تلائم قضايا الرومانتيكيين لذا فقد ترجمت إلى الآداب الأوربية ترجمات عديدة(٢) .

ومن السير التى عرفت خلال ذلك العهد سيرة ذات الهمة وهى تمثل فترة أخرى من التاريخ العربى الإسلامى منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وهذه الفترة تمثل بدء حكم الدولة العباسية .. وقد بدأت مظاهر التحول الخطيرة فى المجتمع الإسلامى تأخذ مجالها تدريجياً وكان ذلك بسبب تدخل العناصر الغربية فى المجتمع العربى وما ترتب على ذلك من ازدهار الحياة وتحضرها ، وأخذ دور العربى فى هذه الحياة يتضاءل أمام الأجناس الأخرى ، ولقد كان هذا هو شاغل العربى الأكبر ، ومن هنا حاول أن يؤكد وجوده بشكل ما فسعى حثيثاً للحفاظ على تراثه العربى الأصيل وربطه بالثقافة الإسلامية العريضة فوقف موقفاً صلباً من مزاعم الشعوبية التى كانت تهدف إلى الحط من شأن القيم العربية الأصيلة ، وقد كان من الطبيعى أن يستمر التعبير الجمعى عن البطولة العربيـة التى تقوم بدور الوساطة بين القديم والجديد .

وكانت سيرة الأميرة ذات الهمة هى المعبرة عن الدور الذى يجب أن تقوم به البطولة العربية فى دعم الإمبراطورية الإسلامية العربية الجديدة ، والحفاظ على استقلالها . . ولذا فقد تزعمت ذات الهمة التى كانت ولادتها معجزة شأن غيرها

---

(١) البطولة فى القصص الشعبى ص ٢٥ .
(٢) الأدب المقارن ص ٢٣٥ .

من أبطال القصص البطولي الثورة على القديم ، وطالبت القبائل التي تخلد إلى الراحة في قلب الجزيرة العربية وعلى رأسها قبيلة بني كلاب بأن تنزح إلى مواطن الخطر في الدولة الإسلامية لتقوم بدور فعال وحاسم في الحفاظ على كيانها وحضارتها وقد بدأت ذات الهمة ثورتها على القديم عندما رفضت أن تتزوج ابن عمها لأن عمها وابن عمها كانا يمثلان القيم البالية التي يجب على العربي أن يرفضها فلما تم زواج ابن عمها بها غدراً صبرت حتى ولدت ابنها عبد الوهاب ثم قررت أن تنزح برفقة بعض الأبطال الثائرين إلى منطقة الثغور تلك المنطقة التي تفصل بين الدولة العربية وبقايا الإمبراطورية البيزنطية ، وهناك كونت ذات الهمة نواة لجيش شعبي ما لبث أن تزايد عدده حتى أصبح شوكة في ظهر العدو ، ولما قوى هذا الجيش وظهرت آيات بطولته اعترفت به الدولة رسمياً وأصبحت تقدم له المعونات المادية ، وقد اكتشف هذا الجيش أن له إلى جانب عدوه الخارجي عدواً داخلياً يريد القضاء على الدولة ذلك هو عقبة قاضي المسلمين ووظيفة القاضي وظيفة حساسة وهو كذلك ينتمي إلى قبيلة بني سليم التي كانت الدولة تحسب لها حسابها ، وقد ظل أمر عقبة معلقاً حتى كانت خلافة المعتصم بالله الذي اختارته السيرة لأن يكون الحاكم الذي وقف إلى جانب الشعب واستمع لشكواه وعاونه في تحقيق آماله ، وربما كان هذا الاختيار صدى لمعاركه التاريخية مع العدو البيزنطي عندما اقتحم بلاده وهدم عمورية واستولى عليها[1] .

أما في السيرة فان المعتصم بالله واصل النصر حتى فتح أبواب القسطنطينية وكان قد تجاوب هو وأبطال الشعب في عزل عقبة بعد أن تيقن من نفاقه فأمر بحبسه ، فلما فتحت أبواب القسطنطينية صلب عقبة على بابها الكبير تحقيقاً لرؤيا كان قد رآها عبد الوهاب وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقتل عقبة إلا بعد

---

(١) البطولة في القصص الشعبي ٢٧ ، ٢٨ .

فتح القسطنطينية وعندئذ يحوله صليبه على بابها الكبير، وبهذا تم النصر للابطال على العدو الخارجي والعدو الداخلي[١] . وكأن السيرة تريد أن تقول إن كيان الأمة يقوم على أساس موحد لسياستها الداخلية والخارجية .. فلايمكن أن تنتصر على العدو الخارجي وعوامل الضعف تنهش بناءها في الداخل ، كما أنه لا يمكن أن تميد الدولة بناءها الداخلي وإلى جوارها عدو يتهددها .

وكانت فرحة المسلمين كبيرة بفتح القسطنطينية ثم بصلب عقبة وعند ذلك هتف الأبطال (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)[٢] .

وقد كثرت السير الشعبية وتعددت أنواعها قبل العصر الحديث فنها السير الدينية كقصة سيدنا علي ورأس الغول وسيرة السيد البدوي كما كان منها القاريخ البطولي مثل سيرة أبي زيد الهلالي وعنترة بن شداد والظاهر بيبرس وسيف ابن ذي يزن ، وقد غلبت هذه السير على شاعر الربابة الذي يقص تلك القصص شعراً على الناس في المقاهي والمحافل[٣] .

وسير الأبطال الشعبيين تمثل نوعا من أنواع القصص المحببة إلى الأطفال حتى في عصرنا الحديث .

وهكذا نجد أن سيل القصص قد ازداد منذ العصر العباسي وتعددت أنواعها واستمتع بها الكبار والصغار ، والقصة العربية في العصور المختلفة توضح التطور الطبيعي لفن القصة الذي نشأ مع نشأة الإنسان ، وعبر مع المجتمعات من الفطرة والبساطة إلى التعقيد والحضارة، وقد تأثر الغرب بكثير من هذه الأنواع وأوجدها

---

(١) البطولة في القصص الشعبي ص ٢٨ .
(٢) سورة الإسراء آية ٢٨٨ .
(٣) تطور الأدب في مصر ص ١٨ ، أحمد هيكل .

فى أدبه بل إن القصة العربية الأصيلة قد ساعدت على نشأة القصة الأوربية التى تعالج مشكلات الحياة وقربتها من الواقع بعد أن كانت ذا طابع ملحمى بعيد كل البعدعن الحياة الحقيقية التى يحياها الناس، ومن ذلك قصص الشطار[١] الأوربية التى دلت الأبحاث على شبهها بالمقامات وقد دلت الأبحاث أن مقامات الحريرى عرفت فى الأدب العربى فى أسبانيا .

ومن كتاب العرب من ألفوا قصصا على غرارها فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ووجود هذا النوع فى الأدب الأسبانى يفسر التشابه بين المقامات وقصص الشطار الأسبانى :

ومن القصص العربية التى أثرت فى القصص الأوربى ألف ليلة وليله فقد ترجمت إلى الآداب الأوربية وقد ظهر منها فى القرن الثامن عشر وحدة أكثر من ثلاثين طبعة ونشرت منذ ذلك الوقت أكثر من ثلثمائة مرة بمختلف اللغات الأوربية[٢] وهذه القصص كانت ذات أثر فعال فى بعض الأعمال الأدبية الكبرى مثل قصة الأيام العشرة للكاتب الإيطالى بوكاشيو الذى ضمن كتابه مائة قصة نسبها إلى سبع سيدات وثلاث رجال عاشوا فى مكان منعزل وخصص لكل واحد منهم قصة يرويها لرفاقه لمقاومة ما قد يعتريهم من ملل وقد اقتفى شوسر بعد ذلك أثر بوكاشيو فى قصص كانتوبورى التى نسج فيها على منوال بوكاشيو وكلاهما حاكى ألف ليلة وليله[٣] .

(١) وهى قصص قريبة من الواقع ويمكن أن يطلق عليها قصص العادات والتقاليد للطبقة الوسطى والدنيا وتتميز بطابعها الهجائى ونقدها للأوضاع الخاطئة فى المجتمع وفيها يسافر البطل على غير منهج فى سفره وحياته بائسة يحياها على هامش المجتمع ويظل ينتقل بين طبقاته ليكسب قوته وهو يحكم على مجتمعه من وجهة نظره حكما يظهر فيه الأثرة والإنطواء .

(٢) الأدب فى موكب الحضارة ص ٧٤٦ (٣) حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٤٤٩

ومن الآثار العربية التى ترجمت إلى الأسبانية مجموعة قصص كليله ودمنة والسندباد البحرى ، وقد تأثر الأدب الأسبانى بالأدب العربى عن طريق هذه التراجم حتى قيل أن كثيراً من القصص التى عرفت فى الأدب الأسبانى حول الأعياد وصراع الثيران . . وحروب الملاحين والقصارى والتفاخر ورأس الفرسان والتشبيب والغزل كل ذلك أثر عربى مما اشتهر به عرب الأندلس فى أوربا(١) .

ونتيجة هذا الأثر فان الكاتب الشهير سرفانتس قد تأثر فى قصته الشهيرة دون كيخوت وهى من خير ما أنتجته العقلية الأوربية فى عالم الأدب بالثقافة العربية فى الأندلس(٢) .

ومن الأعمال الأدبية العالمية التى تأثرت بالثقافة الإسلامية والأدب العربى الكوميديا الإلهية لدانتى وقد مر ذكر تأثرها بمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، والحقيقة أن استعارة الآداب الأوربية من القصص العربية القديمة وتأثرها بها كان تأثرا واسعاً ، ولكن المجال لا يتسع لذكر كل النماذج التى أثرت بها القصة العربيه فى القصة الأوربية .

وإذا كان تأثر الأوربيين بالعرب على هذا النحو فإذا جاءت مرحلة أخرى من التاريخ تأثر فيها الأدب العربى بالآداب الأوربيه . فليس هذا مما يشين فقد سبق وتأثر الأوربيون بالأدب العربى ، وهذا هو حال الأدب لا بد من الأخذ تارة والعطاء أخرى .

وعلى الرغم من تنوع القصص واستمتاع الأطفال بالكثير منها .. إلا أننا لم نجد قبل العصر الحديث من اتجه إلى الكتابة الخاصة بالأطفال ، ولم يدرج أى مؤرخ أى نوع من هذه الأنواع تحت أدب الأطفال ، ومع ذلك فقد استمتع

---

(١) حضارة العرب ٤٤٩ (٢) موكب الحضارة .

بها الأطفال ولها أهمية كبيرة كمصدر من مصادر أدب الأطفال عامة ، وقصص الأطفال خاصة التى استقا منها كاتبو الأطفال فى العصر الحديث .

والحقيقة أن السبب فى تأخر الكتابة الرسمية للأطفال إنما يرجع إلى المتزمتين من رجال اللغه والأدب الذين نظروا إلى الطفل نظرة مهينه وبالتالى قللوا من شأن المهتمين بأدبه وعدوا انصرافهم عن أدب الكبار إلى أدب الأطفال عدم مقدرة واستسهال ، عل أنه على عكس ذلك تماما . فهو يحتاج إلى إمكانيات خاصه ، ومقدرة أكبر مما يحتاجه أدب الكبار .

وهذه الصورة الممتهنة للأطفال والمهتمين بهم تبدو واضحة فى المؤلفات العربية ابتداء من العصر العباسى . فالجاحظ يصف معلمى الصغار بالحمق ، ويقول . «أحمق من معلم كتّاب »[1] .

ويقول أحد الشعراء فى المعلمين :

وهل يستفيد العقل ممن كان دهره   يروح على أنثى ويغدو على طفل[2]

ويقول آخر :

إذا كنت وراقا فأنت محارف   وحسبك شوكى أن تكون معلما[3]

---

(١) البيان والتبيين ج ٢   (٢) المحاسن والمساوىء ص ٥٨ ط بيروت .
(٣) المحاسن والمساوىء ص ٥٨ .

الفصل الخامس

قصص الأطفال فى العصر الحديث

أولا : قصص الأطفال في الآداب العالمية :

ترجع العناية بقصص الأطفال في الآداب العالمية في العصر الحديث إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي . . وتعد فرنسا أسبق الأمم الحديثة إلى العناية بالطفولة وأدبها ، وقد تأثرت فرنسا بمصادر شرقية هندية ، وفارسية ، وعربية في كتابتها لهذه القصص . . وذلك بسبب شيوع القصص الشرقية في القرن السابع عشر ، فقد غذت هذه القصص خيال كتاب الغرب وألهمتهم بمادة حية مثيرة تصلح لقصص الطفولة . . ومن أمثلة هذه القصص . . قصص (ألف ليلة وليلة) ، والحقيقة أن فرنسا لم تعن بالكتابة الخاصة للأطفال قبل نهاية القرن السابع عشر . . وأول من كتب للأطفال هو (تشارلز بيرو) الشاعر الفرنسي الكبير وعضو الأكاديمية الفرنسية ، وأول ما كتبه (حكاية أمي لوى)[1] ، وهي حكايات خرافية . . وقد استمدها (بيرو) من الشعب ثم أضفى عليها طابعاً فنياً غنياً بالرشاقة ورهافة الحس ، ومنها قصة (سندريلا) و (القط في الحذاء الطويل) و (ذو اللحية الزرقاء) . . وتشارلز بيرو فوق أنه شاعر فهو جامع حكايات ونوادر شعبية . . وقد خاف على مجده الأدبي ، فكتب هذه المجموعة باسم مستعار ، ثم اعترف فيما بعد بتأليفها ، ثم أخرج مجموعة أخرى أسماها (أقاصيص وحكايات الزمان الماضي) ونسبها إلى نفسه .

وتعتبر مجموعته الأولى . . أولى مراحل التكوين القصصي للأطفال في العصور الحديثة ، فهي أول قصص كتبت خصيصاً للأطفال بهدف التسلية والإمتاع . . وقد تأثر عدد كبير من الحكايات الخرافية الألمانية بمجموعة

---

(١) الحكاية الخرافية ص ٢٠ .

(بيرو) الأولى نذكر من ذلك على سبيل المثال حكاية ذات الرداء الأحمر . . وحكاية الوردة الشائكة .. ثم حكاية الذئب والنعاج السبعة .. هذا وقد استمر هذا النوع من قصص الأطفال ذات الطابع الخرافى فى فرنسا ، وقد عنيت به مجموعة من السيدات بصفة خاصة[1] . وقد ضمت حكاياتهن بعضها إلى بعض فى مجموعة رائعة من إحدى وأربعين جزء ، وأطلق عليها اسم (مجمع الجان) على أن هذه الحكايات لم تكن حكايات خرافية شعبية بالمعنى الصحيح . . وإنما هى حكايات قديمة صيغت صياغة جديدة . . وفى القرن الثامن عشر عصر العقل والاستنارة أصبحت هذه الحكايات لا تتلاءم مع مزاج العصر ، وذلك لعدم منطقيتها ومبالغتها فى الخيال . . ثم إنها كانت غير غنية بالمغزى ولا يسودها نظام . . وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت مجموعات كبيرة من الحكايات الخرافية فى فرنسا فى هذا العصر . . وعندما ظهر (جان جاك روسو)[2]، وانتشرت آراؤه فى تعلم الأطفال وتربيتهم تربية استقلالية طبيعية تؤهلهم لتكوين شخصية قوية مكتسبة من تجاربهم الذاتية ووجه كتابه (إميل)[3] إلى العناية بالطفل ، ولقيت آراؤه قبولا حسناً فى فرنسا وغيرها من دول أوربا . وعلى أثر

---

(١) الحكاية الخرافية ص ٣٠ .

(٢) ولد سنة ١٧١٢م فى جنيف بسويسرا لأسرة فرنسية استوطنت بسويسرا فرارا من الاضطهاد الدينى .

(٣) يعتبر هذا الكتاب أبلغ كتاب عرفه العالم فى التربية والتعليم ومن أهم النقاط التى جاءت فيه أن التربية يجب أن لاتضبط الميول الطبيعية فى الطفل أو تؤديها بل إن تشجعها على النمو والازدهار ، أما التعليم فيجب ألا يستمد من الكتب والمحاضرات بل من الاقتداء بالناس والاختبار المباشر للشئون ، والعائلة هى الوحدة السديدة فى هذا المضمار وليست المدرسة ، والحب والعطف هما العدة ، الملائمة لبلوغ المآرب لا القواعد والقصاص (مجلة الفيصل يوليو سنة ١٩٧٨ م) .

هذا ظهر فى فرنسا مدرسة للكتابة للأطفال تهدف إلى التعليم والإرشاد، وشغل الطفل بالنافع المفيد . . وقد مزج أتباع هذه المدرسة أراء (روسو) بآراء الفيلسوف الإنجليزى (جون لوك) فى التربية مع بعض أفكار الفلسفة العقلية .

وأخرجت هذه المدرسة مجموعة من قصص الأطفال المحشوة بالتعليمات المثقلة بالارشادات والمليئة بالمقارنات فى السلوك وأكدت هذه المدرسة قدرة الطفل على تقبل الأسباب والنتائج أكثر من تقبله الشعور والاحساس ومن ثم تجاهلت كل خيال فى قصص الأطفال . (١)

وبين عامى ١٧٤٧/١٧٩٦ هـ ظهرت فى فرنسا صحيفة للأطفال أنشأها أديب لم يفصح عن إسمه واتخذ لنفسه إسما مستعارا هو صديق الأطفال وأطلق نفس الاسم على الصحيفة وكتب فيها قصصا للأطفال من البلاد الأخرى تمتاز بالسهولة والرشاقة وتخالف الكتابات السابقة فقد ابتعدت عن النصائح والإرشادات وهدفت إلى التسلية والمتعة وإثراء الخيال وتعد هذه أول مجلة خاصة بالأطفال (٢).

وفى إنجلترا بدأت العناية بقصص الأطفال فى القرن الثامن عشر بعد ترجمة مجموعة (حكايات أمى لوى) لتشارلز بيرو . . وكان ظهور هذه المجموعة بدء ظهور حركة التأليف القصصى للأطفال بهدف الإمتاع والتسلية وبدأ يظهر القصص الرومانى الذى يسعد الأطفال وظهر (جون نيوبرى) فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى وقد عمل على أن يقدم للأطفال قصصا تحتوى على المتعة والفائدة . . وقد استعان على تنفيذ فكرته بفريق كبير من كتاب القصة

---

(١) أدب الأطفال . بتصرف .
(٢) أدب الأطفال : الحديدى .

فى عصره يؤلفون قصصا للأطفال أو يبسطون ويختصرون ما كتب للكبار مثل قصه (روبنسون كروزو) التى كتبها دانيال ديفو عام ١٧١٩[1] وتحكى أخبار روبنسون الذى طرحته عاصفة فى جزيرة مقفرة فعاش سعيدا مع خادمه ، وقصة (جاليفر) التى كتبها جوناثان سويفت عام ١٧٢٦ ﻫ كتبتا أولا للكبار إلا أنهما بعد أن بسطهما (نيوبرى) للأطفال صارتا مصدرين من أغنى المصادر لقصص الأطفال فنسج الكثير من القصص على منوالهما .

وظهرت (ماريا ادجورت) كأحسن راوية لحكايات الأطفال وكتبت (الحكايات التهذيبية) ومهد عملها الطريق لحكايات أكثر واقعية خرجت فى مجموعات كبيرة قامت بكتابتها السيدات .

وكتب (توماس داى) ما بين سنتى ١٧٨٣ ، ١٧٨٩ قصة بعنوان (سانفورد وميرتون) متأثرا بتعاليم (روسو) والقصة تقوم على الحوار وتحكى قصة غلام أفسد أخلاقه الثراء والتدليل يسمى توى ميرتون ، وابن جار له دمث الخلق حسن التربية يسمى هارى سانفورد وأظهر حوار القصة الفرق بين خلق الغلامين . . والقصة أسلوبها يتجاوز الأطفال وفهمهم[2] .

وبدأت حركة مدارس الأحد الدينية فى إنجلترا سنة ١٨٧١ م ثم انتشرت فى طول البلاد وعرضها . . وكانت هذه المدارس فى حاجة إلى قصص دينية للأطفال وقد زودها بهذا النوع من القصص أكثر من أديب منهم الكاتبة ساره تريمور ، وفى أوائل القرن التاسع عشر ظهر الكاتب تشارلز لامب وسار على الطريقة التعليمية فى قصص الأطفال وكتب قصصا بغرض تسلية الأطفال

---

(١) أدب الأطفال ص ٥١ .
(٢) أدب الأطفال ص ٥٢ .

وإمتاعهم وقد ترجم كثيراً عن قصص الأطفال الألمانية والفرنسية إلى الإنجليزية . . وفى عام ١٨٦٥ م ظهرت فى إنجلترا أشهر مجموعة قصصية كتبت بالإنجليزية للأطفال . . وهى (أليس فى بلاد العجائب للكاتب لويس كارول . .

وقد منحت هذه المجموعة فرصة النجاح للحكايه الخرافية الحديثة ثم زاد الانتاج القصصى وتنوع فى القرن العشرين .

وفى ألمانيا فكر الأدباء فى مغزى القصص الخرافية فأنشأوا قصصا للأطفال حاولوا فيها إبراز هذا المغزى ، . ففى القرن الثامن عشر جمع الأستاذ موزويس فيمر الحكايات الخرافية وحكاها بطريقة ساحرة مترويه ثم جعل ما فيها من عناصر خيالية وأمور خارقة للطبيعية تظهر بوصفها مجرد شيء عرضى ثم حاول بعد ذلك أن يضمنها مغزى بأن أضاف إليها مثلا أخلاقية يقتدى بها . . وعلى هذا فعند قراءة هذه القصص يشعر بصدقها . .

ولتحقيق نفس الغاية وهى البحث عن مغزى القصة الخرافية إلى جانب جعلها ملائمة للقرن الثامن عشر شق (فيلاند) طريقا آخر فقد أخضع القصة الخرافية للصياغة الشعرية وأكسبها رشاقة وسهولة . .

وقد عنى جوته بالحكاية الشعبية وكان قد استمع إلى أمه وهى تحكى له كثيرا من الحكايات الخرافية مثل حكاية الحائك الذى تزوج الأميرة وحكاية حدائق الجان التى تختال روعه .. والتى سمح لطفل أن يراها مرة واحدة فحسب .. ثم ضل طريقه إليها . . كما عرف حكاية الجبل الممغنط الذى كان يجتذب السفن إليه كما كان يجتذب الحديد والمسامير وكذلك حكاية الأميرة التى كانت تخدمها أياد بلا شخوص[1] . . وكل هذه الحكايات عرفت منذ القدم ومازالت معروفة

(١) الحكاية الخرافية ص ٢٢ .

إلى الآن . . وحينما رسم جوته الحكاية الخرافية كان يتبع فى أغلب الأحيان منهج عصره أى المنهج الذى يبدو فيه المغزى من هذا النوع من الحكايات . . وكان جوته يرى أن الحكاية الخرافية هى بعينها الحكمة .. وإذا كنا لا نعرف مصدر هذه الحكمة فإن هذا لا يرجع إلى بلاهة فن الحكاية الخرافية وإنما يرجع إلى إحساسنا البايد الذى لا يدرك العمق الذى تتسم به تلك الحكاية والذى لا يدرك بالعقل وإنما بالحس فحسب .. واتباعا لهذا الرأى وجدنا نوفاليس يرى أن الحكاية الخرافية تعد أسمى صورة للأدب بوجه عام[1].

وفى بداية القرن التاسع عشر ظهر الأخوين (يعقوب وليم جرم) وقدما مجموعة من القصص الخرافية للأطفال بعنوان (حكايات الأطفال والبيوت) وظهر أول جزء من هذا الكتاب سنة ١٨١٢ وفى نهاية سنة ١٨١٤ ظهر الجزء الثانى من كتابهما ثم اقتضت الحاجة ظهور طبعة ثانية للكتاب وتلاحق بعد ذلك ظهور طبعات أخرى . . وما تزال حكاياتهما تحمل حتى اليوم الحيوية والجدة اللتين كانتا عليها فى عهد ظهورها . . وأهم ما تتميز به هذه المجموعة أنها دونت الحكايات الخرافية كما كان يرويها الشعب من غير إضافات تشوهها ودون إيداعها رمزا مستترا أو حكمة خفية ، وقد ترجمت هذه الحكايات إلى كل لغات أوربا وحاكتها الآداب الأخرى .

وفى الدانمارك ظهر رائد الأطفال فى أوربا (هانز كريستيان أندرسون) سنة ١٨٠٥ / ١٨٧٥ م وكتب للأطفال كثير من القصص والأساطير وحكاياته تشتمل على فكرة إنسانية تقدس الطبيعة والحياة وتتصل بالتجربة

---

(١) الحكاية الخرافية

الواقعية . . كما أن له قصصا تدور حول الأشباح والجنسيات والعفاريت ويظهر فى هذا القصص الطابع المحلى(١).

وقصة تساعدنا على أن نتقبل أنفسنا كما هى بخيرها وشرها وبجمالها وقبحها مثال ذلك قصة (البطة القبيحة) ومن أدق ما كتب تقويما لأندرسون ما كتبه بول هازارد فى الفصل الثالث من كتابه (كتب وأطفال ورجال) ويوضح فيه ما يمكن أن يستهدف القصاص العظيم فى حياة الطفل الناشىء كتب يقول (يقف القصاص أمام نافذته وينصت إلى العصافير واللقالق التى عادت إلى الدانمارك فى أيام الصيف الجميلة ويستمع إلى صديقه . . إلى الهواء ، أو يختلط بالجموع ويعيش معهم ، وينصت مرة أخرى إلى ما يحكيه تاجر الخبز ، وما يقوله بائع قماش بين السمك يستقبل القصص ويستقبل ثم يستغل ما يستقبله ويعيد حكايته بطريقته الخاصة ويزين هذه القصص بألوان أرق وأزهى مما هى عليه فى واقعها ، ثم يعيرها أجنحة من خيال ويرسلها إلى نهاية العالم ويشحنها بإحساس عجيب متصل بإحساسه فيضيف عنصراً جديداً ، يعمل على تحقيق أهداف القصة العظيمة . .

والأطفال على حق حين يجدون أكثر من مجرد المتعة فى قصص أندرسون أنهم يجدون فيها قانون وجودهم ، ويتعرفون منها على الدور العظيم الذى يجب أن يضطلعوا به فى هذه الحياة . . فقد أحبوا من خلالها بالأسى وشعروا بالشر يختلط بما حولهم وبما فى داخل أنفسهم غير أن هذه المعاناة التى يقوم عليها الفن شىء عابر لا يجوز أن ينقص من إخلاصهم للحياة . . بل عليهم أن يستقبلوها بأمل جديد وعزم أكيد وإيمان قوى شديد . . وإلا فماذا يمكن

---

(١) فى أدب الأطفال ص ٥٤ .

أن تكون عليه النفس الإنسانية إذا لم تتجدد لهذه الروح الواثقة القوية ، فكل جيل جديد يصل إلى العالم ليخلقه من جديد مرة أخرى . . وكل يابس تدب فيه خضرة الحياة على أيديهم من جديد . . وتجد الحياة فيهم الأمل في الاستمرار . . وأندرسون يضمن قصصه إيماناً بمستقبل أفضل ويتصل بروح الأطفال في ألفة ومحبة . . وتمتزج نفسه بطبيعتهم وطبائعهم فيكشف لهم عما هم بسبيل تحقيقه في الحياة . . إنه يؤيد بهم ومن خلالهم المثل العليا التي تحفظ الإنسانية من الانحدار إلى الدرك الأسفل من الهاوية[1] .

وفي روسيا ظهرت مجموعات من الحكايات الشعبية المعبرة عن عاداتهم وتقاليدهم المحلية تحت عنوان أساطير روسية . . وقد كتب للأطفال الروس الشاعر العظيم بوشكين ، والمفكر الإنساني تولستوي . والكسندر بوشكين أمير شعراء روسيا هو الذي أرسى حجر الأساس في الأدب الروسي . . ومع كثرة تنقله الدائم بسبب نشاطه الثوري .. فقد عنى بالأطفال وحكى لهم الحكايات التي تخاطب طفولتهم وتمتعهم إلى جانب أنها تحقق لهم الفائدة ، مثال ذلك قصيدة « الصياد والسمكة » تعبر عن الحرية وفساد الثراء والجشع .. كتبها في لغة سهلة بعيدة عن الكنايات والرموز . . وفي كل مقطع منها ينساب قدر من الغموض الذي يخاطب فضول الطفل ، ثم لا يلبث أن يضيئه فيستمتع الطفل ويسعد[2] .

وتولستوي صاحب (الحرب والسلام) و (آنا كارنينا) ، والعديد من المؤلفات التي تبشر بالحب والسلام كتب قصصاً للأطفال يغذيها الحب والصدق والحرية والسلام .

---

(١) في أدب الأطفال ص ٥٦ .
(٢) في أدب الأطفال ص ٥٦ .

و « مكسيم جوجى » اقترح بعد الثورة ألا يكتفى بالكتاب الكبار الذين يكتبون بين الحين والحين للأطفال وطالب بالتخصص فى الكتابة للأطفال ، وبدأ فكتب الأطفال كتباً عن طفولته ليعرف أطفال روسيا بحياته الأولى .

وقد وصلت أمريكا بأدب الأطفال إلى المكانة التى لم يصل إليها بلد آخر ، وتنوعت أشكال التعبير ووسائله من قصص إلى كتب ومجلات وصحف ومكتبات عامة ونوادر خاصة .

وهكذا سبقت الآداب الغربية والشرقية فى العصر الحديث الأدب العربى فى مضمار قصص الأطفال المدونة ، وعدت كل هذه الآثار من مصادر قصص الأطفال العربية فى العصر الحديث .

قصص الأطفال فى الأدب العربى الحديث :

مرت العصور تلى العصور ولم يفكر الأدباء فى التخصص فى إنتاج أدب خاص بالأطفال ، ورأى البعض أن الأطفال يكفيهم ما يطلعون عليه مما يناسبهم من أدب الكبار .. بل أنه فى كثير من الأحيان أهمل التفكير فيما أيسلى الطفل ويمتعه ويفيده وكأن هؤلاء الأطفال كم مهمل يكفيه أن يقدم له الطعام والشراب .

مر الزمن وعاشت الأمة العربية فترات تقدم وازدهار حيناً وضعف وانحدار فى أحيان أخرى وظلت قصص الأطفال عالة على أدب الكبار أو ضمن الأدب الشعبى ، واستمر الطفل يستمع إلى القصص من مربيته أو جدته أو أمه ويحتفظ فى ذاكرته بهذه القصص التى تصل إليه عن طريق الرواية الشفوية وبطبيعة الحال فإن الصبغة الغالبة على هذه القصص كانت تتلاءم وعقول من يقدمونها .. فالأم أو الجدة أو المربية ربما لم تحصل أى قدر من التعليم وربما جهلت قبرا ضئيلا ،

ولذا فقد غلب على هـذه القصص الناحية الخرافية وشاع فيهـا الجن والشياطين والسحرة والمشعوذين والحظ، وإذا اعتبرنا أن هذه القصص لها فائدة بالنسبة لتنمية خيال الطفل وأنها تحمل مغزى تربويا أو أخلاقياً فهي مع ذلك لا تعد كافية . . بل لا بد من وجود أنواع أخرى من القصص الواقعية إلى جانب هذا العالم الوهمي حتى لا يستغرق الطفل في الخيال ويبعد عن أرض الواقع والقصص الواقعي ضرورة أكيدة بالنسبة للطفل لأنه يدفعه إلى الجد والاجتهاد ويعرفه على حقائق الحياة والبشر ويعرفه بجوانب الحياة المختلفة في مجتمعه وفي غيره من المجتمعات . . أما معرفة الطفل للقصص الخيالية بمفردها فكان له تأثير غير حميد (فقد غذت هذه القصص الخوف من المجهول وتهيب المواقف الجديدة والالتفات خارج النفس إلى العون يأتي في صورة معجزات أو قوى خارقة للطبيعة)[1] .

واستمر الحال على هذه الصورة إلى أن كانت الحملة الفرنسية على مصر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي فاطلع المصريون على وجوه تقدم الفرنسيين في شتى الميادين والمجالات وأحسوا بما هم فيه من ضياع وظلام .. وبعد انتهاء الحملة واسترداد الدولة العثمانية ولايتها على مصر رأى المصريون أن من حقهم اختيار من يولونه عليهم وأجمعوا على اختيار محمد علي ليكون والياً عليهم ، وقد دفعت مصر محمداً علياً إلى تحقيق بعض أمانيها حتى تساير ركب الحضارة الذي رأته ممثلا في الحملة الفرنسية فأسس لها مطبعة تصدر عنها بعض الصحف الدورية وكون لها جيشاً يكون رداء لها ودرعاً في حياتها وأمدها بالفنون العسكرية الحديثة فأنشأ المدرسة الحربية وجلب لها معلمين من الفرنجة وكان لا بد للمصريين أن يعرفوا اللغات الأجنبية وبذلك وجدت الحاجة إلى مدرسة الألسن حتى يستطيع الطلاب المصريون أن يتفاهموا مع هؤلاء المعلمين ، كما أنشأ مدارس الصناعات والطب والهندسة ،

---

(١) الأطفال يقرؤن : هدى برادة .

حتى يسد حاجة الجيش إلى الصناع والأطباء والمدرسين والمهندسين ، وأرسل فى أثناء ذلك بعوثا إلى أوربا اطلعت على علوم الغرب ومعارفه وكان لهذه البعوث الفضل الأكبر فى النهضة الحديثة ومن أهم رواد هذه النهضة . . رفاعة الطهطاوى[١] ، وعلى مبارك[٢] .

وقد توقفت هذه النهضة فى عهد عباس الأول وسعيد فقد ألغى سعيد أكثر المدارس إلى أن تولى الخديو إسماعيل فأخذ التعليم يسترد مكانته بعد النكسة التى انتابته فقد عمد إسماعيل إلى بعث النهضة من مرقدها ففتح المدارس التى أقفلت فى

---

(١) رفاعه رافع الطهطاوى . ولد بطهطا سنة ١٨٠١ م ورحل إلى القاهرة سنة ١٨١٧ ليدخل الأزهر وتتلمذ على كبار العلماء فيه ثم اختير إماما للبعثة التعليمية الموفدة إلى فرنسا وهناك شارك أعضاء البعثة فى التعليم وتفوق عليهم وبعد خمس سنوات عاد إلى مصر فعين مترجما وتدرج بعد ذلك فى الوظائف وكان أكثر الوظائف خاصا بناحية التربية والتعليم ولرفاعه كثير من المؤلفات والمترجمات التى كانت تمد رائدة فى وقتها ومن مؤلفاته : أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوفيق عهد إسماعيل . نهاية الإيجاز فى مصر وسكان الحجاز تخليص الإبريز فى تلخيص باريز . مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية المرشد الأمين للبنات والبنين هذا إلى جانب مقالاته التى لاحصر لها ولا عدد ، ت سنة ١٨٧٣ م .

(٢) ولد عام ١٨٣٣ م بقرية برنبال تعلم أولا بكتاب القرية ثم رحل إلى مدرسة قصر العينى ثم حول إلى مدرسة أبى زعبل فدرس علوم العربية والحساب والهندسة ودخل المهندسخانة ثم سافر فى بعثة إلى باريس مع انجال محمد على وأحفاده وبعض المصريين ودرس الفنون العسكرية وبرع فيها ثم عاد إلى مصر وعين مدرسا ثم تقلبت حياته وتعرضت للخفض والرفع بسبب تقلب الظروف السياسية حتى أنه كان يعود أحيانا إلى قريته ليعمل بالزراعة وأحيانا كان يصل إلى منصب الوزارة أنشأ ثلاث مؤسسات هامة هى دار الكتب ودار العلوم ومجلة وروضة المدارس وألف كتبا كثيرة فى العلوم والثقافة والتاريخ ، ت سنة ١٨٩٣ م .

عهدى عباس وسعيد ولم يعط بعض مراحل التعليم أهمية على البعض الآخر بل حاول أن يقيم التوازن بين المعاهد التعليمية المختلفة فكما أهتم بالمدارس العالية والمدارس العلمية التطبيقية والمدارس الحربية اهتم كذلك بالمدارس الابتدائية التى تغذى المعاهد العالية بالطلاب والتى تعد النواة الأولى للتعليم بالبلاد .

وهذا يظهر أن الحكام قد فطنوا إلى أهمية الأطفال وأنهم رجال المستقبل والمدافعون عن أمجاد البلاد ومن هنا كانت العناية بإنشاء المدارس الابتدائية ولعل مبارك فضل فى ميدان العناية بالمدارس الإبتدائية والنهضة العلمية فقد أنشىء بفضله فى القاهرة وحدها أكثر من أربع عشرة مدرسة ابتدائية[1] — وكان فى كل حى من أحياء القاهرة مدرسة ابتدائية تضم أبناء الحى الساكنين فيه ، كما أنشئت فى عهد إسماعيل مدرستان للتعليم الثانوى إلى جانب المدارس الصناعية والفنية ، وكان التعليم فى بعض هذه المدارس يشمل البنين والبنات على أن العناية بتعليم البنات قد اتضحت منذ عهد إسماعيل ، وقد شهدت القاهرة مولد أول مدرسة للبنات سنة ١٨٧٣ حين أنشئت مدرسة السيوفية للبنات برعاية إحدى زوجات إسماعيل وقد بلغ عدد التلميذات الملتحقات بها فى السنة الأولى مائتى تلميذة تضاعف فى السنة الثانية لإنشائها واشتمل منهج التعليم بها على القراءة والكتابة والقرآن الكريم والحساب والتاريخ والجغرافيا وبعض الفنون النسوية كالتطريز والنسيج ، وكان التعليم فيها بالمجان بالإضافة إلى إطعام التلميذات وكسوتهن كما أنشئت فى عهد إسماعيل المعاهد والمدارس العالية مثل مدرسة المهندسخانه ومدرسة الحقوق كما اتسع نطاق مدرسة الطب والولادة التى كانت قد أنشئت فى عهد محمد على . كذلك أنشئت مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ بهدف إمداد المدارس الابتدائيه والثانويه بمدرسين للغة العربيه ولم يكن يدخلها كل طالب بل كان يختار لها أنجب الطلاب الذين درسوا

(١) روضة المدارس ص ٢٣ .

بالأزهر بعد اختبار يعقد لهم ، وصاحب الفضل فى إنشاء هذه المدرسه هو على مبارك فقد أدرك بثاقب فكره حاجة المدارس الابتدائيه المنشأة بكثرة إلى طائفة من المدرسين الذين كانت لهم ثقافة عربيه بالإضافه إلى ثقافة حديثه تجعلهم على صلة بالعلوم الحديثه ، ولما كان التعليم بالأزهر إلى ذلك الحين تعليما عربيا دينيا . . فقد رأى على مبارك تكوين مدرس يجمع بين الثقافتين ، فاختاره من طلاب الأزهر وهيأ له دروسا عصريه ، وهنا أنشئت دار العلوم واختير خير الأساتذة للتدريس فيها .

ولم يقف التعليم فى مصر عند حد المدارس والمعاهد المحلية بل أعيد نظام البعثات التعليمية إلى الخارج الذى كان قد توقف فى عهدى عباس وسعيد . . فاستؤنفت حركة البعوث العلميه من جديد ، وقد اقتضى الإكثار من إنشاء المدارس والمعاهد فى عهد إسماعيل إعادة إنشاء ديوان المدارس أو نظارة المعارف وكان قد ألغى فى عهد سعيد ، وقد كان لقيام هذا النظام من جديد أكبر ضمان لتنظيم حركة التعليم وإرسائها على أسس سليمة واختيار مناهجها مما يساعد على تطور البلاد ورقيها ومواجهة احتياجاتها ومتطلباتها ، وقد روعى فى اختيار نظار المدارس أو رؤساء ديوان المعارف أن يكونوا من الكفايات الممتازة من مثل على مبارك . ولتأييد النهضة التعليمية التى تمت فى هذا العهد . . كان هناك الجمعيات العلمية والمجامع التى أسهمت فى إبراز صورة ثقافية رائعة لمصر . وقد قامت بعض الجمعيات الخيريه الإسلامية بجمع الأموال والتبرعات وتوجيهها لإنشاء المدارس الحرة للبنين والبنات مساعدة لمدارس الحكومة فى آداء رسالتها كذلك أنشئت جمعيات علمية خاصة كالمجمع اللغوى والجمعية الجغرافية . . ومن مظاهر العناية بالتعليم ونشر الثقافة إنشاء المطابع والعناية بالكتب وطباعتها سواء أكانت هذه الكتب المترجمة أو المؤلفه أو من كتب التراث العربى القديم ، وقد أدت العناية بطبع الكتب إلى كثرة جمهور القراء ونمو الثقافة ،

كذلك كثرت وتنوعت الصحف المصـــــرية فكان منها الصحف السياسية والاجتماعية والتعليميه ، وما نعنى به هنا هو الصحف التى كان غرضها تعليم الناشئة ونشر الثقافة فى عقولهم وتحبيبهـا إلى نفوسهم ، ومن هذا النوع (مجلة روضة المدارس المصرية) التى صدر العدد الأول منها فى شهر أبريل سنة ١٨٧٠ م محرم ١٢٨٧ هـ تحت نظارة رفاعة رافع الطهطاوى ومباشر تحريرها هو ولده على فهمى مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن ، وقد وضع البيتان التاليان تحت اسم المجلة فى الصفحة الأولى :

تعلم العلم واقرأ تحز فخار النبوه
فالله قال ليحيى خذ الـكتاب بقوه[1]

وقد ذكر فى افتتاحية المجلة رسالتها حيث قال صاحب الافتتاحية (وإن جل مرغوب ، ديوان المدارس المصرية ، اعتماداً على مساعدة العناية الخديوية وتعميم العلوم وتعميم المعارف وانتشار الفنون وإكثار اللطائف ومداولتها بين جميع أبناء الوطن وتسويتهم فى الورود على مستعذب هذا المشروع الحسن ، وإبراز الوسائل المعينة على جلب قطافها بدون كبير مشقة ، وإحراز الوسائط المسهلة لجذب أطرافها ولو بكثير نفقه ، فكان ذلك مطمحاً لأنظار ديوان المدارس الملكية ، وأن يكون جاريا عبر سنن مرغوب الحضرة الخديوية العلية وأن يسدد عزمه لإصابة الصالح والأصلح من الأعمال ، ويبذل همته فى اختيار الناجح والأنجح فى الحال والاستقبال مما يكون نفع للديار الوطنية ووقع فى استكثار وسائل المدنية)[2] .

---

(١) العدد الأول : روضة المدارس المصرية
(٢) إفتتاحية مجلة روضة المدارس .

والكاتب يكشف بعد ذلك عن موضوعات الروضة وميادين الكتابة فيها ومواد تحريرها كما يكشف عن الأسلوب الذى ستكتب به وهو أسلوب اللغة العربية الفصحى البعيدة عن التكلف، ثم يذكر الأوساط التى أعدت المجلة لتقع فى أيديهم وتوزع عليهم وهم طلبة المدارس . . يقول المحرر « فهذه الصحيفة تتكفل إنشاء الله تعالى بانتشار أنواع العرفان بين كل محب لاقتباس العلوم من أبناء الأوطان لينتفع بها كل متولع بالاستضاءة بمصابيح المعارف المستحسنة من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعلى الخصوص بين أبناء المدارس المستظلين بظلالها الوارفة المتمتعين فى ساحاتها بأجزل نعمة وأجمل عارفة ، فإنها تكون بالنسبة لهم ولغيرهم أعم نفعاً وأعظم وقعاً بما انطوت عليه من نشر الفوائد العلمية الفائقة ، وذكر جوامع الكلم الحكمية الرائقة ورقائق الفضلاء المصريين ودقائق العلماء الماضيين حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم وتمتلىء من زواهر الفنون وجواهر العلوم حقيبة عقولهم مع ما يزيد فى رغباتهم ويبعثهم على ازدياد اهتماماتهم إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة ويشتهر من أشغاله الدائرة على الأفئدة والألسنة سيقيد بهذه الصفحة وتلمسه أيد أفاضل شريفة ويذكر فيها اسمه وحليته ورسمه فتزداد حينئذ رغبته وتقوى على عزائم الأمور همته ويتحقق فيه الأمل إذا طابق العلم بالعمل » فهدف هذه المجلة هى النشء وتحبيبهم فى الثقافة وتنمية قدراتهم .

والحقيقة أن العناية بالنشء ترجع إلى عهد إسماعيل فقد ظهرت واضحة فى هذا العهد نتيجة للبعثات العلمية التى كانت قد أرسلت إلى فرنسا فى عهد محمد على ومن رواد من عنوا بالأطفال . . وفكروا فى إنشاء أدب خاص بهم رفاعه الطهطاوى . . فقد أدخل قراءة القصص والحكايات فى مناهج الدراسة بالمدارس الابتدائية . فعندما سافر رفاعه فى البعثة التعليمية إلى فرنسا كانت

قصص الأطفال هناك قد تقدمت تقدما عظيما ، فشاهد عناية الكتاب الفرنسيين بالكتابة للأطفال وعرف قدره فى تربية الصغار . . والترفيه عنهم ، فلما عاد إلى وطنه ووكل إليه أمر التعليم فى مصر أمر بترجمة كتب الأطفال الأجنبية ليقرأها التلاميذ المصريون ، وترجمت كثير من الكتب التى تخص تثقيف الأطفال وتعليمهم وإمتاعهم ، ومن كتب الأطفال المترجمة كتاب يدعى حكايات الأطفال ترجمه مترجم يدعى عبد اللطيف أفندى[١] وكان مخصصا لتلاميذ الفرقة الأولى والثانية الابتدائية وقصة عقلة الصباع وكانت تصرف أيضا لتلاميذ الفرقتين الأولى والثانية . .

وعلى مبارك أيضاً من أكثر الرواد الذين حاولوا إنشاء أدب للأطفال وتعليمهم عن طريق هذا الأدب . . وقد ألف رواية تعليمية بعنوان (علم الدين) قدم لها بقوله[٢] (ولا شىء أنفع للوطن وأجلب للخير والبركة إليه من تعليم أبنائه وبث المعارف والفنون النافعة فيهم ، حتى يعرفوا حقوقه ويكونوا يداً واحدة فى نفعه وخدمته وإيصاله إلى غاية ما يمكن أن يصل إليه من الغبطة والسعادة . وهذا لا يكون إلا بالعلم والمعرفة ، وحسن التربية فإن الجاهل لا يحسن نفع نفسه فضلا عن نفع غيره ، وقد رأيت النفوس كثيراً ما تميل إلى السير والقصص وملح الكلام بخلاف ألفنون البحتة والعلوم المحضة . . فقد تعرض عنها فى كثير من الأحيان لا سيما عند السآمة والملال من كثرة الاشتغال وفى أوقات عدم خلو البال ، فحدانى هذا أيام نظارتى لديوان المعارف إلى عمل كتاب أضمنه كثيراً من الفوائد فى أسلوب حكاية لطيفة ينشط الناظر إلى مطالعتها ، ويجد فيها رغبته فيما كان من هذا القبيل فيجد فى طريقة تلك الفوائد

---

(١) فى أدب الأطفال ص ٣٤٢

(٢) علم الدين : المقدمة ص ٦ ، ٨

ينالها عفواً بلا عناء حرصاً على تعميم الفائدة وبث المنفعة . . فجاء كتابا جامعاً أشتمل على غرر الفوائد المتفرقة فى كثير من الكتب العربية والإفرنجية فى العلوم الشرعية والفنون الصناعية وغرائب المخلوقات وعجائب البر والبحر . . مفرغا فى قالب سياحة شيخ مصرى بعلم الدين مع رجل إنكليزى كلاهما هيان ابن بيان نظمهما سمط الحديث لتأتى المقارنة بين الأحوال المشرقية والأوربية) ورواية على مبارك تلك من أوائل الروايات التى هدفت إلى تعليم أبنائنا واتساع أفقهم ، وكان على مبارك يدرك أن مسئوليته نحو أمته تتحدد فى تعليم أبنائها وفطن إلى أن القصة إحدى الوسائل التعليمية ، التربوية الناجحة فى تعليم تلاميذ المدارس .

وكان الأمل كبيراً فى أن يقتدى الأدباء بالرواد الأوائل ويعنوا بالأطفال وأدبهم ولكن هذا الأمل قد خاب ، وقد يكون للظروف السياسية التى مرت بها البلاد أثر كبير فى عدم تقدم أدب ، الأطفال فقد منيت مصر بالاحتلال الانجليزى والأزمات الاقتصادية مما أدى إلى الانشغال بأمر الوطن وشؤونه ونكبته والحض على الخلاص من كل هذا .

وكانت العودة إلى العناية بقصص الأطفال وحكاياتهم حين ترجمت بعض الأمثال والقصص المشهورة عن الغربيين إلى اللغة العربية فى كتاب أخلاق بعنوان (لطائف لأقوال فى القصص والأمثال)[1] وذلك لإفادة الطلبة الفرنسيين المتقدمين إلى المدارس العربية . . وقد أخرجه مترجمه (الأب بونا ونتورا جيرور اليسوعى) فى جزئين يضمان اثنتين وستين قصة ومثلا .

---

(١) فى أدب الأطفال ص ٢٤٤ .

ثم ترجم محمد[1] عثمان جلال كثيراً من حكايات لافونتين[2] فى كتابه (العيون اليواقظ فى الحكم والأمثال والمواعظ) فى شعر عربى مزدوج القافية.. وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل ، وقد أضفى على نصائحه طابعاً دينياً اقتبسه من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وفيه قليل من الحكايات العامية فى صورة رجل يقول فى مقدمته :

وانظر فتلك روضة المعانى　　ودوحة المنطق والبيان
نظمت فيها مائتى حكاية　　وكلها بالحسن فى نهاية
فيها إشارات إلى مواعظ　　نافعة لكل واع حافظ
ضمنتها أمثالها والحكما　　وربما استعرت قول الحكما

وهو يشير بذلك إلى أنه اقتصر على مائتى حكاية وضمن كل حكاية مثلا أو حكمة من إنشائه أو مستعاراً من أقوال الحكماء[3] .. واتسمت حكاياته بالإيجاز والبعد عن الاستطراد وقد أشار إلى هذا الإيجاز فى قوله :

عنى اسمعوا حكاية العجوز　　واصغوا إلى كلامها الوجيز

وقوله فى حكاية أخرى :

فلا تسل يا صاحبى عما جرى　　بحر وما بين النسور قد جرى

---

(١) ولد بقرية دنا القس من أعمال محافظة بنى سويف سنة ١٨٢٨ وتلقى العلم فى مدرسة قصر العينى الابتدائية ثم دخل مدرسة الألسن وتتلمذ على ناظرها الشيخ رفاعة الطهطاوى . وكان من أنبه التلاميذ وأقدرهم على الأدب وقد تدرج فى مناصب عدة، وكان كثير الاختلاط بالعامة يستمع إلى أمثالهم ونوادرهم وقصصهم وكان نزاعا إلى الحرية والتحرر من القديم ولجأ إلى الكتابة والترجمة فى لغة سهلة قريبة من العامية . ت سنة ١٨٩٨ م .

(٢) لافونتين : شاعر فرنسى ولد سنة ١٦٢١ م ، ت ١٦٩٥ م .

(٣) قصص الحيوان فى الأدب العربى ، عبد الرازق حميدة ص ٢٠٢ .

ولاختصار لم أطق تفصيلا ... ولم أرد لشرحها تطويلا
فالطرس لم يصبر على ردى القلم ... كذا من التطويل كلت الهمم

وقد يستعمل بعض الألفاظ العامية من مثل قوله فى قصة (الثعلب مقطوع الذنب) :

حكاية فى ذكرها ترى العجب ... عن ثعلب رأيت من غير ذنب
وذاك أنه نفخ وقهـــــا ... وفات فى ذيله وطالما
ثم أنزوى من خزيه وانكسفا ... ومال بين قومه وانعطفا
وقال لابد أن أذيع المكرا ... وأن يكون الكل مثلى ذعرا
شاهدته جاء إلى الثعلب ... وكان ذا بعد آذان المغرب
وقال : ما منفعة الذيول ... باردة باسلة الطول
تكنس من ورائنا الأرض ... من بينكم لطولهن راضى ؟
نقطعها ونستريح منها ... فصدقوا ما قد ذكرت عنها
قال له أحدهم : سمعنا ... ولكلام قلته أطمعنا
لكن نريد أن نراك من ورا ... كيف تكون إن غدوت أزعرا
فأحمر حالا وجهه من الخجل ... وراح مكسوفا وولى بالعجل
قال : فردوا مكره إليه ... وهاسكوا من ضحك عليه[1]

ومن نماذجه حكايته (صاحب الدجاجة) وهو يروى بها إحدى القصص الشعبية المعروفة عن طمع الإنسان الذى ليس له حدود ، وأن هذا الطمع لا يأتى إلا بالنتائج الوخيمة على صاحبه يقول :

كان البخيل عنده دجاجة ... تكفيه طول الدهر شر الحاجه

---

(١) العيون اليواقظ ، قصص الحيوان فى الأدب العربى ص ٣٠٩ .

في كل يوم مر تعطيه العجب   وهي تبيض بيضة من الذهب
فظن يوما أن فيها كنزا   وأنه يزداد منه عزا
فقبض الدجاجة المسكين   وكان في يمينه سكين
وشقها نصفين من غفلته   إذ هي كالدجاج في حضرته
ولم يجد كنزا ولا لقيه   بل رمّه في حجره مرميّه
فقال : لا شك بأن الطمعا   ضيع للانسان ما قد جمعا[1]

وقد شحن محمد عثمان جلال قصصه بالكثير من الأمثال العامية من مثل قوله :

فإنما تأخذ من سماطي   ما تأخذ الريح من البلاط[2]

وقوله :

واحذر مدى الأيام كل ساهي   فإن تحت رأسه الدواهي[3]

وقوله :

إن كان بالتوت غضبان   هلبت يرضيه شرابه[4]

وقوله :

صدقني حاجة ما تهمك   وصي عليها جوز أمك[5]

---

(١) العيون اليواقظ ، قصص الحيوان في الأدب العربي ص ٢٠٩ .
(٢) العيون اليواقظ ص ١٤٩ .
(٣) العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ
(٤، ٥) نفس المرجع .

والأمانة تقتضى أن نعترف أن هذا الأديب لم يكتب هذا الكتاب للأطفال خاصة وإنما قصد به الكبار ومع ذلك فقد كان له أكبر الأثر فى أدب الأطفال عامة وقصصهم خاصة ..[١] (ولا يكاد كتاب من كتب الأطفال يخلو من قصة مأخوذة منه بنصها أو محرفة بعض التحريف أو منثورة ، بل إن بعض المشتغلين بكتب الأطفال لم يتحرجوا من أن ينسبوا بعض قصصه إلى أنفسهم . ويقال إن قصص لافونتين هذه التى ترجمها محمد عثمان جلال مأخوذة من قصص أيسوب)[٢] .. ويرى د . طه حسين أن إيثار محمد عثمان جلال للعامية إنما يرجع إلى ضعفه فى اللغة العربية . . أما محمد عثمان جلال فيوضح أن رجوعه إلى اللغة العامية إنما هو بسبب الإقبال عليها واستسهال الشعب لها[٣] .

وبعده ألف ابراهيم العرب نظما كتاب خرافات على لسان الحيوان أسماه (آداب العرب) وسار فيه أيضا على طريقة لافونتين .

أما أهم الرواد والذى وجه عناية خاصة إلى أدب الأطفال فهو أمير الشعراء أحمد شوقى[٤] وهو أول من عنى بأدب الأطفال عامة وقصص الأطفال خاصة، وقد اقتنع بهذا الأدب بعد سفره إلى فرنسا ورؤيته عناية الفرنسيين بأطفالهم وأدبهم وقد اطلع على ما كتب للأطفال هناك . . والحقيقة أن شوقى قد تأثر

---

(١) فى الأدب الحديث : عمر الدسوقى ج ١ ص ١٣٨ ط ٧ .

(٢) أيسوب : صاحب الخرافات يونانى ولد بعد تأسيس روما بمائة سنة وكان عبدا رقيقا وإليه تنسب هذه القصص التى قيلت على ألسنة الحيوانات ، وكثير منها شرقى هندى وصينى وعربى وفارسى وقد ترجم قسيس إغريقى فى القرن ١٤ م كثيرا من هذه القصص ونسبها إلى أيسوب .

(٣) فى الأدب الحديث ص ١٤١ ج ١ .

(٤) ولد سنة ١٨٦٨ أو ١٨٦٩ . ت ١٩٣٢ م .

بالأدب الفرنسي عامة وما وجد فيه من وجوه التجديد ثم فكر في أطفال بلاده وما يعانونه من ظلم وحرمان من وجود أدب يناسبهم ويعبر عن نفوسهم ويعلمهم ويعظهم ويسعدهم ويفيدهم . . فعنى بالنظم الخاص للأطفال سواء أناشيد أو أغنيات أو قصص وبذلك عد الرائد الأول في هذا المجال . . يقول شوقي عن الحكايات والأغنيات التي كتبها للأطفال (وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين . . وفي هذه المجموعة شيء من ذلك . فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهله ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة التناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم، والخلاصة أني كنت ولا أزال ألوي في الشعر على كل مطلب ، وأذهب من قضائه الواسع في كل مذهب والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال . وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية)[1] . .

وقد كتب شوقي للأطفال أكثر من ثلاثين قصة شعرية وهذه القصص تتميز بسهولة الأسلوب وتسلسل الأحداث .

واختيار شوقي قصص الحيوان ليقدمها للأطفال إنما يدل على خبرته بنفسيتهم وشغفهم بهذا اللون من القصص لبساطتها وسهولة تذكرها ولأنها تعرض حالات مختلفة من الطبيعة الإنسانية ، وهي من ناحية أخرى تعلم الحقائق الأخلاقية بأسلوب شائق جذاب وهو لا يغفل في قصصه الدرس التهذيبي

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى : الشوقيات .

والموعظة الحسنة .. وهذه القصص تعرفنا بأن الشاعر كان يدرك الطريقة السليمة والوسيلة الأكثر فائدة فى تعليم الأطفال وإمتاعهم ، وحب شوقى للأطفال وتعاطفه معهم ورغبته فى التقرب إليهم وفهمهم تلك العواطف الحقيقية الصادقة هى التى جعلته يمنح الطفل لونا من المعرفة يناسب عقله وعواطفه وثقافته . . إن صح أن نطلق على معارف الطفل هذا الإسم . وقد أعطى شوقى للأطفال فكرة مبسطة عن المجتمع الذى يعيشون فيه ومشكلاته وما يمكن أن يعترض سبيل حياتهم منها فمثلا حذر من غدر الطبائع البشرية وبصرهم بخير الوسائل فى التعامل معها فى قصة بعنوان (السفينة والحيوانات) . . يقول [1] :

لما أتم نوح السفينة ... وحركتها القدرة المهيمنة
جرى بها ما لا جرى ببال ... فما تعالى الموج كالجبال
حتى مشى الليث مع الحمار ... وأخذ القط بأيدى الفأر
واستمع الفيل إلى الخنزير ... مؤتنسا بصوته النكير
وجلس الهر بجنب الكلب ... وقبل الخروف ناب الذئب
وعطف الباز على الغزال ... واجتمع النمل على الأكال
وفلت الفرخة صوف الثعلب ... وتيم ابن عرس حب الأرنب
فذهبت سوابقُ الأحقادِ ... وظهر الأحبابُ فى الأعادى
حتى إذا حطوا بسفح الجودى ... وأيقنوا بعود الوجود
عادوا إلى ما تقتضيه الشيمة ... ورجعوا للحالة القديمة
فقس على ذلك أحوال البشر ... إن شمل المحذور أو عم الخطر
بينما ترى العالم فى جهاد ... إذ كلهم على الزمان العادى

---

(٢) الشوقيات جـ ٤ .

كما وقفهم على حيل الإنسان الانتهازى ويمثله الثعلب فى قصة بعنوان (الثعلب فى السفينة) يقول(١) :

أبو الحصين جال فى السفينة ... فعرف السمين والسمينة

يقول :

إن حاله استحـــالا ... وإن كان قديمـــا زالا
لـكون ما حل من المصائب ... من غضب الله على الثعالب
ويغلظ الأيمان للديوك ... لما عسى يبقى من الشكوك
بأنهم إن نزلوا فى الأرض ... يرون منه كل شىء يرضى
قيل فلما تركوا السفينة ... مشى مع السمين والسمينة
حتى إذا ما نصفوا الطريقا ... لم يبق منهم حوله رفيقا

وقال :

إذا قالوا عديم الدين ... لا عجب إن حنث يمينى
فإنما نحن بنى الدهاء ... نعمل فى الشدة للرخاء
ومن تخاف أن يبيع دينَه ... تـكفيك منه صحبة السفينة

ثم أنه علمهم فضيلة سوء الظن بالعدو . . فى قصة بعنوان (الأرنب وبنت عرس فى السفينة) ونهاهم عن الغفلة وسوء التقدير فى قصة بعنوان (الأسد والثعلب والعجل) وفى قصة القبرة وابنها يعرض لهم أن من تأنى نال ما تمنى وأن فى العجلة الندامة فـكل هـذه القصص هادفة وهى تمتع الطفـل وتثقفه وتعرفه

---

(١) الشوقيات ج ٤ .

بأجناس الناس وأخلاقهم وهى تعظه وترشده إلى الأخلاق الجيدة وكيفية معاملة الآخرين وليست كل قصص شوقى غرضها التعليم والعظة ولكن منها ما نظمه بغرض التسلية .

هذا ما فعله شوقى للأطفال أدخل البهجة إلى قلوبهم وزاد من معلوماتهم وقدم لهم تجارب البشرية من خلال تلك المتعة وهذه الإفادة كما نمى إحساس الأطفال بجمال الكلمة وقوة تأثيرها بسهولة ألفاظه وبساطة أسلوبه وقد أكسبهم معلومات لم يكونوا ليصلوا إليها فى عالم طفولتهم لولا حبه لهم ورغبته فى إسعادهم . .

وقصص شوقى غالبا ما تنتهى بحكمة من الحكم المعروفة يلخص فيها نتيجة تجربة من التجارب ، فقصة اليمامة والصياد شرح فيها الحكمة القائلة مقتل المرء بين فكيه . . يقول :

يمامة كانت بأعلى الشجرة   آمنة فى عشها مستترة
فأقبل الصياد ذات يوم   وحام حول الروض أى حوم
فلم يجد للطير فيه ظلا   وهم بالرحيل حين ملا
فبرزت من عشها الحمقاء   والحمق داء ما له دواء
تقول جهلا بالذى سيحدث   يا أيها الإنسان عما تبحث
فالتفت الصياد صوب الصوت   ونحوه سدد سهم الموت
فسقطت من عرشها المكين   ووقعت فى قبضة السكين
تقول قول عارف محقق   ملكت نفسى لو ملكت منطق

وقصة الكلب والحمامة تشرح الحكمة التى تقول من يفعل الخير لا يعدم جوازيه يقول :

حكاية الكلب مع الحمامة   تشهد للجنسين بالكرامة

يقال كان الكلاب ذات يوم — بين الرياض غارقا فى النوم
فجاء من ورائه الثعبان — منتفخاً كأنه الشيطان
وهم أن يغدر بالأمين — فرقت الورقاء المسكين
ونزلت توا تغيث الكلبا — ونقرته نقرة فهبا
فحمد الله على السلامة — وحفظ الجميل للحمامة
إذا مر ما مر من الزمان — ثم أتى المالك للبستان
فسبق الكلاب لتلك الشجرة — لينذر الطير كما قد أنذره
واتخذ القبح له علامة — ففهمت حديثه الحمامة
وأقلعت فى الحال للخلاص — فسلمت من طائر الرصاص
هذا هو المعروف يا أهل الفطن — الناس بالناس ومن يُعِن يُعن

وهو من خلال حكايته يعرف بصفات الحيوانات وأخلاقها فالكلب أمين بصوته النباح ، والحمامة رقيقة وديعة والثعبان غادر . . والجزاء دائماً من جنس العمل . . فالخير لا يجزى إلا بمثله . وحكاية القبرة وابنها تشرح الحكمة القائلة فى العجلة الندامة . . يقول :

رأيت فى بعض الرياض قبرة — تطير ابنها بأعلى الشجرة
تقول يا جمال العش — لا تعتمد على الجناح الهش
وقف على عود بجانب عود — وافعل كما أفعل فى الصعود
فانتقلت من فنن إلى فنن — وجعلت لكل نقلة زمن
كى يستريح الفرخ فى الأثناء — فلا تمل ثقل الهواء
ولكنه قد خالف الإشارة — لما أراد أن يظهر الشطارة
فانكسرت فى الحال ركبتاه — ولم ينل من العلا مناه

ولو تأنى نال ما تمنى وعاش طول عمره مهنا
ولكل شيء في الحياة وقته وغاية المستعجلين فوته

وقصص شوقي الشعرية للأطفال يغلب عليها أن تكون من نوع القصة القصيرة . . فغالباً ما تدور حول حادثة واحدة أو حالة نفسية أو شعورية في لحظة ما . . وأسلوبها يعتمد على السرد أو الحوار ، أما شخصياتها فقليلة . . وأما أحداثها فرتبة ترتيباً منطقياً وعقدتها تناسب عقول الأطفال والحل يتضمن حكمة أو عظة تعليمية أو أخلاقية .

وقد اختلفت آراء النقاد حول هذا النوع من أدب شوقي . . فبعضهم ذمه وحاول أن يحلل سبب هذا الذم بإيجاد وجوه نقص في قصصه وانتقص من أسلوبه وقال بأنه يميل إلى السهولة الشديدة وأن أمثلته قريبة كما اتهم الشاعر بأنه لا يتعب نفسه ولا يشغلها في سبيل الجاد من فنون الآداب العربية الجديدة .

وكأن هذا الفريق عد هذا النوع من الأدب مضيعة للوقت أو لهو وعبث لا جدوى من ورائه ولذا فقد عد كتابة شوقي للأطفال نوعاً من الهروب من المتاعب ورغبة في الاستسهال(١) .

وهناك من مدح قصص شوقي من جانب وذمها من جانب آخر فذكر أن قصصه الشعرية تتناول الأغراض التي يتناولها الشعر التعليمي عادة من حض على الفضائل لا سيما النشاط في العمل وحفظ الوفاء في الصداقة وتدبير الأمور قبل وقوعها وتقبيح الرذائل ولا سيما الخمول والغدر والتهاون ، كما أنه يتناول بعض الموضوعات السياسية مثل تنظيم البلاط واختيار الأعوان (الأسد ووزيره الحمار) أما قيمتها الأدبية فهزيلة إجمالا فإما عمل متثاقل الخطو أو عقدة رخوة الإحكام

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث : شوقي ضيف

تافهة المتعة أو تصوير للأشخاص بعيد عن الطبيعة والدقة أو تعبير لا يلائم الموقف فإن اتصفت أسطورة من الأساطير بالرشاقة وخفة الروح وحسن سياق القصة وحفظ المتعة فما ذلك إلا في القليل النادر(١).

وهذا الرأي فيه الكثير من المغالطة والتجني فقيمة قصص الأطفال تقاس بقدر ما تقدمه من فائدة لهم وغاية أدبهم هو التسلية وتحقيق المتعة إلى جانب التعليم والتهذيب ثم إن عناصر القصة كلها موجودة في قصص شوقي الشعريه ، ورخاوة العقدة وبساطتها لا يعيب عمل قصة الأطفال لأن تلك العقدة هي ما تناسب عقول الأطفال ، ولو كان شوقي لجأ إلى عقدة صلبة ومواقف عميقة لأصبحت قصصه غير ملائمة لجمهور الأطفال ولكل مقام مقال . أما بالنسبة لأسلوب شوقي وتصويره للشخصيات فإن ما ادعاه هذا الفريق عليه هو بعيد كل البعد عن الحقيقة والصواب والنظره إلى قصص الأطفال على أن الاتجاه إليها والتأليف فيها بغرض الاستسهال والبعد عن المتاعب هي نظرة خاطئة متخلفة لأن هذا النوع من الأدب يعد أدب جاد وهادف غايته عظيمة وهو أدب ملتزم ، فإن اتسم بالسهولة فذلك ليلائم الجمهور الذي يستمع إليه أو يقرأه ولكل جمهور ما يناسبه . ثم كيف يكون هذا النوع من الأدب لا جدوى منه ولا طائل من ورائه وهل هناك في الحياة شيء أفضل من فائدة أطفالنا ؟ حتى يتعلموا الحياة على وجهها الصحيح ويشبوا عقلاء على خلق ودين . . متفتحين ناجحين واسعي الأفق . . أي شيء في الحياة أفضل من تفتيح تلك العقول البكر وإزالة غشاوة الجهل عنها ؟ .

إن إهمال هذا النوع من الأدب أو عدم توجيه العناية الكافية إليه إنما هو تقصير في حق أبنائنا وهو تعصب أعمى مقيت يدل على عقول متخلفة ،ففي العالم

---

(١) أحمد شوقي أمير الشعراء : فوزي عطوان ، ط بيروت .

المتحضر اليوم يتخصص كثير من الأدباء فى أدب الأطفال وليس كل الأدباء يصلحون للكتابة فى هذا النوع الأدبى لأنه يحتاج إلى إمكانيات وقدرات من نوع خاص . . فمن وجد فى نفسه من الأدباء العالميين القدرة على معالجة هذا النوع أقدم على التأليف فيه . . ومن لم يجد تنحى خوفا من أن يفشل فيه . . والحكم على شوقى بالتقصير لتبنيه قصص الأطفال وأدبهم ليس هو الحكم العام ولكنه ذوق المتعصبين المقيت .

وهناك فريق ثالث[1] عرف لهذا النوع قدره ووضعه فى مكانه اللائق به ووصف قصص شوقى الشعرية للأطفال بأنها فن من الفنون الرفيعة فهى حكايات ولطائف تهذيب الأخلاق وتحبب الأدب واللغة العربية إلى الأطفال، وهى شائقة لأنها على ألسنة الحيوانات وأشباهها . . كما أنها سهلة المأخذ جيد العبارة ، ثم أنها إلى جانب ذلك تضرب فى موضوعات شتى تتصل بالحياة المصرية القائمة من غير أن تغفل الإشارة إلى الحوادث القديمة والتاريخ الماضى للانتفاع بعبره ومواعظه وحكايات شوقى تبث حب الأوطان فى النفوس وتعرف قيمة الانتماء إلى وطن من أمثلة ذلك حكاية (عصفورتان فى الحجاز) يقول شوقى :

عصفورتان فى الحجا — ز حلتا على فنن
فى خامل من الريا — ض لا ند ولا حسن
بينا هما تنتجيا — ن سحرا على الغصن
مر على أيكهما — ريح سرى من اليمن
حيا وقال درتا — ن فى وعاء ممتهن
لقد رأيت حول صنـ — ـعاء ، وفى ظل عدن

---

(١) المتنبى وشوقى ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

خائلا كأنهـــــا بقيـة من ذى يزن
الحب فيها سكر والماء شهد واللبن
لم يرها الطير ولم يسمع فيها إلا افتتن
هيا اركبانى نأتها فى ساعة من الزمن
قالت : إحداهما : والطير منهن الفطن
يا ريح انت ابن السبيـ ل ، ما عرفت السكن
حب جنة الخلد اليمن لاشىء يعدل الوطن[١]

وهذه القصة علاوة على ما تظهره من غريزة حب الوطن فهى على لسان طائر محبب إلى نفوس الأطفال ، وهى تعرف الطفل بعالم الطيور وخصائصه وأخلاقه ، وألفاظها تتميز بالفصاحة وأسلوبها خال من التعقيد والمجازات ، وشخصياتها قليلة مما يناسب عقول الأطفال وإمكانيات تركيزهم ، ومسألة حب الوطن والإخلاص له تحدث فيها الشعراء قديماً وحديثاً ومن الشعراء الذين ذكروها قديماً الشاعر العباسى ابن الرومى ، كما أن شوقياً له أكثر من قصيدة يتحدث فيها عن حبه لوطنه وإخلاصه له وعندما ابتعد عنه ذكر كثيراً من القصائد فى الحنين إليه .

وقصص شوقى تحث الأطفال على اتباع القيم والتعاليم الإسلامية . . فمن ذلك حثهم على الاتحاد والتعاون . قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »[٢] . وقال جل شأنه « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[٣] . . وقد أخذ شوقى هذا المعنى ونسج منه قصة توضح أن اتحاد

---

(١) الشوقيات ج ٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣
(٣) سورة المائدة آية ٢

الضعفاء وأتباعهم رأى العقلاء يقويهم ويدفع عنهم شر الأعداء الأقوياء يقول شوقي في حكايته (الفيل وأمة الأرانب) :

يحكون أن أمة الأرانب — قد أخذت من الثرى بجانب
وابتهجت بالوطن الكريم — وموئل العيال والحريم
فاختاره الفيل له طريقاً — ممزقاً أصحابنا تمزيقا
وكان فيهم أرنب لبيب — أذهب جل صوفه التجريب
نادى بهم يا معشر الأرانب — من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الجافى — فالاتحاد قوة الضعاف
فأقبلوا مستصوبين رأيه — وعقدوا للاجتماع رأيه
وانتخبوا من بينهم ثلاثة — لا هرماً راعوا ولا حداثة
بل نظروا إلى كمال العقل — واعتبروا فى ذاك سن الفضل
فنهض الأول للخطاب — فقال أن الرأى دا الصواب
أن نترك الأرض لذى الخرطوم — كى نستريح من أذى الغشوم
فصاحت الأرانب الموالى — هذا أضر من أبى الأهوال
ووثب الثانى فقال : إنى — أعهد فى الثعلب شيخ الفن
فلندعه يعدنا بحكمته — ويأخذ اثنين جزاء خدمته
فقيل : لا يا صاحب السمو — لا يدفع العدو بالعدو
وانتدب الثالث للكلام — فقال : يا معشر الأقوام
اجتمعوا فالاجتماع قوه — ثم احفروا على الطريق هوة
يهوى إليها الفيل فى مروره — فنستريح الدهر من شروره
ثم يقول الجيل بعد الجيل — قد أكل الأرنب عقل الفيل
فاستوصبوا مقاله واستحسنوا — وعملوا من فورهم فأحسنوا
وهلك الفيل الرفيع الشأن — فأمست الأمة فى أمان

وأقبلت لصاحب التدبير ساعيه بالتاج والسرير
فقال : مهلا يا بنى الأوطان إن محلى للمحل الثانى
فصاحب الصوت القوى الغالب من قد دعا : يا معشر الأرانب[١]

وقد تأثر شوقى فى قصصه بحكايات (لافونتين)[٢]، وكان الأخير قد تأثر فيها بكليلة ودمنة العربية بعد أن ترجمت إلى الفارسية الحديثة[٣]، وذلك أن لافونتين كان يتردد على نادى (مدام دى لاسبليير) سنة ١٦٣٦ / ١٦٩٣ م ، وكان من أعضاء ذلك النادى الطبيب الرحالة برنييه عام ١٦٠٢ / ١٦٨٨ م ، وهو الذى لفت نظر الشاعر إلى كتاب ترجم من الفارسية إلى الفرنسية عام ١٦٤٤ م ، وعنوانه بالفرنسية (كتاب الأنوار) أو أخلاق الملوك تأليف الحكيم الهندى (بلباى) (بيدبا) ترجمه إلى الفرنسية (جيلبير جولمان) مستشار الدولة الذى كان على علم باللغات الشرقية . . وقد استعان بأحد الفرس فى ترجمته ، وهذا الكتاب ترجمه حرة لكتاب عبد الله بن المقفع (كليلة ودمنة) وعن هذا الكتاب اقتبس لافونتين نحو عشرين حكاية . . أدخلها فى الجزء الثانى من حكاياته التى نظمها على لسان الحيوان . . يقول لافونتين : « وليس من الضرورى فيما أرى أن أذكر المصادر التى أخذت عنها هذه الحكايات الأخيرة ، غير أنى أقول اعترافاً بالجميل إنى مدين فى أكثرها للحكيم الهندى بلباى الذى ترجم كتابه إلى كل اللغات »[٤] .

و (بلباى) هو (بيدبا) الفيلسوف الذى رويت حكايات (كليلة ودمنة) على لسانه على أن لافونتين لم يأخذ من كتاب (كليلة ودمنة) سوى مادة

---

(١) الشوقيات ج ٤
(٢) أديب شاعر فرنسى .
(٣) الأدب المقارن ص ١٨٨ .
(٤) الأدب المقارن ص ١٨٧ .

موضوعاته ثم تصرف فيها على حسب مقتضيات فنه . . فمن أهم القواعد الفنية لجنس القصة على لسان الحيوان الحرص على التشابه بين الأشخاص الخيالية والأشخاص الحقيقية فى سياق القصة ، فيختار الكاتب صفات أشخاصه الأولى بحيث تثير فى ذهن القارىء الشخصيات الثانية ، ولا ينبغى أن يسترسل فى وصف الشخصيات الرمزية من الحيوانات وغيرها حتى ينسى القارىء صفات الشخصيات المرموز إليهم من الناس ، ولا أن ينسى الرموز فيتحدث عن الشخصيات المرموز إليهم من الناس حتى يغفل القارىء هذه الرموز ، بل يجب أن يختار خصائص الشخصيات الرمزية بحيث تكون كالقناع الشفاف تتراءى من ورائه الشخصيات المقصودة .

وفى حكايات (كليلة ودمنة) نجد أن المؤلف غالباً ما ينسى الرموز فيطيل الحديث عن المرموز إليهم بحيث تنطمس أدوار الرموز فى الحكاية[١] . . وقد أضاف لافونتين إلى هذه القاعدة أن الحكاية الخلقية على لسان الحيوان ذات جزئين يمكن تسمية أحدهما جسماً والآخر روحاً ، فالجسم هو الحكاية والروح هو المعنى الخلقى ، ولكى يشف الجسم عن الروح لا بد من إجادة تصويره تصويراً يثير كل ما للروح من خصائص ، ولذا حرص (لافونتين) على توافر المتعة الفنية فى حكاياته ، بحيث يصور فى شعره الأفكار العامة من وراء الحقائق الحسية ، ويجمع هذه الحقائق الدقيقة التى تتوارد لتوضيح الفكرة العامة .

كما حرص لافونتين على تصوير الشخصيات حية قوية فى أدق صفاتها المثيرة للفكرة ، وعلى تطوير هذه الشخصيات على حسب الحدث فى شكل درامى

---

(١) الأدب المقارن ١٨٧ .

ويجيء لافونتين إجمال الحدث فيه بالوصف المتصل أوثق اتصال بالحدث بحيث يمكن أن يقال أنه راعى فى حكاياته قواعد للتصوير الفنى هى صورة تقريبية لقواعد المسرحية كما أشار إليها أرسطو[1] .

وقد راعى الواقع فى رسم الصور الخلقية ليزيد شخصياته حيوية وقوة ، ولم يلجأ إلى تصوير الخلق المثالى الذى يقدر وجوده مثال ذلك حكاية الذئب والحمل لتصوير بطش القوى بالضعيف على أن المعنى الخلقى يبرز من وراء ذلك قوياً بالغ القوة ، وموجز القول أن الإطار العام الذى تصور فيه مجالات الأحداث أو نفسيات الأشخاص يسير بالحدث فى تطور محكم بحيث تؤدى كل كلمة وكل جملة وظيفتها الفنية فيه .

ومعنى تأثر شوقى بحكايات لافونتين على الرغم من اطلاعه على كليلة ودمنة أنه تأثر بهذا الفن بعد اكتمال قواعده الفنية .

وكان من المنتظر من الكتاب العرب الالتفات إلى أدب الأطفال وتكملة مسيرة العناية بقصص الأطفال ، ولكن ما حدث أن شدة تحمس شوقى لقصص الأطفال قد قوبل بالفتور حتى أن شوقى نفسه قد توقف بعد فترة عن مواصلة جهوده فى سبيل أدب الأطفال ، ولهذا الفتور أسباب تتلخص فيما يلى[2] :

أولا : أن المجتمع العربى آنذاك لم يكن يعطى الذين يتعاملون مع الأطفال من معلمى الصبية فى الكتاتيب والمدارس حقهم من التقدير ، بل كان ينظر إليهم بعين الاستهانة وعدم التقدير .

---

(١) النقد الأدبى الحديث : الباب الأول ـ الفصل الثانى ـ د . غنيمى هلال .
(٢) فى أدب الأطفال ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

ثانيا : إن المجتمع كان مجتمع الرجل ولم يكن للطفل أو المرأة مكان فيه إلا في ظلال الرجال أو بوصفهما وسيلة ترضى غريزة البنوة ومتعة الرفقة عندهم، وعلى هذا فيجب أن تكون كل الفنون والآداب تدور حول إرضاء عواطف الرجل والترفيه عنه .

ثالثا : لم تكن رعاية الأطفال من الناحية النفسية أو العاطفية أو الترفيهية لها نصيب من اهتمام الآباء أو القائمين على شئون التعليم .

رابعا : لم يأخذ الأدباء هذا النوع من الأدب مأخذ الجد بل نظروا إليه نظرة استخفاف واستهانة ومن ثم أحجم عنه الأدباء ومنهم شوقى نفسه بعد تجربة قصيرة .

خامسا : إن التأليف للصغار لا يصل بمؤلفه إلى ما يسمى بالمجد الأدبى ولذا فقد قوبل بالإعراض عنه .

وعلى الرغم من فتور الأدباء تجاه أدب الأطفال إلا أننا لا يمكن أن نقول أن هذا الفتور قد تسببت في موت هذا الأدب ولكنه تسبب في قلته . وكان بعض الأدباء يتحدثون عنه ويؤلفون فيه من حين إلى آخر ففي عام ١٩٠٣م كتب على فكرى[1] الجزء الأول من كتابه مسامرات البنات وفي مقدمته يقول : « فلما كانت النفوس تشتاق إلى ما يرضيها وينعشها ، وتميل إلى مطالعة الروايات وسماع الفكاهات ، وقد انتشر في هذه الأيام مجموعة من القصص التي تدور بعضها في باب العشق والغرام والتفنن في أساليب جذب القلوب وقتل النفوس

---

(١) ولد عام ١٨٧٩ وتوفى ١٩٥٣م عمل بالتدريس ثم كان كاتبا بوزارة المعارف ثم نقل إلى دار الكتب وله مصنفات كثيرة منها آداب الفتى وآداب الفتاة ، تربية البنين وتقويم الأخلاق والآداب الإسلامية عظة النساء ، مسامرات البنات .

وارتكاب المحرمات ، وهى بذلك تمثل للناس أنواع الرذائل وتؤثر فيهم تأثيراً يدفعهم لانتهاك الحرمات ويفتح آذانهم ويملأ أفكارهم بما يرشدهم إلى اتباع طريق الغوايات والانقياد إلى شيطان الشهوات ، لا إلى سلطان الكمالات ، ومعلوم أن النفس لأمارة بالسوء وتميل إلى الشر أكثر من ميلها إلى الخير .. ولما كانت بل والنساء مشتغلات بمطالعة الخرافات ولا يخفى شيء تأثيرها . . عليهن وهن من العقل والدين ناقصات قد حملني هذا كله على عمل هذه الرسالة»[١] والكتاب ليس أدبا خالصاً للبنات بل أن كاتبه خصص جزء منه للنساء وهو لم يكن خالصاً للتسلية والترفيه بل قصد منه التعليم والتهذيب .

وفى عام ١٩١٤ ترجم ابن خيرت الفندور مجموعة قصص كنوز سليمان للكاتب الإنجليزى رايدر هاجرد ، وهو كتاب أدبى قصصى تاريخى للفتيان يتضمن حكما بالغة وعظات منقولة عن سير الغربيين وقررته وزارة المعارف إلى مكتبات المدارس الثانوية . .

وفى عام ١٩١٦م ألحق على فكرى بكتابه الأول للبنات كتابا آخر للبنين بعنوان (النصح المبين) فى محفوظات البنين . . وقد كتبه لتلاميذ المدارس الأولية[٢] ويتضمن حكما نثرية ونظمية من أقوال الحكماء وأناشيد أدبية للناشئة وكلها تحمث على الفضائل وتنهى عن الرذائل .

وظلت قصص الأطفال تتقدم فى خطوات بطيئة ثقيلة إلى أن اتضح ظهورها وظهرت آثار كثيرة متتابعة ظلت حتى الوقت الحاضر وتنوعت أغراضها وتعددت موضوعاتها وتناولها الشعر والنثر ومن المؤلفين الرواد فى قصص الأطفال

---

(١) مقدمة الكتاب .

(٢) فى أدب الأطفال .

محمد الهراوى[1] . . ومما كتبه للأطفال منظومات قصصية بعنوان (سمير الأطفال للبنين) ثم نظم بعده (سمير الأطفال للبنات) كما كتب قصصاً نثريه للأطفال منها بائع الفطير ، وجحا والأطفال وقصصه تتسم بالسهولة والوضوح .

أما أشهر من كتب للأطفال قصصا منثورة بل أنه يعد الأب الشرعى لقصص الأطفال فهو كامل كيلانى[2] .. وهو من حماة اللغة العربية .. والمدافعين عنها ولم تكن رسالته فى قصص الأطفال إلا جزء من خطة واضحة المعالم فى سبيل الدفاع عن اللغة العربية . . فقد شعر بما يعانيه الأطفال العرب من إهمال شديد يتمثل فى عدم العناية بوسائل ترفيههم وغذاء خيالهم وقد لمس متاعب الأطفال ومعاناتهم فى تعلم اللغة العربية وأحس بأن هناك قطيعة بين الناشئة وبين الأدب العربى . .

وبعد أن تفهم كل هذه الظروف لجأ إلى طريق إيجابى يفيد الطفل ويعلمه

(١) ولد عام ١٨٨٥ ، ت عام ١٩٣٩ م .

(٢) ولد عام ١٨٩٧ ، ت عام ١٩٥٩م . بدأ حياته مدرسا ثم صحفيا فقد حرر جريدة الرجاء عام١٩٢٢، ثم أنشأ وشارك فى إنشاء عدد من الجمعيات والروابط الأدبية حتى عام١٩٣٢، وفى خلال ذلك كان يقرأ ويكتب فصولا فى النقد الأدبى والبحث الأدبى فراجع ديوان ابن الرومى وحقق رسالة الغفران وترجم روائع من الأدب العالمى وكتب عددا من المؤلفات منها ملوك الطوائف وذكريات الأقطار الشقيقة وصور جديدة فى الأدب العربى وغير ذلك ــ ومن أهم مصادر ثقافته القرآن الكريم والشعر العربى القديم وألفية ابن مالك وقد التقى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ووقف على أسرارهما وكانت خلاصة تجربته بعد القراءة الطويلة (أن كل ماعند الأوربيين فى آدابهم موجود مثله فى الأدب العربى) وقد هاجم أحمد ضيف حين دعا إلى العامية وهاجم أحمد أمين الذى قال أن النكتة العامية أنفذ من النكتة العربية وقال (أن الأدب العربى القديم ينتصر على القائلين بأن العامية هى لغة النكتة وأن العربية لاتتسع لخفة الدم ، واستشهد بكثير من النوادر والطرائف) النثر العربى المعاصر .

ويحببه فى اللغة العربية . . ومن هنا كانت أعماله القصصية للأطفال ، وقد وصل إلى نجاح عظيم وحقق نتائج هامة ، إذ دخلت اللغة العربية مصورة بالألوان كل بيت حتى البيوت التى كان أهلها يتحدثون فيما بينهم باللغة الفرنسية لغة الصالونات فى ذلك الحين[١] .

ويصور كامل كيلانى كيف أن تحطيم خطة مهاجمة اللغة العربية يكمن فى تقريبها إلى الشباب فيقول فى مقدمة قصته حى بن يقظان (أننى لم أنشىء هذه المكتبة العربية الحافلة إلا رغبة فى تحبيب هذه اللغة الكريمة إلى نفسك وإننى لم أقف أكثر جهودى وأنفس فنى فى سبيل إنشاء هذه القصص إلا لأحميك من البيان المشوه المضطرب حتى إذا كبرت سنك صارت اللغة سليقة لك)[٢] .

وكان كامل كيلانى محبا للقصة كلفا بالأسطورة ولذلك أوفى على الغاية فى هذا الاتجاه ، فكتب أكثر من ألف قصة لم يطبع منها أكثر من مائتى قصة[٣] . . وقد كانت أمانته للغة العربية والقيم الإنسانية والمثل العليا العربية الإسلامية كبيرة إذ حرص على هذه المعانى كلها فى قصصه التى لم يقصد منها إلى التجارة والكسب وإنما قصد منها تحقيق هدف عظيم هو تنشئة جيل يحب اللغة العربية وهو يرى فى القصة كلمة الخير والوفاء والعمل الإيجابى النافع ولطالما غير فى وقائع بعض الأساطير أو القصص ليجعلها تسير على النهج الذى يتفق مع الذوق العربى الإسلامى .

---

(١) المحافظة والتجديد فى النثر المصرى المعاصر فى مائة عام ١٨٤٠ / ١٩٤٠ — تأليف أنور الجندى .

(٢) مقدمة قصة حى بن يقظان لكامل كيلانى .

(٣) المحافظة والتجديد فى النثر العربى المعاصر ص ٧٤٨ .

والقصص التى أخرجها كامل كيلانى منها المؤلفة ومنها المترجمة والمقتبسة والمعربة وقد أودعها روائع القصص والأساطير العالمية من الشرق والغرب ، وأحسن اختيار موضوعات قصصه وخصص لكل مرحلة من مراحل النمو قصصاً تناسب مستواها العقلى واللغوى ثم صاغها فى أسلوب قصصى محبب إلى النفس ، فظهرت مكتبة الطفل لكامل كيلانى فى حوالى مائتى قصة على مدى اثنين وثلاثين عاما بدأ بأول قصة منها وهى قصة السندباد البحرى سنة ١٩٢٧ م واستمر يعمل فى هذا المجال حتى وفاته سنة ١٩٥٩ م

ومصادر الكيلانى فى قصصه متعددة فمنها المصادر التى ترجع إلى التراث العربى ومنها ما يرجع إلى الثقافات الأجنبية سواء أكانت شرقية أو غربية وقد بذل جهداً كبيراً فى التبسيط ، والشرح والتهذيب أو التغيير أو الاقتباس أو التعريب لتناسب عقول الأطفال العرب وما جبلوا عليه من عادات وتقاليد ومعارف . .

ومن المصادر التى استقا منها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وقد كتب للأطفال فى القصص الدينى مجموعة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم للاطفال الصغار قصص الحيوان وكتب القصص الشعبى فى مجموعة قالت شهر زاد وقصصا من ألف ليلة وليلة وقد سرد قصص جحا ورواثعه وتاريخه ومن قصصه قصة حى بن يقظان وابن جبير فى مصر والحجاز . . كما ألف القصص الفكاهية وكتب القصص العلمية والجغرافية إلى غير ذلك من ألوان القصص ، وبذلك أفاد الأطفال من الثقافة العربية والتراث العربى القديم وأطلعهم على التراث القصصى فى الثقافات الأجنبية . وقد تطور بقصص الأطفال تطوراً عظيما وكان يهدف إلى تحبيب القراءة إلى الأطفال وتجنيبهم الخطأ اللفظى والمعنوى عن

طريق الألفاظ الفصحى التى تتسم بالسهولة وعدم التعقيد ، وقد زود الأطفال بثروة لغوية تتدرج معهم من الروضة إلى المرحلة الثانوية . .

وقصص كامل كيلانى سواء أكانت على لسان الإنسان أو الحيوان أو الطير تعد من القصص الصادقة الواقعية فالخير والشر موجودان فى المجتمع . . والشر إن تغلب فإلى أمد طال أو قصر لكن الخير هو الذى ينتصر فى النهاية .

وفى عام ١٩٢٩ م ظهر حامد القصبى . . المهندس ذو الميول الأدبية وكانت أول مجموعة قصصية بعنوان التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل وهى فى ثلاثة أجزاء للسنوات الأولى والثانية والثالثة الإبتدائية(١) . . وكان المؤلف قد اطلع على الأدب الإنجليزى وأحس بما يعانية الأطفال العرب من نقص فأخذ يترجم قصص الأطفال من الإنجليزية إلى العربية ينقل بعضها بنصه ويعدل أو يعرب أو يغير بعضها الآخر لكى تلائم أطفال العرب . وقد انتشرت هذه القصص انتشارا واسعا . .

ثم ظهر قاص آخر عنى بالكتابة للأطفال هو محمد سعيد العريان وقد وصل بفن قصص الأطفال إلى درجة عالية من الكمال الفنى حتى أنه جعل مثلا للذين يكتبون القصة من بعده . وأول مجموعة قصصية له (القصص المدرسية) كان هدفها التسلية إلى جانب احتوائها على مغزى أخلاقى ودينى واجتماعى . . وكانت تكشف للطفل عن جمال الفضائل وتنفره من الرذائل وترسخ فى قلبه العواطف القومية والدينية إلى جانب القيم الإجتماعية فى أسلوب ممتع يتناسب مع سنه وقدراته اللغوية ، ثم أصدر مجموعة أخرى بعنوان (كان يا ما كان) واشترك معه فى المجموعتين زميليه أمين دويدار ومحمد زهران ، ثم رأس تحرير مجلة سندباد

---

(١) أدب الأطفال : ٢٦٨ .

وقد ظلت تصدر عن دار المعارف لمدة تسع سنوات وتوزع فى كل البلاد العربية، ثم أخرج رحلات سندباد فى حلقات بمجلة سندباد وطبعها منفردة بعد ذلك فى أربعة أجزاء ونال جائزة الدولة التشجيعية وبفضله اعترف رسميا بأدب الأطفال كفن من الفنون الأدبية الهادفة[1] . .

وبدأ الأدب العربى فى أغلب مناطق العالم العربى يعنى بأدب الأطفال عامة وقصص الأطفال خاصة وتنوعت ألوان القصة بين خيالية وواقعية ودينية وعلمية وفكاهية . . إلخ وقد سايرت هذه القصص تطور المجتمعات وتحضرها وعبرت عن حياتها وعاداتها وأخلاقها . . وتدينها وثقافتها بطريقة مبسطة خيالية من التعقيدات . .

ولكن هناك بعض العقبات التى كانت تعترض سبيل القصة من حين إلى آخر . . ومن أهمها أنها لم تكن دائما فى متناول أطفال كافة الطبقات وتأثرت بغلاء الورق وغلاء الأسعار مما أدى إلى ارتفاع أسعارها وعدم الإقبال على شرائها خاصة من الطبقات الفقيرة الكادحة . . ونتج عن ذلك أن قصص الأطفال لاقت رواجا وإقبالا عند أطفال بعض الطبقات دون الآخر . . وقد عنى المهتمون بأمر تربية الطفل وتثقيفه بالبحث عن سبل أخرى لانتشار قصص الأطفال وتداولها بين مختلف الطبقات وبأرخص الأسعار . . وهنا نادى رجال التربية وعلم النفس بضرورة وجود صحافة خاصة بالأطفال تعنى بنشر أدبهم عامة وقصصهم خاصة وتقدم لهم الفائدة والمتعة، وقد يكون بداية وجود حل إيجابى لانتشار هذا النوع من القصص هو تخصيص ركن أو صفحة للأطفال فى بعض الصحف اليومية . . وكان هذا الركن ينشر غالبا أسبوعيا ويشتمل على قصة

---

(١) أدب الأطفال . ٢٧١ .

تامة قصيرة ، وقصة مسلسلة طويلة تجزأ إلى حكايات قصيرة يستغرق إصدارها أسابيع عديدة . . هذا إلى جانب بعض المعلومات العلمية والتثقيفية والألغاز . . وما زالت أكثر الصحف اليومية تنحو هذا النحو حتى اليوم ، وقد عرف هذا التقليد فى الصحف اليومية المصرية ثم انتشر بعد ذلك بالتدريج فى صحافة العالم العربى ، كما خصصت المجلات الأسبوعية صفحة أو أو أكثر للأطفال ، وكانت الخطوة الثالثة هى إنشاء مجلات خاصة بالأطفال وهى غالبا مجلات أسبوعية . . وقد بدأت هذه الظاهرة فى مصر ثم انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى .

ومن أمثلة البلاد العربية التى عنيت بأدب الأطفال فى عصرنا الحاضر . . المملكة العربية[1] السعودية . . فقد أصدرت جريدة البلاد لأول مرة صفحة أسبوعية للأطفال فى عام ١٣٩٥ هـ وكان يطلق على هذه الصفحة إسم (عالم الصغار) وكانت تنشر هـــذه الصحفة تعتمد على شخص واحد فى إعدادها ورسمها . . وكانت تنشر قصة قصيرة كاملة وجزء من قصة مسلسلة وكانت القصة الأولى المسلسلة هى قصة ٨٠ يوما حول العالم وكانت تنشر إلى جانب ذلك حلقة من قصة أخرى مصورة مسلسلة بعنوان مغامرات طارق فى البحر الأحمر وتنشر فى كل مرة مسابقة بدون جوائز يكتفى فيها بنشر صورة الفائز الأول وأسماء بقية الفائزين وتنشر فى أحد أركانها بريد القراء كما تنشر صور عدد من أصدقاء الصفحة . . وبالإضافة إلى ذلك كانت تشتمل على بعض المواد الثقافية مثل هل تعلم ؟ ؟ وسؤال وجواب . . ودائرة المعارف .

كما أصدرت بعد ذلك جريدة عكاظ اليومية صفحة أسبوعية للأطفال باسم « حسن » من إعداد ورسوم عادل بطراوى . . ثم أوقف إصدار هذه الصفحة بعد خمسين أسبوعا لصدور مجله الأطفال باسم حسن ، وهى تعد المجلة الثانية

(١) مجلة الفيصل .

المتخصصة فى الكتابة للأطفال فقد صدرت قبلها بسنوات حوالى ثمانى عشرة سنة المجلة الأولى للأطفال وكان إسمها (الروضة) ومجلة حسن تخاطب الأطفال فى سن السادسة حتى الخامسة عشرة ، وتتكون من ٣٢ صفحة كانت كلها ملونة حتى نهاية السنة الأولى من عمرها . ثم خفضت ألوانها بعد ذلك .

ونصف صفحات المجلة مخصص للقصص المصورة الكاملة وأغلب القصص المسلسلة ملونة ، وفى كل عدد منها قصتان كاملتان إحداها دينية والأخرى ذات موضوع آخر . . وتحتل كل منهما صفحتين من المجلة ، ويضم كل عدد قصيدة للأطفال كما يوجد بها صفحة للرياضة ، وصفحتان للمعلومات العامة ، وصفحتان للبنات وتحويان قصة تحريرية وبعض التوجيهات المناسبة ، وفى الغلاف الآخر من كل عدد قصة مصورة قصيرة باستثناء قليل من الأعداد .

والمجلة تستخدم اللغة الفصحى المبسطة فى كل موضوعاتها باستثناء الشعر الشعبى والتعليق على الرسوم الكاريكاتورية . . فقد استعملت فيها اللغة العامية للمنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية . . وكل شخصيات المجلة ترتدى الزى العربى باستثناء أبطال القصص الكشفية ، ومن المحاولات الجيدة للمجلة إحياء بعض الكتب العربية القديمة بعرضها بأسلوب صحفى مناسب للأطفال مثل إعادة نشر كتاب كليلة ودمنة مصورا بعد تخليصه من الأفكار والآراء الفلسفية ، كما أن المجلة عنيت بعرض بعض المسرحيات التى يمكن تمثيلها فى الفصول الدراسية . .

وإذا انتقلنا إلى باقى البلاد العربيه وجدنا أن الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية سارت على هذا التقليد كما أنها اتجهت إلى إنشاء مجلات خاصة للأطفال ففى لبنان عدد كبير من مجلات الأطفال منها على سبيل المثال

(بساط الريح ، وعنتر ، وسندباد ، وجراند يزر ، وأيوب الموهوب) والأخيرة من أحدث مجلات الأطفال فى لبنان . . وهى مجلة أسبوعية تشتمل على خمسين صفحة وتتضمن عدة قصص متنوعة الأغراض إحداها تامة والباقى من نوع القصص المسلسلة ، ومنها قصة علمية عن رواد الفضاء الذين يتحدون الأخطار ، وقصة بوليسية تتسم بكثرة المغامرات إلى جانب مسلسل من مسلسلات الرعب . إلى جانب ركن الأصدقاء وهواياتهم وينشر فيها بعض القصص القصيرة المرسلة من الأطفال ، ونادى أيوب ويشتمل على بعض المعلومات الثقافية والتعليمية والطرائف والحكم والأمثال . . وتلوين لوحة لتنمية موهبة الرسم والتلوين لدى الأطفال . . والغلاف وحوالى ربع المجلة بالألوان .

وفى الكويت من أشهر مجلات الأطفال مجلة (إفتح يا سمسم) وهى مجلة شهرية تعليمية تربوية ، وقد لاقت رواجاً عظيماً فى أنحاء العالم العربى ، وهى تشتمل على قصص متنوعة إلى جانب برامج تعليمية وتثقيفية مبسطة ومحببة إلى الأطفال . . ومن أمثلة ماجاء بها(١) فى صفحة الأهل تعريف بمواد المجلة وطريقة تعليم الأطفال لما جاء بها مثل من أكل حرف الجيم قصة مبسطة للأطفال ؟ الهدف : الحروف الهجائية (تمييز حرف الجيم ولفظه وتسميته) . التوجيه : لحرف الجيم شكلان أحدهما كامل والآخر مبتور ، والطفل إذا تعرف الحرف كاملا أو من خلال وروده فى آخر الكلمة يستطيع أن يتعرفه فى شكله الآخر فرأس الجيم فى الشكلين يكاد يكون واحداً . . التقييد : تعريف الطفل الحرف (جـ) من خلال الصور الملونة الواردة بالمجلة والتى تشتمل على الحرف (ج) . . فى أول الكلمة ووسطها وآخرها ، حيوانات تبحث عن أنصافها ، والهدف التمييز البصرى ليعرف الطفل علاقة الجزء بالكل ، التوجيه : يمكن للطفل أن يركب حيواناً كاملا من صورتين . . ويمكن له أن يركب ثلاثة حيوانات

---

(١) افتح ياسمسم : العدد الثالث عشر ــ السنة الثانية .

كاملة من الصور الأربع . . راقب الطفل وهو يفعل ذلك فإذا أخطأ فاضحك معه لشكل الحيوان الذى سيبدو غريباً .

أما حكاية نعمان وملسون . . فالهدف تنمية الحصيلة اللغوية وتتابع الأحداث . .

التوجيه : من الصور المتتابعة سيدرك الطفل أحداث الحكاية ، فإذا قرأت له الحوار فذلك سيكون أحفل بالحيوية . . فإذا فرغت من الحكاية متسلسلة مع حوارها ، ففى هذه الإعادة تختبر مدى استيعابه لها وما طرأ على تعبيره من نمو . .

وعبده والبرتقالات . . الهدف العمليات الحسابية . . الطرح .
الأرنب والسلحفاة . . الهدف الأرقام وتعلمها .
كلمات لها نغم واحد . . الهدف الإيقاع الصوتى .
من مخلوقات الله . الهدف التخيل .
علاء الدين والفانوس السحرى . . الهدف قصة وتسلية .

التوجيه : من المناسب أن يعرف الطفل بعد أن يفرغ من هذه اللعبة الأخيرة المسلية أن الصور المتحركة تقوم على المبدأ نفسه من حيث تتابع الصور . . وهذا يسهل عليه تخيل الطريقة التى تصنع بها أفلام الكرتون التى يراها فى التليفزيون والسينما .

على بابا والأربعون حرامياً . . الهدف التراث القومى الأدبى (التخيل) .

التوجيه : حكاية على بابا مشهورة ، وهى للأطفال الأكبر سناً ومن المفضل أن يقرؤوها بأنفسهم ، وأن يكون هنالك مناقشة فى أحداثها وشرح مفهومات الفقر والشجاعة والذكاء من خلال شخصيات الحكاية ، ولا بأس أن تكون

بداية ليتشوق الطفل إلى معرفة حكايات ألف ليلة وليلة . . التي تعد من التراث القومي الأدبي .

والمجلة كلها ملونة بألوان ملفتة ورسوماتها كبيرة ، ويبدو أن أهم أهدافها هو التعليم ، وهي مفيدة جداً للأطفال حتى سن العاشرة ، وتعتمد على اللغة العربية الفصحى المبسطة .

ومن أفضل مجلات الأطفال التي صدرت في العالم العربي مجلة (ماجد) وهي كما وصفها ناشرها مجلة كل الأولاد والبنات . . وهي تشتمل على مجموعة كبيرة من قصص الأطفال المتنوعة الأغراض والأهداف فنيها القصة الخرافية والقصة على لسان الحيوان ، مثل قصة الأسد والفأر ، وفيها القصة الاجتماعية التي تعلم القيم والأخلاق الحميدة ، والقصة العلمية ، والقصة البوليسية ، وفيها قصص من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصة من أدب الرحلات ، وفيها قصة منظومة وفي نهايتها هوامش لتوضيح معاني الألفاظ الغامضة ، ومثال القصة المنظومة حكاية النملة الغبية[1] :

في يوم حلو صاف خرج النمل ليقتات
ويلم طعاماً . . كاف لشتاء صعب . . آت
صغرى النملات انهمكت في دفع ثمار القمح
مر الصرصار فوقفت ودعاها نحو السفح
قال : استرحي يا أخت فاليوم جميل رائق
كفي ، قد ضاع الوقت في عمل شاق مرهق

---

(١) مجلة ماجد : العدد ١٥١ — السنة الثالثة الأربعاء ١٣ يناير سنة ١٩٨٢ م شعر أحمد زرزو (دولة الإمارات العربية المتحدة) .

ما أغبى شخص يتعب والخير وفير جـدا
هيـا وتعـالى نلعب بالرمل نشـيد سدا
وبحمق جرت النملة تلهو ، وتعربد تمرح
ورمت فى الـكوخ السلة لا تصغى لأخ ينصح
نصحوها أن تتراجع عن ذاك العبث الأحمق
فالوقت الغـــالى ضائع فى اللهو الفارغ يفقق
وسريعاً جاء شـــتاء والبرد القـارس . . خيم
والنمل لديه غـــذاء يكفيه طوال الموسم
أما صغرى النمـــلات فلقد بحثت عن قوت
سألت كل الجارات لـكن الـكل . . سكوت
خرجت تبحث بسكون عن بعض بقايا حنطة
فانزلقت فوق الطين وانهارت أثر الحفطة
سمع الجيران . . فهبوا وجدوها كادت تفنى
صرخت للنجدة لبوا ووعت للحظة معنى
وأفاقت من غفوتها ومضت تـكدح وتنقب
حتى امتلأت ســلتها لـكن ـ أبداً . . لم تتعب

والهوامش ترشد الطفل إلى بعض المعانى التى يمكن أن يستغلق فهمها عليه . . هذا إلى جانب صفحات للمسابقات . . ولهوايات الأصدقاء ، وصفحة دينية بعنوان «أحباب الله» تشتمل على قصة عن إسلام أحد الصحابة، ودعاء وشرح لآية من القرآن الـكريم ، وصفحة خاصة للبنات بعنوان « الآنسة الصغيرة اللطيفة » تشمل على بعض النصائح المناسبة وحل إحدى المشـكلات ومذكرات الفتيات فى أعمارهن المختلفة مثل مذكرات بنت عمرها ١٣ سنة ، كما تشتمل على صفحتين بأقلام الأصدقاء يلتقى فيهما أصدقاء المجلة من هواة الشعر والقصة ،

والحكايات والفكاهات لعرض هواياتهم الأدبية . . وهناك صفحة لهواة الرسم والتلوين ، وركن للرياضة ، وصفحة للأصدقاء وصورهم ، وصفحة باسم ضحك وضحك . . تشتمل على مجموعة من الطرائف . . والمجلة تناسب الأطفال من سن القراءة وحتى مرحلة المراهقة ، ومادتها متنوعة وعدد صفحاتها ٥٤ صفحة وكلها بالألوان . .

والحقيقة أن مجلات الأطفال قد لاقت عناية كبيرة ورواجاً عظيماً فى السنوات القليلة الماضية ، وتطورت ومازالت تطور كل يوم وما زال رجال التربية وعلم النفس يحضون على العناية بقصص الأطفال . . فالعالم العربى ما زال فى آخر قائمة المهتمين بأدب الأطفال وقصصهم . . والحاجة ما زالت ماسة إلى تثقيف أبنائنا وتعليمهم وتوفير المتعة والتسلية ومحاولة تنمية أذواقهم وميولهم الأدبية . . وقد نادى رجال التربية والمهتمين بثقافة الطفل بتشجيع الكتابة للأطفال مادياً وأدبياً وإتاحة فرص التفرغ للمجيدين من كتاب الأطفال ، والإستعانة بترجمة قصص الأطفال العالمية مع مراعاة ألا يتعارض الإنتاج الأجنبى مع المعايير السليمة لأدب الطفل المسلم العربى .

ونتيجة لهذه المجهودات وغيرها امتلأت مكتبات المدارس بقصص الأطفال كما انتشرت قصص الأطفال ومجلاتهم فى المكتبات العامة بكل حى ، وسهل بذلك اطلاع الأطفال على القصص التى كتبت لهم ، وأصبحت فى متناول كل الأطفال .

كذلك عنيت وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعة والتلفاز بقصص الأطفال الدينية والعربية والمعربة . . وكل هذا من أجل توسيع معارف أبنائنا وتحبيبهم فى القراءة والإطلاع وتنمية مواهبهم وميولهم وتوجيههم توجيهاً إيجابياً وتعميق معرفتهم لتاريخ أمتهم وتثبيت عقيدتهم وتعويدهم على الاعتماد على النفس .

خصائص قصص الأطفال فى العصر الحديث

لا يمكننا الإدعاء بأن قصص الأطفال لم تعرف إلا فى العصر الحديث . . فالكتابة المتخصصة ليست الدليل الوحيد على وجود قصص للأطفال ، والحقيقة التى يجب ألا ينكرها منصف أن قصص الأطفال نشأت منذ أقدم العصور، بل أنها نشأت مع وجود أول أم وأول ابن على وجه الأرض . . فهى شىء غريزى وفطرى فى النفس الإنسانية والأمومة لا تعرف سوى الحب والحنان والعطف ، وهى تسعى لإدخال السعادة على نفوس الأبناء ، ولأن الأم تشعر بما يسعد طفلها حتى قبل أن يستطيع الكلام فقد أدركت بغريزتها أن القصة أفضل ما يقدم للطفل ، فقصت عليه القصص وأسعدته وعلمته قبل أن يعنى الأدباء والمفكرون ورجال التربية بالبحث عن وسائل تربية الطفل وتثقيفه وتنمية شخصيته .

ولما كانت القصة غريزة إنسانية فقد عنيت بها الأمم جميعها وعبرت القصة عن حياة هذه الأمم ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها وثقافاتها وسارت تتدرج حتى انتقلت من طور البداوة والفطرة والخيال الجامح إلى طور الواقع ومعالجة مشكلاته متأثرة فى كل مرحلة من مراحل التطور بما يجد على البيئة نتيجة لتطور الزمان ، وما يصحبه من نمو الحضارات واتساع الثقافات .

وهكذا مرت الأزمان تليها الأزمان وقصص الأطفال تنمو ببطء تتعدد موضوعاتها وتتنوع أغراضها ووسائل تعبيرها . . وتستفيد من المصادر التى تجد على كل بيئة من البيئات وكل زمن من الأزمان . . حتى كانت عناية الإسلام بالطفولة تظهر واضحة جلية فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . . وفى سلوك الصحابة والرعيل الأول من المسلمين مع أبنائهم . . فطن الإسلام إلى

أهمية الطفل وبحث فى طرق تربيته وتنشئته تنشئة صالحة ووضع المناهج لتربيته وتعليمه وتقويم أخلاقه وظهر القصص الدينى وتعددت موضوعاته وأهدافه فمن قصص عن الأمم السابقة والأنبياء الماضيين تعلم العبرة والعظة إلى قصص عن النبى صلى الله عليه وسلم . . وما لاقاه فى سبيل الإسلام من عنت الكفار والمنافقين إلى قصص تصف صبره عليه الصلاة والسلام وما تحمله فى سبيل نشر دعوته إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه قبل وبعد البعثة إلى سير الصحابة الأبرار رضوان الله عليهم وتضحياتهم فى سبيل الله ورسوله بأنفس نفيس مما يقدم كقدوة صالحة للمسلمين من كبار وأطفال ، إلى حكايات غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحروب المسلمين فى سبيل نشر دينهم ونصر الله لهم وبيان قدرته سبحانه وتعالى الذى لا يتخلى عن عباده المؤمنين إلى غير ذلك من القصص الدينية التى توضح السلوك والمعاملات والقيم الإسلامية التى ينبغى أن يتحلى بها المسلم ، إلى غيرها مما توضح الثواب والعقاب وهكذا .. وبالطبع فإن هذه القصص لم يعرفها الكبار فقط وإنما استمع إليها أطفال المسلمين ذلك أن الإسلام فى منهج تربيته لم يغفل المسلم الصغير الذى هو فى أشد الحاجة إلى التربية الإسلامية وتثبيت العقيدة والتمسك بدينه ومن شب على شىء شاب عليه .

عنى الإسلام بغرس القيم والمبادىء السليمة فى نفس الطفل كما عنى بتربيته بتلقينه آداب الإسلام وهى خير ما يساعده على تكوين الشخصية القوية المسلمة من ناحية الأخلاق والعقيدة ، والأخلاق الجيدة هى الأساس الأول الذى ينبغى أن تقوم عليه الأمة الإسلامية وقد تعلم المسلمون الأوائل عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلموا أولادهم بطريقتين مباشرة من هذه المصادر نفسها أو عن طريق الاقتباس منها ونسج القصص على منوالها .

ومر الزمن وأضيف إلى هذا الرصيد الضخم من القصص الدينى الإسلامى

رصيداً آخر من قصص الأديان الأخرى التى عرفها العرب بعد اطلاعهم على تراث الأمم الأجنبية المنقول إلى الامة العربية . . واستمتع الأطفال بقصص التراث العربى والتراث الإسلامى والثقافات الأجنبية من هندية وفارسية ويونانية . . كما استمتعوا بسير الأبطال الإسلاميين وأخبار فتوحاتهم وحروبهم وانتصاراتهم . . عرف الاطفال القصص الخرافية والاساطير والقصص الفكاهية والدينية والتاريخية واستمتعوا بها .

عرفوا القصص القصيرة كما استمعوا إلى الروايات الطويلة وتعلموا واستفادوا واستمتعوا من القصص الدخيل كما تنبهوا إلى القصص العربى الأصيل .

كل هذا عرفه الأطفال قبل العصر الحديث ولكن أغلب قصصهم لم تكن منفصلة عن قصص الكبار بل كانت عالة عليها حتى وجد الكتاب المتخصصون فى الكتابة للأطفال ، ولم يلتفت إلى هذا التخصص قبل العصر الحديث .

ونتيجة لتفتح الأذهان عرف المفكرون قيمة مرحلة الطفولة وأنها المرحلة الأساسية والطور الضرورى لتكوين الأخلاق والقيم والمبادىء ، وأن التعليم والمحاضرات والندوات فى الكبر لا تأتى بفائدتها المرجوة ما لم تقم على أساس سليم من التربية والتعليم والتكوين السليم للشخصية . . وبدأت الدعوات تنهال للعناية بالطفولة والبحث عن أجدى الوسائل فى استقرار الأطفال وسعادتهم وطالت البحوث واستقرت على ضرورة العناية بالأطفال ، وعقدت المؤتمرات وألفت الكتب فى وسائل تربية الأطفال وتثقيفهم وبناء شخصياتهم بناء سليما وكان من أهم الوسائل التى توصل إليها الباحثون فى تعليم الطفل هى العناية بأدبه من هنا بدأ يأخذ أدب الأطفال مكانته ومن هنا كان الاعتراف الرسمى به، وبطبيعة الحال فإن هذا لم يأت بين يوم وليلة ولم يحدث فى كل الأمم دفعة واحدة . ولكن سبقت الأمم الأكثر تحضرا غيرها فى هذا المضمار ، وبالتدريج

وجهت أكثر الأمم عنايتها إلى هذا الأدب ، وأهم أجناس هذا الأدب وأجداها فائدة هو القصة . وقد استفادت قصص الأطفال الحديثة من كل الخبرات السابقة واستعانت بها كمصادر تستقي منها عند كتابة قصص الأطفال .

أنواع قصص الأطفال :

تنوعت طبيعة قصص الأطفال من خيالية إلى واقعية ، كما قصرت أحياناً وطالت في أحيان أخرى تبعاً لملاءمتها للمراحل المختلفة لنمو الطفل وقدراته العقلية والثقافية .

ففي المراحل الأولى من النمو وافقت القصة الخرافية التي على ألسنة الحيوان وغيره من الكائنات خيال الطفل ، وقد أوضحت الدراسات النفسية أن الطفل في مراحل نموه الأولى يسهل عليه تقمص الحيوان أكثر من الإنسان ولذلك نجد أن نسبة كبيرة من القصص التي يميل إليها الأطفال ويشغفون بها يلعب دور البطولة فيها حيوان ويؤيد الفكر السيكولوجي هذه الحقيقة فقد أشار فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي في مقاله عن مخاوف طفل الخامسة من خلال قصة هانز الصغير إلى أن هذا الطفل كان يخاف الحصان وأنه حدث نوع من الارتباط اللاشعوري بين هذا الحيوان وأبيه وانعكست مشكلته النفسية في علاقته مع أبيه على الحيوان . . فكان يخاف منه[1] .

وعلاقة الطفل الوجدانية بالحيوانات أيسر على الفهم من علاقته بالإنسان . . ولعل ذلك يرجع إلى أن بعض الحيوانات أصغر حجماً من الراشدين من الإنسان وهناك دلائل نفسية كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل . . ويظهر ذلك من ظهور الحيوانات في أحلام الطفل وفي مخاوفهم . . كما تعتبر الحيوانات

---

(١) الأطفال يقرءون .

على المستوى الشعورى أصدقاء للأطفال ، ويشيع استخدام الحيوانات كموضوعات للتقمص عند الإنسان البدائى الذى هو أقرب إلى الطفل ، وهذا يعزز الفكرة القائلة بأن الحيوانات مثيرات ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأطفال(١) .

ويندرج تحت قصص الحيوانات القصص الخرافية الأخرى التى تتمثل فيها الخوارق والجنيات والسحرة . . وقصص الأساطير القديمة ، والقصص العلمية أو كما يطلق عليها الأساطير الحديثة . .

والقصص العلمية تمثل لونا أدبيا طريفا ومثيراً يتيح للطفل التحليق فى عالم الخيال والطواف إلى آفاق اللامعقول فى رحاب المتعة العلمية . . وهى تصهر الحقيقة بالخيال فى بوتقة واحدة وتجمع العلم والخرافة على مائدة مشتركة وتقدم الفائدة واللذة على طبق شهى(٢) .

والقصة العلمية تنطوى على دور تربوى بالنسبة للأطفال إلى جانب دورها الأدبى وتقاس جودتها على أساس مقياسين :

الأول : مقاس عام بالنسبة للقصة عموما .

الثانى : مقياس خاص بالنسبة للقصة العملية وهو يرتبط بتساؤلات :

« هل تقدم لنا القصة العلمية شيئا جديدا حول علاقة الإنسان والتكنولوجيا ؟
وهل تضىء بعض الجوانب التى كانت خافية علينا ؟ . .
هل تقودنا إلى طرق جديدة لم تخطر على بالنا ؟ .

والقصة العلمية أنواع فمنها الأسطورة التى تتعلق بتفسير ظواهر الكون وتعد هذه بداية القصة العلمية ، ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ظهرت القصة والرواية

(١) الأطفال يقرءون .

(٢) كتاب القصص العلمية والأساطير الحديثة . عرض ياسر الفهد — مجلة الفيصل .

العلمية الحديثة وهى لون أدبى يستحضره خيال الكاتب فى محاولة لربط الإنسان بالنماذج الجديدة التى يصنعها العلم وبالاحتمالات الجديدة التى توحى بها التكنولوجيا . .

وتتضمن كثير من القصص العلمية عناصر من الأساطير والخرافات الكلاسيكية . . إلا أنها تختلف عنها فى أنها ترسم صورة للمستقبل تغاير المستقبل الحالى . . وهنا يظهر الفرق بين الأساطير التقليدية القديمة ، والأساطير الحديثة . . فالأولى لا تأبه للزمن وتعكس كل ما هو أبدى وغير متحول فى الكون وهى توحى لنا بأن نظام العالم ومصير الإنسان يسيران دائما على وتيره واحدة . . أما الثانية فهى ترنو إلى المستقبل ، ويؤمن الإنسان المعاصر بأن سهم الزمن يتحرك دون ارتداد نحو المستقبل الذى سيكون حتما مختلفاً عن الماضى والحاضر وهو يعتقد بأن الزمن لا يكرر نفسه[1] . .

وتواجه القصص العلمية مشكلة عدم التيقن من صورة تطور المستقبل . . لذا تصور ما يمكن أن تكون عليه هذه التطورات ، والأساطير العلمية يدرك الطفل أنها خيالية بعيدة عن الواقع ، أما الأساطير القديمة فيمكن أن تصدق . . والقصص العلمية تتكىء على أرض من الواقع وتنطوى على شىء من الصحة العلمية ولا تخرق القوانين العلمية . . وكل ما هنالك أنها تسبق الزمن ، فخيال القصة العلمية يستمد مضمونه من خيال العلم والعلماء المبنى على حقائق علمية .

وأبطال الروايات العلمية قد يكونوا من المخلوقات الغريبة عن الكوكب الأرضى تلتقى بالمخلوقات البشرية . . إما على الأرض عندما تغزوها أو فى عوالمها

---

(١) كتاب القصص العلمية والأساطير الحديثة ، عرض ياسر الفهد .

الخاصة عندما يغزوها البشر ، وقد تكون هذه المخلوقات أدنى من الإنسان أو متفوقة عليه أو مساوية له ، وغالباً ما يكون شكل المخلوقات الأجنبية عجائبياً . .

وهناك روايات علمية أبطالها من العلماء الذين يخرقون القوانين فى سعيهم إلى المعرفة مثل (الرجل الخفى) الذى يخترع اختراعاً يتيح له أن يتحرك دون أن يراه أحد مثلا ، ومنها القصص التى تتحدث عن الإنسان الآلى . . وفى بعض هذه القصص نجد الوحش يتألف من قطع غيار بشرية يتم زرعها فى هيكله الآلى . . والحقيقة أن هـذا النوع من القصص قد لاقى نجاحاً عظيما وإقبالا شديداً من الأطفال حتى أن وسائل الإعلام قد عنيت به فوجدنا قصص الأطفال العلمية تنتشر سواء فى قصص خاصة أو فى مجلات الأطفال أو فى التلفاز أو المذياع وسبب الإقبال عليها هى تقبل الأطفال للخيال الواسع الذى تشتمل عليه إلى جانب توفر عنصر الإثارة والتشويق مما يجذب الطفل إلى متابعتها والإقبال عليها منذ سن الخامسة وحتى نهاية مرحلة الطفولة .

ومن هذا النوع قصص رواد الفضاء والرحلات إلى الكواكب إلى غير ذلك . . ومن القصص التى لاقت انتشاراً أيضاً وإقبالا من الأطفال قصص المغامرات . . وذلك لعنصر الإثارة الذى يغلب عليها ، وعنصر الإثارة لدى الأطفال يكون مقرونا بالمواقف الشجاعة ومعدل شجاعة الرجل فى مواجهة الأخطار كضرورة يجب أن يهتدى إليها كل من يتوسم فى نفسه القدرة على الكتابة للأطفال[1] .

---

(١) مقالة عن مجلات الأطفال . بقلم دينيس جيمس هوبر ترجمة محمد فكرى أنور . مجلة الفيصل ، مارس عام ١٩٧١ م .

ويحبذ الأطفال فى قصص المغامرات مصادفة الحياة بوجهة نظر مبالغ فيها ، فإذا كان تسلق الجبال فى مقدور الشخص العادى ، فيجب أن يكون البطل متمكناً من الوثوب متسلقاً قمم الجبال .

ويتصور الطفل أن شرير قصته أضخم حجماً إن لم يكن أقوى بطشاً من بطلها ، لكن البطل هو الذى يكسب المعارك بدهائه ومهارته المتفوقة ، كما أن لياقته تؤهله لصرع اثنين من الأشرار فى لطمة واحدة .

ولكن على الكاتب الناجح ألا يتجاوز الحدود المقبولة فى المبالغات وعليه أن يوازن بين الواقعية والخيال ، وفى هذا النوع من القصص ينتصر الخير دائماً على الشر ، ولو بدا الشر وكأنه يتميز على الخير فى بعض الجوانب .

ومن أمثال هذه القصص (صراع الأبطال – مغامرات الشاطر حسن – مغامرات فى البحار) إلى غير ذلك من القصص التى تنمى خيال الطفل وتسعده ، وتنتصر قيمة الخير على الشر دائماً ، وتوضح أن الجزاء يكون من جنس العمل ، ويدخل تحت هذه القصص القصص البوليسية ، وهذه القصص تناسب الأطفال فى مراحل نموهم المتأخرة .

ثم هناك قصص الرحالة والمكتشفين والقصص الجغرافية ، وهذه القصص منها الخيالى مثل أليس فى بلاد العجائب . . ورحلات جاليفر ، ومنها ما يدخل ضمن أدب الرحلات ، وهذا النوع الأخير يعتمد إلى حد كبير على الواقع ، ويقدم للأطفال كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية عن البلد التى يرحل إليها الراوى . . ثم إنها تصور عادات وتقاليد وأخلاق وأديان أهل هذه البلاد ، ووصف طبيعة بلادهم ، وهى إلى جانب ذلك تحبب الأسفار والتنقل وترشد إلى فائدة الرحلات . . وتروى هذه القصص للطفل بصورة

مبشطة حتى يتفهمها ويقبل عليها .. ومن ذلك ما ورد عن رحلات ابن بطوطة . ومن أمثلة هذا النوع .

وفى إحدى القصص تحت عنوان غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (يروى أنه فى سالف العصر والأوان ومنذ مئات السنين كانت الدنيا غير الدنيا .. وكانت البلاد بعيدة عن بعضها ولأنها كانت بعيدة فقد كانت مجهولة لم تكن الطائرات قد ظهرت بعد لتحمل المسافرين من هذا البلد إلى ذاك ، ولا كان هناك قطارات ولا سيارات ، وكانت الجمال والحمير والبغال هى وسائل الانتقال من بلد إلى بلد ، وفى ذلك الوقت بالذات أى منذ حوالى سبعمائة عام خرج من مدينة طنجة بالمغرب شاب فى الثالثة والعشرين من عمره .. ملكت عليه نفسه هواية غريبة . هى أن يرحل فى بلاد الله من بلد إلى بلد ، ومن ميناء إلى ثغر ، ومن مدينة إلى صحراء ، ومن المعلوم إلى المجهول .. اسم هذا الرجل ابن بطوطة أراد أن يعرف الدنيا كلها وأن يعرّفها لبنى قومه .

وبدأ ابن بطوطه رحلته الأولى بالحج إلى بيت الله الحرام فى مكة .. فجاء من طنجة بالمغرب إلى صعيد مصر فى طريقه إلى البحر الأحمر لعبوره .. لكنه فضل طريق فلسطين والشام ، والتقى فى طريقه بولى من أولياء الله يدعى الشيخ خليفة ، فألقى عليه السلام ، فرد عليه الشيخ خليفة السلام وقال له : أراك تحب السفر والتجوال من المغرب إلى الهند إلى الصين ، ولا بد إن شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند ، وأن ترى أخى زكريا بالسند، ثم ترى أخى برهان الدين بالصين .. فإذا زرتهم ورأيتهم فأبلغهم عنى السلام والمحبة .

وتعجب ابن بطوطة كيف علم هذا الشيخ بأنه ينوى أن يزور هذه البلاد ، وتعجب أكثر كيف يعيش أخوة الشيخ بعيداً عنه فى الهند والصين والسند ، وأدرك بثاقب نظره أن التجول والترحال والسفر واكتشاف المجهول ،

كما يباعد بين الأخ وأخيه فإنه يعرف الناس بالبلاد البعيدة ويعلمهم طبائع الأقوام وتقاليد الأمم الأخرى .. فلو عكف الناس فى بيوتهم وبلادهم ماعرفوا شيئاً وما تعلموا وما اتصلوا ببعضهم البعض . . وهكذا الإسلام فإنه لو ظل فى صدور الناس لبقى بالجزيرة العربية ، لـكن الله أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإعلان الإسلام ونشره بين الناس والأقوام فذاع وانتشر .

وازداد حماس ابن بطوطه للسفر أكثر فوصل إلى العراق ، وكان الحـكام المسلمون يقيمون (تكايا) أى ما يشبه الفنادق الحالية وهذه التكايا يقيم فيها المسلمون الأغراب ، فيلتقى بهم الناس ويخبرونهم بأحوال العباد فى البلاد التى قدموا منها .

ثم عاد إلى بلاده ، وبدأ رحلته الثانية بعد سنتين ، ثم عاود الترحال إلى بلاد أفريقيا التى كانوا يسمونها القارة السوداء لأنها كانت مجهولة كالليل ، ومن شرق أفريقيا عبر إلى الخليج ، ورأى مضيق هرمز المشهور ، ومنه هبط إلى أرض آسيا ، وزار بلاد القرم والقسطنطينية ، ومن هناك ذهب إلى خوارزم وبخارى ، ورأى هناك المساجد الإسلامية ، وصلى إماماً بالناس فيها ، وكان يقرأ للناس القرآن ويبصرهم بعلوم الدين ، وكان الإسلام قد وصل إلى هذه البـلاد البعيدة أيام النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين . . وفى طريق عودته دخل الهند وهناك أعجب ملـكها بعلمه فعينه قاضياً فى مدينة دلهى العاصمة الآن . . الخ من الرحلات وما قابله من عجائب وغرائب وأحوال أهل البلاد التى رحل إليها وما يأكلونه وما يشربونه وما يلبسونه وما يقرأونه وما يحبونه وما يهتمون به . . وقد سجل رحلاته فى كتاب اسمه (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) . . وتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، وله الآن أكثر من شارع باسمه فى كل بلد زارها . . وله فى كل جامعة أكثر من كتاب وأكثر من بحث » .

ومن قصص الأطفال القصص التاريخية . . وهي تعمق إحساس الطفل بالحياة الماضية وذلك يعطي الشعور بالخلفية والبيئة والجنس والدم وبالصلة القريبة التي لا تنقطع بين جيل وجيل . .

والقصة التاريخية الجيدة تحيي التصور للأحداث الماضية وتصل شخصياتها بالحاضر وهذه القصص تربي الشعور القومي والكرامة الوطنية عند الأطفال ، والحب الصادق للوطن ، تمتد جذوره إلى الأيام الأولى من حياة الإنسان عندما يرنو إلى البطولات من تاريخ قومه ، ويتعشقها ويحلم بالسير على طريقها .

والتاريخ العربي والإسلامي ملىء بالبطولات .. بطولات في الحروب وبطولات في الاحتمال والعمل واتخاذ القرارات التي يتوقف عليها مصير الأمة وهناك بطولات في الإيثار والتضحية وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق المعظم والفاروق عمر وذى النورين عثمان والإمام علي وخالد بن الوليد وسعد ابن أبي وقاص وموسى بن نصير وطارق بن زياد وعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وأحمد عرابي ومحمد بن عبد الوهاب وعمر المختار وسليمان الحلبي وكثيرون غيرهم من أبطال العرب المسلمين ، وفي سيرة كل منهم قصة يود أطفال العرب والمسلمين أن يعيشوها فتبعث في قلوبهم العزة وتنمي في نفوسهم الإحساس بالماضي المجيد . .

وقصص البطولات الوطنية والدينية تحكي لكي تستحضر الماضي المعظم وتعقد صلته بالحاضر ولتوقظ الشعور بالتقدير والرغبة في التقليد والمنافسة اللذين هما مصدر الإلهام في مرحلة الطفولة .. وتهدف إلى الإعجاب بالإبطال وحب الوطن.

والطفل في أثناء نموه العقلي يبدأ في التعرف بالحياة على أساس أن الأشياء الماضية سبيل إلى فهم الحاضر . . ويدرك أن عليه أن يخرج من دائرته الضيقة واليومية المحدودة ويذهب به الخيال إلى أعماق الماضي السحيق وعملية التعرف

تعنى زيادة الفهم الذاتى للانسان تعميق معرفة المرء بنفسه ، والمراد بالنمو هو إتصال المرء بالعظماء من خلال تاريخهم ليستعرض ما فعلوا ولماذا فعلوه . . ويعرف أن ما هو فيه الآن من حضارة ومعرفة قائم على أساس ما قدموا للإنسانية من خدمات[1] .

والمقصود من قراءة القصص البطولية هو التعرف على شخصية البطل . . ففى قصة صلاح الدين الأيوبى يقف القارىء على أبعاد الشخصية التى استطاعت بتقاليد الفروسية الإسلامية أن تبهر فرسان الغرب وملوكهم فتصبح قصة على ألسنتهم يكنون لها كل تقدير وتتحول إلى أسطورة تجعل من الحروب الصليبية قصصا عظيمة يستمتع بها الكبار والصغار . .

وهناك إلى جانب هذه البطولات التاريخية بطولات فى العلماء مثل ابن سينا والخوارزمى والفارابى . . الخ[2] .

ويدخل جزء من القصص الدينية تحت القصص التاريخية مثل قصص الأنبياء والقصص الدينية لها أهداف أخرى كالعظة والعبرة والترهيب والترغيب والتمسك بالدين وتثبيت العقيدة .

ومن أنواع القصص المحبوبة لدى الأطفال القصص الفكاهية . . ويكاد الأطفال يتفقون حول ما يجعلهم يضحكون مثل منظر المهرجين والشخص البدين الذى ينزلق فوق قشرة الموز ويدخل تحت هذا النوع كل الحكايات الهزلية وولوع الأطفال بالفكاهة واستمتاعهم بها .

يجب أن يكون عنصر الفكاهة أساسيا ومتفقا مع نظرة الأطفال إلى الحياة وهذه القصص لها أهداف تربوية مثال ذلك الأطفال الذين يعانون النزلات

(١) فى أدب الأطفال ص ١٨٩

(٢) فى أدب الأطفال : ١٩٠

المموية من الضخمة ، والفتيات اللائى يملن إلى التجسس والمسارد المترهل الجسم إذ يبذل جهداً خارقاً عندما يتحرك . . فالقصص التى تتناول هذه الموضوعات تعمل على تلافى الأخطاء وهى فى النهاية تثيب المصيب وتعاقب المخطىء ..

وعلى هذا فالقصص الفكاهية هدفها الأساسى هو الضحك والمتعة ثم الحكمة التى تكمن فيها فى المرحلة الثانية .

كانت هذه هى أهم أنواع قصص الأطفال .. وهناك إلى جانبها القصص الواقعية التى تتناول مشكلات الحياة اليومية وكيفية التغلب عليها وغالباً ما تتضمن عظة أو درسا أخلاقيا يفيد الأطفال فى مستقبل حياتهم ..

القواعد الأساسية لكتابة قصص الأطفال

قصص الأطفال كأى فن من الفنون الأدبية لها قواعد وأصول وهذه القواعد توصل إليها الباحثون والنقاد مع رجال التربية وعلم النفس بعد دراسة مجموعات كبيرة من قصص الأطفال التى تناسب كل الأعمار ، والفرق الأشد وضوحا بين قصص الأطفال وقصص الكبار هو اشتراك التربويين فى وضع أصول هذا النوع من القصص .. وذلك لأهمية الناحية النفسية والتربوية فى قصة الطفل الذى ما زال فى طور النشأة والنمو والتحصيل والاستفادة فعقل الطفل يتغذى على ما يقدم له من أفكار وقيم تهذيبيه فى قالب قصص مشوقة .

والقواعد العامة لقصص الأطفال لا تختلف كثيراً عن القواعد العامة لقصص الكبار إلا من ناحية ضرورة الاعتماد على غرض تعليمى وغاية خلقية وملاءمة القصة للمرحلة التى يجتازها الطفل .

والقصة تعتمد على :

الحكاية : وهى الأساس الأول فى تكوين القصة ويجب استخدام عنصر التشويق الذى يشد انتباه الطفل ويجعله يتساءل عما حدث بعد ذلك والحكاية كما هو معروف مجموعة من الحوادث ، المرتبة ترتيبا زمنيا . . وهى تختلف عن الحبكة وقد تكون أساسا لها . .

أما العناصر الأساسية فى القصة فتشمل :

أولا : الفكرة ، والفكرة هى جوهر أسلوب الكاتب وإذا كان الأديب يستغنى أحيانا عن الفكرة الهادفة أو يستعيض عنها بالتصوير فإن هذا لا يجوز

بالنسبة لقصص الأطفال والفكرة الرئيسية هي التي تدور أحداث القصة في إطارها وحسن اختيار هذه الفكرة يمثل الخطوة الأولى في وضع قصة ناجحة . . ومن الضروري أن يتوفر للكاتب وضوح كامل لفكرة القصة التي سيشرع في كتابتها لأن هذا هو الأساس الذي ستبنى عليه مختلف العمليات الفنية الأخرى بإدراك تام ، والعثور على فكرة موفقة يعد بمثابة العثور على مفتاح الكنز وليست كل الأفكار تناسب كل الأعمار وكل الخبرات . . ولذا فقد عنى علماء التربية بدراسة أنواع القصة من حيث الأفكار لمعرفة أيها أكثر ملاءمة للطفل والمراهق والبالغ في الأطوار المختلفة للنمو العقلي . .

فتحديد المرحلة التي يريد الكاتب أن يكتب لها ضرورية حتى يوائم بينها وبين ما يلائمها وما تتطلبه من أفكار ، وقد قسم علماء التربية مراحل النمو إلى خمس مراحل هي الطور الواقعي المحدود بالبيئة ، طور الخيال الحر ، طور المغامرة والبطولة طور الغرام ، طور المثل العليا . .

وهذه الأطوار يتداخل بعضها في بعض تداخلا زمنياً ومدة هذه الأطوار تختلف من الذكور إلى الإناث ، ومن أمة إلى أمة بل من فرد إلى فرد ، وأن ميل الناشىء لنوع من القصص يناسب طور نموه قد يستمر معه إلى الطور التالي له أو ما بعده وأن اختلف الميل قوة وضعفا[1] .

والواجب أن يكون الموضوع الذي تبنى عليه الفكرة مشتملا على هدف نبيل وأخلاقيات سليمة ومبادىء قويمة تغرس في نفوس الأطفال .

ثانياً . البناء . . وهو خطة القصة والخيط الذي يمسك بنسيجها وبنائها معاً

---

(١) القصة في التربية ص ١٥ الطبعة الخامسة .

وهو مجموعة الحوادث الجزئية مرتبة ومنظمة على وجه خاص فيه وضوح ومنطقية وهو يتركز على الأسباب والنتائج التى تؤدى إلى حل القصة حلا يرضى الطفل ويسعده . . وهناك[1] صورتان رئيسيتان لبناء الحبكة فى القصة من مجموعة الحوادث والوقائع التى اختارها الكاتب وهما صورة البناء . . والصورة العضوية . .

(ا) صورة البناء :

وفيها لا تكون بين الوقائع علاقة كبيرة ضرورية أو منتظمة وعندئذ تعتمد وحدة السرد على شخصية البطل الذى تدور حوله حوادث القصة ووقائعها بحيث يمثل العمود الفقرى الذى يربط بين أجزاء القصة .

(ب) الصورة العضوية :

وفيها يرسم الكاتب تصميما هيكليا واضحاً لقصته وينظم الحوادث والشخصيات بحيث يؤدى كل منها دوره فى مكانه المناسب لتؤدى كل الخطوط إلى النهاية المرسومة .

وتصاغ القصة فى ثلاث مراحل (المقدمة ، العقدة ، الحل) والمقدمة تمهيد ، قصير للفكرة التى فى القصة وهى المدخل الذى يشعر القارىء بما سيأتى بعده كعنوان الكتاب ومدخل البيت ثم تليه الحوادث . . والعقدة هى المشكلة التى تظهر أثناء القصة وتحتاج إلى حل أو هى الموقف الغامض الذى يحتاج إلى تفسير (وهى تثير فى نفس المتلقى الرغبة فى الكشف ومعرفة ما سيجىء بعد ذلك وهى

(١) فن الكتابة للأطفال . أحمد نجيب .

تشحذ انتباه المتلقى وتجعله يفكر فى حلول لها يصل المتلقى فى أثناء قراءة حوادث العقدة أو سماعها إلى قمة نشاطه الذهنى ثم ، يجىء الحل بعد ذلك فيشعر بالراحة ويهدأ نشاطه ويحدد موقفه من الشخصيات ويشعر بنهاية الحوادث)[1] وقد تشتمل القصة على أكثر من عقده ، وقد تحل العقده ولكن يظل مصير الشخصيات غامضاً غير محدد فى ذهن الأطفال وذلك لأنهم يريدون الاستزادة من معرفة حال الشخصيات بعد انتهاء القصة ، وفى مثل هذه الحال يجب أن يقرر السارد مصير الشخصيات بأن يقول مثلا : ثم عاش الملك والملكه بعد ذلك مدة طويلة فى هناء وسعادة ، أو ورزق الأمير والأميرة بنين وبنات وعمراً طويلا . . أما الكبار فتضعف عندهم ، الرغبة عادة فى معرفة مصير الشخصيات بعد حل العقدة لأنهم يدركون جيداً أن الموضوع مجرد قصة[2] .

ثالثا : الشخصيات وهى التى تقع الحوادث الجزئية لهم أو بهم وهذه الشخصيات قد تكون من الناس أو الحيوانات أو الجن أو الجماد . . ويجب على الكاتب أن يرسم شخصياته بدقة تقنع الطفل بأنها شخصيات حقيقية والاقتناع بالشخصية يتوقف على قدرة المؤلف على إظهارها بصورة واقعية حتى يراها القارىء حية مجسمة ناطقة واضحة الطبائع والسلوك والقوة والضعف[3] . . فشخصية الملك يجب أن تحافظ على خلق الملوك فى مظاهرها وما يصدر عنها . . وشخصية السوقة يجب أن تمثل حقيقة السوقة ، وإذا ذكر المؤلف فى قصته عجوزاً فهى بلا أسنان كلامها غير واضح تتوكأ على عصا يظهر الضعف فى مشيتها وانحناءة ظهرها وإحساس القارىء بالشخصية ومعرفته التامة بها . . يوجد تعاطف بينهما . .

(١) القصة فى التربية : ص ٢٠ .
(٢) القصة فى التربية : ص ٢١ .
(٣) فى أدب الأطفال

والشخصية قد تكون واقعية أو خيالية من صنع الكاتب ، ويمكن للكاتب إظهار صفات الشخصية عن طريق السرد أو الرواية أو الحوار أو بوصف أفكارها أو ببيان أفكار الآخرين عنها أو بواسطة ما تقوم به فى أحداث القصة . .

وفى المراحل الأولى للطفولة يجب أن تكون شخصيات القصة قليلة لتتلاءم مع قدرة التركيز عند الطفل .

رابعاً : الزمان والمكان . والزمان فى القصة قد يكون الماضى أو الحاضر أو المستقبل . . والمكان قد يحدد وقد لا يحدد .

وزمان القصة ومكانها يؤثران فى الأحداث وفى الشخصيات وفى الموضوع وفى الأحداث ولابد للكاتب أن يلاءم بين البيئة والزمان حتى يشعر القارىء بصدق الأحداث فيكون للقصة تأثيرها المراد .

خامساً : الأسلوب واللغة :

وهناك عدة طرق فنية للسرد منها الطريقة المباشرة وفيها يتخذ الكاتب لنفسه موقفا خارج أحداث القصة وهناك طريقة السرد الذاتى وفيها يكتب المؤلف على لسان إحدى شخصيات القصة . . وهناك أيضا طريقة الوثائق وفيها يقدم الكاتب القصة عن طريق عرض مجموعة من الخطابات أو اليوميات أو الوثائق المختلفة .

وعلى الكاتب أن يتبع أسلوبا حيويا يظهر فيه الصدق والإشراق والانطلاق .

والأسلوب هو الطريقة التى يتبعها الأديب فى قصته وهو يعنى طريقة التعبير ويشمل الفكرة والشعور والصورة واللغة والشكل وبالإحساس وحده لا يكون

الأديب أديباً فلا بد من إخراج أفكاره ومشاعره فى صورة وشكل مناسبين وبلغة مناسبة يتمكن الطفل من فهمها ويتآلف مع ما بها من أفكار وأحاسيس .

وعلى هذا فأسلوب الكاتب يعنى اختياره للكلمات وتركيبها فى جمل وفقرات على نسق معين وأسلوب القصاص الجيد هو الأسلوب المناسب للحبكة والموافق للموضوع والأفكار والشخصيات .

وأسلوب قصص الأطفال الجيد هو الأسلوب الملائم والمناسب لثقافة الطفل وقدراته العقلية واللغوية .. والأفضل فى الكاتب القصصى أن يكون ممن مارسوا مهنة التدريس للأطفال أو عاشوا معهم وعرفوا لغتهم . . وقد يكون أسلوب القصة فى الأصل فوق المستوى ولكن عندما يكون الأطفال هم الهدف من سماعها أو قراءتها فيجب تبسيطها وهذا معنى مناسبة اللغة والأسلوب ـ مثال ذلك قصص كليلة ودمنة المعدة للكبار والمبسطة للصغار . . ومن أمثلتها بالأسلوب الأرقى من مستوى الطفل هذه القصة : « زعموا أن غديراً كان عنده عشب وكان فيه بطتان .. وكان فى الغدير سلحفاة بينهما وبين البطتين مودة وصداقة . . فاتفق أن غيض الماء فجاءت البطتان لوداع السلحفاة ، وقالتا : السلام عليك ، فإننا ذاهبتان عن المكان لأجل نقصان الماء عنه ، فقالت : إنه يبين نقصان الماء على مثلى فإنى كالسفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء . فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بى معكما ، قالتا لها : نعم .. قالت : كيف السبيل إلى حمص ؟ قالتا : تأخذ بطرفى عود ، وتتعلقين بوسطه ونطير بك فى الجو ، وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطق .. ثم أخذتاها ، فطارتا بها فى الجو .. فقال الناس : عجب . سلحفاة بين بطتين ، وقد حملتاها . . فلما سمعت ذلك قالت : فقأ الله أعينكم أيها الناس ، فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت » . . وهذا الأسلوب غير مألوف للأطفال والأفضل عرضها كما يلى فى أسلوب آخر . : « كان فى الزمان

الماضي بركة وكان بالقرب من البركة حشائش وفي هذه الحشائش سكنت بطتان وسلحفاة . فلما جف ماء البركة فكرت البطتان في ترك المكان ثم ذهبتا إلى السلحفاة وقالتا : السلام عليك، لقد عزمنا على ترك هذا المكان، فقالت السلحفاة: وكيف أعيش أنا هنا من غير الماء ؟ خذاني معكما ، فقالت واحدة من البطتين : وكيف نأخذك وأنت لا تطيرين ؟ فقالت الثانية : لقد عرفت حيلة بديعة ، وهي أن نحضر فرعا من الشجر وتتعلق السلحفاة في وسطه ونقبض نحن على الطرفين ونطير في الهواء ، ولكن احذري أيتها السلحفاة من الكلام ونحن نطير ، ثم طارت البطتان والسلحفاة بينهما فلما رأى الناس ذلك قالوا : هذا شيء عجيب ، تطير بطتان وبينهما سلحفاة فلما سمعت السلحفاة كلام الناس قالت : لعنكم الله ، فلما فتحت فمها وقعت على الأرض وماتت .. » فبتبسيط الأسلوب والاعتماد على الألفاظ السهلة البعيدة عن الغرابة والتراكيب البعيدة عن التعقيد يمكن للطفل أن يستمتع بالقصة

وفي اللغة العربية ألفاظ خفيفة على السمع واللسان شائعة الاستعمال وذلك لأسباب منها قصرها وسهولة النطق بحروفها وحسن جرسها وهذه الألفاظ أسهل فهما بالنسبة للأطفال .

وقد عنيت اللغات الأوربية ولا سيما الإنجليزية بعمل قاموس للأطفال يشتمل على الكلمات التي تناسبهم في مراحل نموهم المختلفة .

فيجب على كاتب الأطفال أن يتجنب غريب اللفظ ومجاز الاساليب وأن يجمل جملة قصيرة تدع الفرصة للقارىء أو السامع ليدرك الحوادث ويتخيلها وأن يختار من الألفاظ ما يثير المعاني الحسية كالمبصرات والمسموعات والمتحركات والملموسات والمذوقات والمشمومات وذلك من غير مبالغة ولا إسراف في الزركشة والتفصيل [1] .

---

(١) القصة في التربية : ٢٧

ومن المستحسن أن تكون قصص الأطفال مضبوطة الشكل حتى يتعود الطفل النطق السليم ، ولما كان الشكل لدى المبتدىء يعرقل الانطلاق فى القراءة وبالتالى يعرقل الاستمتاع بالقصة فمن المفضل انتقاء ألفاظ تحتاج إلى أقل قدر ممكن من الضبط فى المراحل المتقدمه ، ويمكن أن يقتصر الشكل على الحروف التى يحتمل أن يخطىء الطفل فى قراءتها .

ومن الأساليب التى تنمى خيال الطفل وتساعده على فهم القصة استخدام التكرار للتأكيد فتقول مثلا : كانت الحجرة واسعة واسعة بدلا من قولنا كانت الحجرة واسعة جدا ، والأطفال عادة مغرمون بسماع ما يكرر من الألفاظ أو العبارات لا سيما ما يدل منها على حدث أو وصف[1] ، واستخدام أصوات الحيوانات والحديث على ألسنتهم يضفى على القصة جوا محببا إلى نفس الطفل خاصة فى مراحل نموه الأولى ، واختيار العناوين والأسماء فى القصة له تأثير كبير على الأطفال وخاصة اسم البطل وعنوان القصة ، ومن عوامل نجاح هذا الاختيار اتفاق الأسماء والعناوين مع مراحل نمو الطفل فتختار أسماء الحيوانات والطيور فى المراحل الأولى ، وفى المرحلة التى يطلق عليها مرحلة الاختيار الحر تختار عناوين قصص تناسبها مثل رحلة إلى القمر . . مدينة العجائب ، وفى المرحلة التى يعجب فيها الطفل بالبطولة والمغامرات تختار عناوين مناسبة مثل مغامرات البحار العجيب وصراع الابطال ومغامرات الشاطر حسن ، وهكذا .

وعلى الكاتب أن يتجنب الطريقة الخطابية والأسلوب المباشر فإنه يضعف العمل الفنى وعليه أن يبعث أفكاره بطريقة غير مباشرة عن طريق الإيحاء فى سياق القصة ومواقفها المختلفة ونجاح قصة الطفل تعتمد على بعدها عن الأسلوب المباشر .

---

(١) فن الكتابة للأطفال . القصة فى التربية .

ومن أهم عوامل نجاح قصص الأطفال فى مراحل النمو الأولى . . العناية بالرسوم البسيطة الملونة ، فهى تقوم بدور أساسى فى جذب اهتمام الطفل ، وذلك أن حصيلة الأطفال اللغوية فى المراحل الأولى لا تمكنهم من قراءة الموضوعات التى تقدم إليهم بالكلمات ، وهنا يستعان بالرسم .. والرسم ينقل المعنى بالصورة فى كل الأعمار .

فالرسوم فى قصص الأطفال تشكل أهمية كبيرة . . والطفل فى سن الثالثة يتأمل الصورة أو يقرأها . . وهو يعتبر عملية التطلع إلى الصورة قراءة ، فهو يردد أسماء الأشياء التى فى الصور ، أو يقلد أصوات ما بها من حيوانات ، وفى سن الرابعة تصدر عنه تعليقات تدل على المشاركة الوجدانية لما فى الصور مثل مسكين الولد وقع على الأرض . . بل إنه يجعل من شخصيات الصور أصدقاء له . . وحتى السابعة من عمره تأخذ الكلمات القليلة المكتوبة بحروف كبيرة خبراً صغيراً بجوار الصور التى يتعلم الطفل قراءتها عندما يبلغ السادسة .

والرسوم مفيدة للطفل لأنها تنمى ذوقه الفنى وتشرح له ما غمض عليه من الكلمات فهى مادة حية لها قيمتها الجمالية والثقافية الكبيرة[1] .

كانت هذه أهم القواعد الأساسية التى ينبغى أن يراعيها كاتب الأطفال بالنسبة للقصة المكتوبة حتى يضمن لقصته النجاح وتحقيق الغاية المرجوة منها .

---

(١) الفيصل ديسمبر سنة ١٩٧٩ لقاء مع الأستاذ يعقوب الشارونى عضو لجنة ثقافة الطفل الذى ترجم وكتب العديد من قصص الأطفال .

الخاتمة

وبعد : فهذه الدراسة لفن القصة فى أدب الأطفال هى دراسة تاريخية مقارنة عنيت بنشأة القصة وتطورها ودراسة العوامل المؤثرة فى نموها وتقدمها ووجوه التأثير والتأثير بين العرب والشرق والغرب فى هذا الجنس الأدبى .

واختيارى لهذا الموضوع يرجع إلى أسباب متعددة لعل من أهمها :

١ — إثبات أن قصص الأطفال ليست وليدة العصر الحديث ، وإنما جذورها تمتد وراء ذلك إلى عصور موغلة فى القدم ، حيث المجتمعات البدائية الأولى ، وحيث وجد الإنسان وعاش على الفطرة ، ففن القصة فن غريزى نشأ مع نشأة الإنسان وهو أسلوب من أساليب التعامل المحبب إلى النفوس سواء فى ذلك نفوس الأطفال والكبار .

٢ — إن فن القصة يعد من أهم الوسائل التربوية الناجحة وأجداها فعن طريقه يتعلم الأطفال ويثقفوا إلى جانب ما يحققه لهم من متعة .

٣ — لإبعاد فكرة حاول الغرب دائماً ترسيخها فى الأذهان وهى حداثة هذا الفن واعتماده على الغرب، ولئن كان الغرب قد أثر فى قصص الأطفال فى العصر الحديث ، فإن العرب قد أثروا فى الغرب تأثيرات واسعة فى فن القصة قبل العصر الحديث ، وقد قسمت هذا البحث إلى

خمسة فصول ، وبدأت بمقدمة تحدثت فيها عن الطفولة وأهميتها وضرورة العناية بالأطفال وتربيتهم وتثقيفهم ، ورأيت أن من أجدى الوسائل نفعاً تعليم الطفل عن طريق الأدب .

وفى الفصل الأول حاولت الموازنة بين أدب الكبار وأدب الأطفال فعرضت لمعنى الأدب لغة واصطلاحات ، ورأيت أن أدب الأطفال يندرج فى معناه تحت الأدب بمعناه العام فهو فرع منه ، والأركان الأساسية التى يتكون منها الأدب العام هى نفسها لابد من توافرها لأدب الأطفال حتى يصبح أدباً ، وهى الفكرة أو المعنى والعاطفة والخيال والأسلوب . ثم هناك عوامل عامة تؤثر فى الأدب وهى البيئة والزمان والثقافة ـ الخ ، وعوامل خاصة تؤثر فى أدب الأطفال والسبب فى وجود عوامل خاصة مؤثرة فى هذا النوع من الأدب ، إنما يرجع إلى أمرين :

أولهما : اختلاف الجمهورين المنشأ الأدب لأجلهما ، والفرق بين الطفل والرجل ، واضح فى الإدراك وفى التفكير وفى سمة الخيال وفى الثقافة ، ويجب على كاتب الأطفال الالتفات إلى هذا الأمر دوما حتى يوفق فى مهمته .

والثانى : أن الهدف الرئيسى من أدب الأطفال هو الهدف التعليمى الذى يختفى تحت ستار اللهو والإمتاع .

أما العوامل الخاصة المؤثرة فى أدب الأطفال فأهمها : أديب الأطفال

وقدرته على معرفة ما يحبه الأطفال وما يكرهونه ، ومن أهم العوامل المؤثرة فى أدب الأطفال ربط هذا النوع من الأدب بأصول التربية ، وعلم النفس واللغة المناسبة البسيطة الخالية من التعقيدات ، كما أن صدق هذا الأدب وواقعيته إلى جانب اشتماله على نظرات دينية ، كل هذه عوامل تساعد على نجاح أدب الأطفال، ثم ذكرت أهمية أدب الأطفال تلك الأهمية التى تنبع من أهمية الطفل .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان قصص الأطفال فى الآداب القديمة والأدب الجاهلى ، وقد بحثت فى هـذا الفصل عن معنى القصة فى اللغة والاصطلاح، وبحثت عن معنى الألفاظ التى يحمل مضمونها قصصاً، وكانت قد عرفت منذ القديم مثل الأساطير والخرافات والأمثال والحكايات .

ثم درست القصة فى الآداب القديمة ، ورددت على الذين يدعون حداثة هذا الفن، وقد عثرت على الأدلة المادية التى تثبت معرفة القدماء لقصص الأطفال، وكانت الأمة الوحيدة التى عنيت بتدوين هذا الجنس الأدبى هى الأمة المصرية القديمة، ثم انتقلت إلى دراسة القصة فى الأدب الجاهلى ، وهناك أدلة مادية ملموسة تثبت هذا الوجود وهى القرآن الكريم ووجود هذه اللفظة وشبيهاتها فى اللغة العربية هذا بالإضافة إلى القصص المنبت فى الشعر الجاهلى والأمثال ، ومع ذلك فقد أنكر بعض الدارسين وجود هذا الفن بحجة اختلافه عن فن القصة الحديثة من حيث المقاييس الفنية ، وبطبيعة الحال فإن اختلاف القصة الجاهلية

عن القصة الحديثة لاينفى وجود القصة القديمة، لأن القصة القديمة كانت ملائمة للبيئة التى نشأت فيها ، فاتسمت بسماتها وعبرت عن متطلباتها ، وقد اشتمل القصص الجاهلى على الكثير مما يصلح كقصص للأطفال ، مثل قصص الأمثال والخرافات والأساطير إلى جانب القصص التى تحث عن الفضائل التى حرص العربى على التحلى بها ، وقد اختلطت قصص الأطفال بقصص للكبار فى العصر الجاهلى ، ولم يعن بتدوينها ، وإنما كانت ضمن الأدب الشعبى الذى يروى بين مضارب الخيام يتداول بين الأطفال والمرضعات والأمهات .

والفصل الثالث بعنوان (قصص الأطفال فى العصر الإسلامى) ، وقد بدأت بدراسة عناية الإسلام بالطفولة ومنهج الإسلام فى بنائها بناءاً سليما نفسياً وجسدياً ، ثم درست قصص القرآن الكريم وقصص الحديث النبوى ، وقصص الصحابة وأنواعها وخصائصها ، ورأيت أنها أفضل ما يصلح أن يقدم للكبار وللصغار فى كل بيئة وكل زمان .

وقد عنى المسلمون الأوائل بأطفالهم وتعليمهم عن طريق الأدب الدينى وكانوا يقصون عليهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة والمجاهدين فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام .

وقد ازدهر القصص الدينى والتاريخى فى عصر بنى أمية إلى جانب القصص المنقول عن الأمم الأخرى وقصص الأساطير والخرافات، ومن هذه القصص ما صلح للأطفال واستمعوا إليه واستمتعوا به ولا بد أنه

كان يروى لهم بأسلوب بسيط خال من التقيدات حتى يناسب خيال الأطفال وقدراتهم العقلية، وعلى الرغم من ذلك فإننا لم نجد آثاراً كتبت خصيصاً للأطفال ، وإنما دخلت قصص الأطفال ضمن الأدب العام واستمر تراث الأطفال ضمن الأدب الشعبي .

والفصل الرابع بعنوان (قصص الأطفال قبل العصر الحديث) ، وقد قسمته إلى قسمين: القسم الأول يبحث فى القصة فى العصر العباسى، والقسم الثانى القصة بعد العصر العباسى، والحقيقة التى لا يمكن إنكارها أن الأطفال كان لهم نصيب كبير من قصص العصر العباسى وما بعده تمثلت فى القصص الفكاهية والقصص التاريخية والدينية والسير إلى جانب تراث ضخم من القصص التى رويت على ألسنة الحيوانات والبهائم تلك القصص التى اتسعت معرفة العرب لها كنتيجة لترجمة كليلة ودمنة وما نسجها العرب على منوالها بالإضافة إلى قصص ألف ليلة وليلة التى اختلطت فيها الخرافات والأساطير والحقيقة بالخيال ، وكان للقصص العربية الأصيلة والدخيلة آثار واسعة فى نشأة ونمو القصة الأوربية .

وعلى الرغم من تنوع قصص الأطفال قبل العصر الحديث إلا أننا لم نجد من الكتاب من اتجه إلى الكتابة الخاصة للأطفال والآثار القصصية التى وجدت قبل العصر الحديث لها أهمية كبيرة كمصدر من مصادر أدب الأطفال عامة وقصص الأطفال التى استقا منها كتاب الأطفال فى العصر الحديث .

والسبب فى تأخر الكتابة الرسمية للأطفال يرجع إلى المتزمتين من رجال اللغة والأدب الذين نظروا إلى الطفل نظرة مهنية وبالتالى قللوا من شأن المهتمين بأدبه وعدوا الانصراف عن أدب الكبار إلى أدب الأطفال عدم مقدرة واستسهال ، على أنه على عكس ذلك تماماً فهو يحتاج الى إمكانيات خاصة ومقدرة أكبر مما يحتاجه أدب الكبار .

والفصل الخامس بعنوان (قصص الأطفال فى العصر الحديث) ، وقد بدأت بعناية الآداب العالمية الحديثة شرقية وغربية بقصص الأطفال وللأدب الفرنسى هو أسبق أدب فى الآداب الحديثة فى العناية بالطفولة ثم كان أن وجهت كل الآداب الأوربية عنايتها إلى الأطفال وتخصص بعض كبار الكتاب فى الكتابة الخاصة لهم .

وقد اعتمدت الأمم الغربية على مصادر عربية وإسلامية فى إخراج الكثير من قصص الأطفال، ثم أضافوا إليها الكثير من ذات نفوسهم.

أما عناية الأدب العربى بالطفولة وأدبها ، فترجع إلى انتهاء الحملة الفرنسية على مصر حيث أنشئت الكثير من المدارس لتعليم النشء ثم أرسلت الكثير من البعثات إلى فرنسا للتعليم، وقد اطلع رواد التعليم الأوائل على عناية تلك البلاد بأبنائها وما تقدمه لهم من أدب ، وعادوا إلى مصر ليحثوا على تعليم الأبناء وتثقيفهم بالأدب ، ومحمد عثمان جلال من أشهر من قدم قصصاً شعرية فى كتابه (العيون اليواقظ فى الأمثال والحكم والمواعظ) . وعلى الرغم من صلاحية أكثر هذه القصص

للأطفال إلا أنه لم يقصد أن يكون خاصة بهم . أما الرائد الأول فى قصص الأطفال فهو أمير الشعراء أحمد شوقى وقصصه شعرية، ويغلب عليها أن تكون من نوع القصة القصيرة أو كما يطلق عليها الأقصوصة فغالباً ماتدور حول حادثة واحدة أو حالة نفسية أو شعورية فى لحظة ما وأسلوبها يعتمد على السرد أو الحوار ، أما شخصياتها فقليلة ، وأما أحداثها فمرتبة ترتيباً منطقياً وعقدتها تناسب عقول الأطفال والحل دائماً يتضمن حكمة أو عظة تعليمية أو أخلاقيـة ، وقد تأثر شوقى بحكايات لافونتين التى كان الأخـير قد تأثر فيها بكليلة ودمنة العربية بعد أن ترجمها إلى الفارسية الحديثة .

أما الأدب الشرعى لقصص الأطفال المنثورة فهو كامل كيلانى والقصص التى أخرجها منها المؤلفة والمترجمة المقتبسة والمعربة ، وقد أودعها روائع القصص والأساطير العالميـة من الشرق والغرب ، وقد أحسن اختيار موضوعات قصصه ، وراعى أن تتناسب مع مراحل نمو الأطفال العقلى واللغوى ثم صاغها فى أسلوب قصصى محبب إلى النفس ومصادره ترجع إلى التراث العربى القديم والثقافات الأجنبية والقرآن الـكريم والسنة النبوية الشريفة .

وبعد كامل كيلانى بدأ العرب فى أغلب مناطق العالم العربى يعنى بأدب الأطفـال عامة وقصصهم خاصة — وقصص الأطفال متنوعة

الموضوعات بين خيالية وواقعية وتاريخية ودينية وعلمية وفكاهية وقصص مغامرات .

ومن مظاهر العناية بأدب الأطفال فى العصر الحديث الاهتمام بإنشاء مجلات خاصة بالأطفال فى مختلف أنحاء العالم العربى .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

صدق الله العظيم

اهم المراجــع

— القرآن الكريم
— أسباب النزول تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري
ط الحلبي مصر
— الأساطير أحمد كمال زكي القاهرة ١٩٦٥
— أسد الغابة ابن الأثير القاهرة
— إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي القاهرة
— الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د. مصطفى الشكعة بيروت
— الأدب المقارن د. غنيمي هلال القاهرة ١٩٦١ م
— الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مصورة عن ط دار الكتب ١٩٢٨ م
— الإصابة في تمييز الصحابة مطبعة السعادة مصر ج ١ ١٣٢٨ هـ
— الأطفال يقرءون هدى برادة ط الأنجلو
— الأمالي لأبي علي القالي ط بيروت
— الأمثال الشعبية محمد قنديل البقلي ط دار المعارف
— أهداف القصة في القرآن الكريم منصور الرفاعي ط القاهرة
— البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ط الخانجي
— البداية والنهاية لأبي كثير ط بيروت
— بحوث ودراسات في العروبة وآدابها ط القاهرة ١٩٧٠ م
— البطولة في القصص الشعبي د. نبيلة إبراهيم ط دار المعارف

— تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ط دار المعارف ١٩٦٢ م
— تاريخ التربية الإسلامية د. أحمد فؤاد الأهواني ط القاهرة ١٩٥٥م
— تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان ط الهلال
— التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ط بيروت
— تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط دار الشعب
— التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها محمد فوزي العنتيل الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦
— جواهر البخاري للعلامة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ط بيروت
— تاريخ الأمم والملوك الطبري ط بيروت
— الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ط القاهرة ١٩٣٨ م
— الحكاية الخرافية لفريد روش فون ديرلاين ترجمة د. نبيلة إبراهيم ط الأولى بيروت
— حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي القاهرة ١٩٦٩ م
— خزانة الأدب البغدادي ط بيروت
— دراسات في القصة العربية الحديثة محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٣ م
— روضة المدارس دراسة فنية

— زهر الآداب للحصرى القيروانى دار إحياء الكتاب ١٩٧٥ م
— السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا والإبيارى وعبد الحفيظ شابى ط الحلبى القاهرة ١٩٣٦ م
— العصر الجاهلى شوقى ضيف دار المعارف
— العصر الإسلامى » »
— العصر العباسى الأول » »
— العصر العباسى الثانى » »
— العقد الفريد . ابن عبد ربه القاهرة ١٩٦٥ م
— فجر الإسلام أحمد أمين القاهرة ١٩٥٥ م
— فى أدب الأطفال د. على الحديدى ط الأنجلو القاهرة ١٩٧٦ م
— فى الأدب الجاهلى طه حسين ط بيروت
— الفن القصصى فى القرآن الكريم محمد خلف الله أحمد مكتبة الأنجلو ط الرابعة القاهرة ١٩٧٢
— الفهرست لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب ط القاهرة
— فى الأدب الحديث عمر الدسوقى المشهور بابن النديم جـ ١ ط القاهرة
— القصة فى التربية د. عبدالعزيز عبدالمجيد ط الخامسة القاهرة ١٩٥٦م
— القصة العربية فى الأدب الجاهلى د. على عبد الحليم محمود ط الثانية دار المعارف ١٩٧٩

— قصص الحيوان فى الأدب العربى د. عبد الرازق حميدة ط الأنجلو القاهرة ١٩٥١

— القصص فى الحديث النبوى محمد حسن الزير المكتبة السلفية القاهرة ١٩٧٨

— القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا يوسف الشارونى ط الهلال ١٩٧٧ م

— القصة العربية القديمة محمد مفيد الشوباشى المكتبة الثقافية إبريل ١٩٦٤

— القصة فى الشعر العربى على النجدى ناصف ط دار نهضة مصر القاهرة

— القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه دار الفكر العربى القاهرة

— كليلة ودمنة عبد الله بن المقفع القاهرة ١٩٦٨ م

— كامل الكيلانى فى مرآة التاريخ لمجموعه من الكتاب القاهرة ١٩٦٥م

— الكامل فى التاريخ ابن الأثير ط الأولى ١٣٥٦ هـ

— كيف نعيش مع الأطفال ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م

— لسان العرب المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر مصور عن ط بولاق القاهرة

— المحاسن والمساوىء البيهقى ط بيروت

— المستطرف فى كل فن مستظرف

— المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين رفاعه رافع الطهطاوى القاهرة ١٢٩٢ هـ

— مصر القديمة ترجمة نجيب محفوظ ط القاهرة

— مسامرات البنات على فكرى القاهرة ١٩٤٧
— مجمع الأمثال الميدانى ط السنة المحمدية القاهرة
— محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء لأبى القاسم حسين محمد الراغب الأصفهانى ط بيروت
— النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى زكى مبارك ط القاهرة
— النثر العربى المعاصر فى مائة عام أنور الجندى ط الهلال القاهرة
— النثر الأدبى أصوله ومذاهبه سيد قطب ط بيروت ١٩٤٠ ، ١٩٥٠
— النقد الأدبى الحديث د. محمد غنيمى هلال القاهرة ١٩٦٩ م

فهرس الموضوعات

رقم الايداع ١٩٨٢/٤٠٠٥